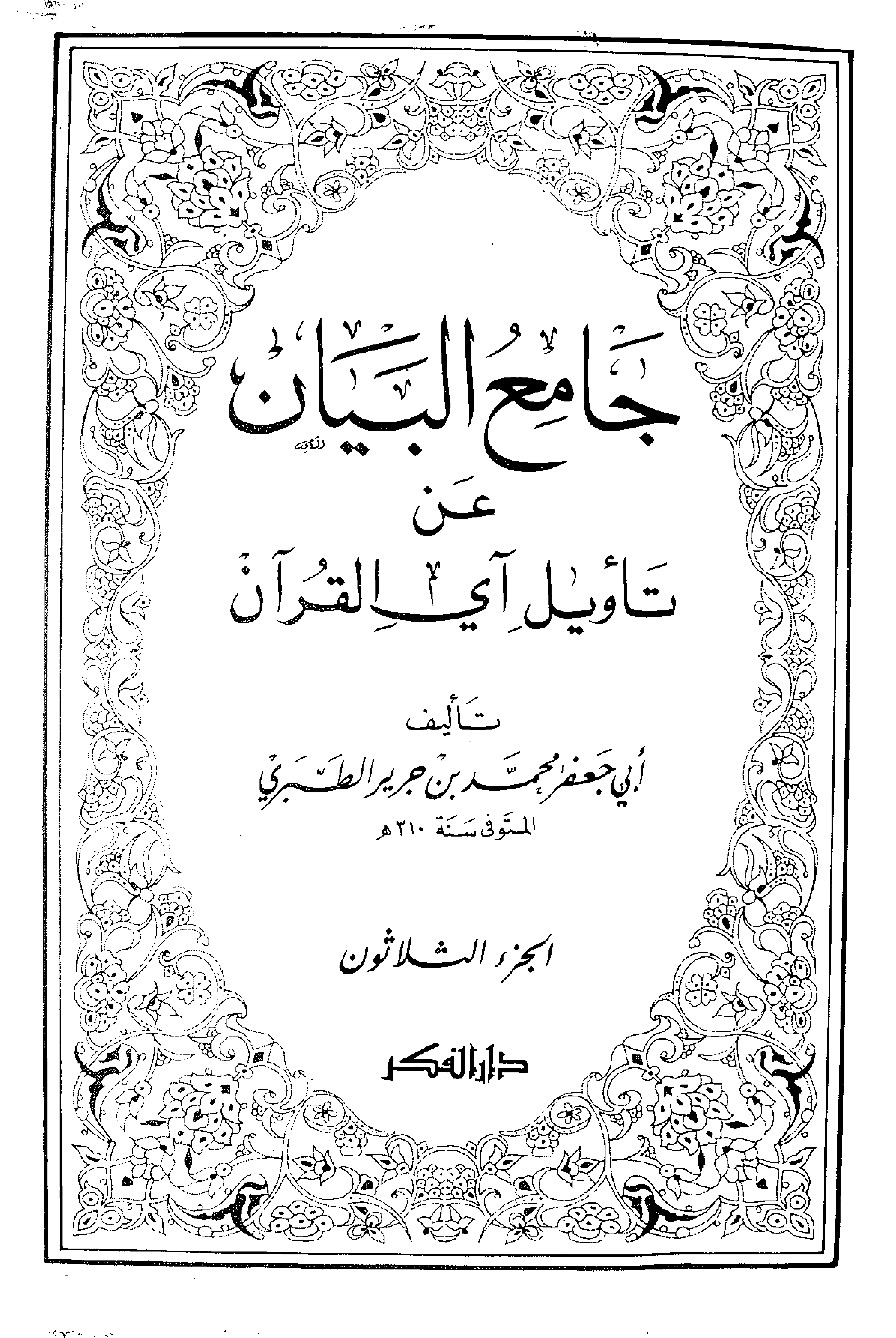

جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن
تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ
الجزء الثلاثون
٣٠
دار الفكر





جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثلاثون

دار الفكر

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

دار الفكر
بيروت
لبنان
المكاتب : البناية المركزية - هاتف : ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب : ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل : حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف : ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
برقيا : فكسي - تلكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء الثلاثون

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفهرس الأول : [illegible]

الفهرس الثاني : [illegible]

الفهرس الثالث : [illegible]

الفهرس الرابع : [illegible]

١ – فهرس الآيات

٢ – فهرس الموضوعات

٣ – فهرس القوافى

٤ ــ فهرس الأحاديث



بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره: عن أيّ شيء يتساءل هؤلاء المشركون بالله ورسوله من قريش يامحمد؟ وقيل ذلك له صلى الله عليه وسلم، وذلك أن قريشا جعلت فيما ذُكر عنها تختصم وتتجادل، في الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإقرار بنبوّته، والتصديق بما جاء به من عند الله، والإيمان بالبعث، فقال الله لنبيه: فيم يتساءل هؤلاء القوم ويختصمون؟ و «في» و «عن» في هذا الموضع بمعنى واحد.

ذكر من قال ما ذكرت

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع بن الجراح، عن مِسعر، عن محمد بن جحادة، عن الحسن، قال: «لما بُعِث النبيّ صلى الله عليه وسلم جعلوا يتساءلون بينهم، فأنزل الله (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ؟ عَنِ النَّبَإِ العَظِيم) يعني: الخبر العَظيم».

قال أبو جعفر: ثم أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن الذي يتساءلونه، فقال: يتساءلون عن النبأ العظيم: يعني: عن الخبر العظيم.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بالنبأ العظيم، فقال بعضهم: أُريد به القرآن.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) قال : القرآن .
وقال آخرون : عُنِى به البعث .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) وهو البعث بعد الموت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن قتادة (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) قال : النبأ العظيم : البعث بعد الموت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ؟ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) قال : يوم القيامة ؛ قال : قالوا هذا اليوم الذى تزعمون أنا نحيا فيه وآباؤنا ، قال : فهم فيه مختلفون ، لايؤمنون به ، فقال الله : بل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ، يوم القيامة لايؤمنون به .

وكان بعض أهل العربية يقول : معنى ذلك : عمّ يتحدّث به قريش فى القرآن ، ثم أجاب فصارت عمّ كأنها فى معنى : لأىّ شىء يتساءلون عن القرآن ، ثم أخبر فقال (الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) بين مصدق ومكذّب ، فذلك إختلافهم ، وقوله : (الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره : الذى صاروا هم فيه مختلفون فريقين : فريق به مصدّق ، وفريق به مكذّب . يقول تعالى ذكره : فتساؤلهم بينهم فى النبأ الذى هذه صفته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة عن النبأ (الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) البعث بعد الموت ، فصار الناس فيه فريقين : مصدّق ومكذّب ، فأما الموت فقد أقرّوا به لمعاينتهم إياه ، واختلفوا فى البعث بعد الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) : صار الناس فيه رجلين : مصدّق ، ومكذّب ، فأما الموت فإنهم أقروا به كلهم ، لمعاينتهم إياه ، واختلفوا فى البعث بعد الموت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) قال : مصدّق ومكذّب .

وقوله (كَلَّا) يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون الذين ينكرون بعث الله إياهم أحياء بعد مماتهم ، وتوعدهم جلّ ثناؤه على هذا القول منهم ، فقال (سَيَعْلَمُونَ) يقول : سيعلم هؤلاء الكفار المُنكرون وعيد الله أعداءه ، ما الله فاعل بهم يوم القيامة ، ثم أكد الوعيد بتكرير آخر ، فقال :

ما الأمر كما يزعمون من أن الله غير محييهم بعد مماتهم ، ولا معاقبهم على كفرهم به ، سيعلمون أن القول غير ما قالوا إذا لقوا الله ، وأفضوا إلى ما قدّموا من سيئ أعمالهم .

وذُكر عن الضحاك بن مزاحم فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) الكفار (ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) المؤمنون ، وكذلك كان يقرؤها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره معدّدا على هؤلاء المشركين نعَمه وأياديه عندهم ، وإحسانه إليهم ، وكفرانهم ما أنعم به عليهم ، ومتوعدهم بما أعدّ لهم عند ورودهم عليه ، من صنوف عقابه ، وأليم عذابه ، فقال لهم : (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ) لكم (مِهَادًا) تمهدونها وتفترشونها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا) : أى بساطا (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) يقول : والجبال للأرض أوتادا أن تميد بكم (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا) ذُكرانا وإناثا ، وطوالا وقصارا ؛ أو ذوى دمامة وجمال ، مثل قوله (الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) يعنى به : صبرناهم (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا) يقول : وجعلنا نومكم لكم راحة ودعة ، تهدءون به وتسكنون ، كأنكم أموات لا تشعرون ، وأنتم أحياء لم تفارقكم الأرواح ، والسبت والسبات : هو السكون ، ولذلك سمى السبت سبتا ، لأنه يوم راحة ودعة (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) يقول تعالى ذكره : وجعلنا الليل لكم غِشاء يتغشاكم سواده ، وتغطيكم ظلمته ، كما يغطى الثوب لابسه ، لتسكنوا فيه عن التصرّف لما كنتم تتصرّفون له نهارا ؛ ومنه قول الشاعر :

فلمّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ أَوْ حِينَ نَصَّبَتْ ... له مِنْ خَذا آذانِها وَهْوَ دالِجُ[1]

يعنى بقوله « لبسن الليل » : أدخلن فى سواده فاستترن به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قتادة (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) قال : سكنا .

وقوله (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) يقول : وجعلنا النهار لكم ضياء لتنتشروا فيه لمعاشكم ، وتتصرّفوا فيه لمصالح دنياكم ، وابتغاء فضل الله فيه ، وجعل جلّ ثناؤه النهار إذ كان سببا لتصرّف عباده لطلب المعاش فيه معاشا ، كما فى قول الشاعر :

(١) تقدم استشهاد المؤلف بهذا البيت فى الجزء (١١ : ١٤٦) وهو فى ديوان ذى الرمة . والرواية فيه « جانح » فى موضع « دالج » . والدالج : الذى يمشى بحمله وقد أثقله . (انظر ديوان ذى الرمة ١٠٨) .

وأخو الهُموم إذا الهُموم تَحضَّرتْ جُنْحَ الظَّلامِ وِسادُهُ لا يَرْقُدُ[1]

فجعل الوساد هو الذى لا يرقد ، والمعنى لصاحب الوساد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، قوله (النَّهارَ مَعاشاً) قال : يبتغون فيه من فضل الله.

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره (وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ) : وسقفنا فوقكم ، فجعل السقف بناء ، إذ كانت العرب تسمى سقوف البيت ، وهى سماؤها بناء ، وكانت السماء للأرض سقفا ، فخاطبهم بلسانهم، إذ كان التنزيل بلسانهم ، وقال (سَبْعاً شِداداً) إذ كانت وِثاقا محكمة الخلق ، لاصدوع فيهنّ ولا فطور ، ولا يبليهنّ مرّ الليالى والأيام .

وقوله (وَجَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً) يقول تعالى ذكره : وجعلنا سراجا ، يعنى بالسراج : الشمس وقوله (وَهَّاجاً) يعنى : وقادا مضيئا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَجَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً) يقول : مضيئا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَجَعَلْنا سِراجاً وهَّاجاً) يقول : سراجا منيرا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سِراجاً وَهَّاجاً) قال : يتلألأ .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور ،عن معمر ، عن قتادة (سِراجاً وَهَّاجاً) قال : الوهاج : المنير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (سِراجاً وَهَّاجاً) قال : يتلألأ ضوءه .

وقوله (وأنْزَلْنا مِنَ المُعْصِرَاتِ) اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالمعصرات ، فقال بعضهم : عُنِى بها الرياح التى تعصر فى هبوبها .

(١) يقال : حضره الهم ، واحتضره ، وتحضره : نزل به . يقول الشاعر : إن أخا الهموم إذا كثرت عليه الهموم وازدحمت فإن وساده لاينام ، يريد صاحب وساده ، يعنى نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنْزَلْنا مِنَ المُعْصِرَاتِ) فالمعصرات : الريح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين، عن يزيد ، عن عكرمة ، أنه كان يقرأ (وَأَنْزَلْنا بالمُعْصِرَاتِ) يعني : الرياح .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنَ المُعْصِرَاتِ) قال : الريح .

وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : هي في بعض القراءات (وَأَنْزَلْنا بالمُعْصِرَاتِ) : الرياح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَنْزَلْنا مِنَ المُعْصِراتِ) قال : المعصرات : الرياح ، وقرأ قول الله (الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً) . . . إلى آخر الآية .

وقال آخرون : بل هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولمَّا تمطر ، كالمرأة المعصر التي قد دنا أوان حيضها ولم تحض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (مِنَ المُعْصِرَاتِ) قال : المعصرات : السحاب .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأنْزَلْنا مِنَ المُعْصِراتِ) يقول : من السحاب .

قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع (المُعْصِراتِ) السحاب .

وقال آخرون : بل هي السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول (وَأَنْزَلْنا مِنَ المُعْصِرَاتِ) قال : من السماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنْزَلْنا مِنَ المُعْصِرَاتِ) قال : من السموات .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وأنْزَلْنا مِنَ المُعْصِراتِ) قال : من السماء .

❊ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنه أنزل من المعصرات ، وهي التي قد تحلبت بالماء من السحاب ماء .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن القول فى ذلك على أحد الأقوال الثلاثة التى ذكرت ، والرياح لا ماء فيها ، فينزل منها ، وإنما ينزل بها ، وكان يصحّ أن تكون الرياح ، ولو كانت القراءة (وَأَنْزَلْنَا بالمُعْصِرَاتِ) فلما كانت القراءة (منَ المُعْصِرَاتِ) علم أن المعنىّ بذلك ما وصفت .

فإن ظنّ ظانّ أن الباء قد تعقب فى مثل هذا الموضع من قيل ذلك ، وإن كان كذلك ، فالأغلب من معنى « من » غير ذلك ، والتأويل على الأغلب من معنى الكلام . فإن قال : فإن السماء قد يجوز أن تكون مرادا بها . قيل : إن ذلك وإن كان كذلك ، فإن الأغلب من نزول الغيث من السحاب دون غيره .

وأما قوله (مَاءً ثَجَّاجاً) يقول : ماء منصبا يتبع بعضه بعضا ، كثجّ دماء البدن ، وذلك سفكها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس (ماءً ثَجَّاجاً) قال : منصبا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ماءً ثَجَّاجاً) ماء من السماء منصبا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ماءً ثَجَّاجاً) قال : منصبا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : (ماءً ثَجَّاجاً) قال : الثجاج : المنصب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع : (مَاءً ثَجَّاجاً) قال : منصبا .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (ماءً ثَجَّاجاً) قال : متتابعا .

وقال بعضهم : عُنِى بالثجَّاج : الكثير .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب (ماءً ثَجَّاجاً) قال : كثيرا ، ولا يُعرف فى كلام العرب من صفة الكثرة الثجّ ، وإنما الثجّ : الصبّ المتتابع . ومنه قول النبىّ صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَلُ الحَجِّ العَجُّ والثَّجُّ » : يعنى بالثجّ : صبّ دماء الهدايا والبُدن بذبحها ، يقال منه : ثَجَجت دمه ، فأنا أَثُجُّه ثجا ، وقد ثَجّ الدم ، فهو يثجّ ثُجوجا .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾

* يقول تعالى ذكره : لنخرج بالماء الذى ننزله من المعصرات إلى الأرض حبا ، والحب كلّ ما تضمنه كمام الزرع التى تحصد ، وهى جمع حبّة ، كما الشعير جمع شعيرة ، وكما التمر جمع تمرة . وأما النبات فهو الكلأ الذى يُرْعَى ، من الحشيش والزروع .

وقوله (وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً) يقول : ولنخرج بذلك الغيث جنات وهى البساتين ، وقال : وجنات ، والمعنى : وثمر جنات ، فترك ذكر الثمر استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره . وقوله (أَلْفافاً) يعنى : ملتفة مجتمعة . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وجَنَّاتٍ أَلْفافاً) قال : مجتمعة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً) يقول : وجنات التفّ بعضها ببعض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً) قال : ملتفة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً) قال : التفّ بعضها إلى بعض .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً) قال : التفّ بعضها إلى بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً) قال : ملتفة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً) قال : هى الملتفة ، بعضها فوق بعض .

واختلف أهل العربية فى واحد الألفاف ، فكان بعض نحويّى البصرة يقول : واحدها : لَفٌّ . وقال بعض نحويّى الكوفة : واحدها : لَفّ ولفيف ، قال : وإن شئت كان الألفاف جمعا ، واحده جمع أيضا ، فتقول : جنة لفّاء ، وجنات لُفّ ، ثم يجمع اللّفّ ألفافا .

وقال آخر منهم : لم نسمع شجرة لفة ، ولكن واحدها لفاء ، وجمعها لفّ ، وجمع لفّ : ألفاف ، فهو جمع الجمع .

والصواب من القول فى ذلك أن الألفاف جمع لَفّ أو لفيف ، وذلك أن أهل التأويل مجمعون على أن معناه : ملتفة ، واللّفاء : هى الغليظة ، وليس الالتفاف من الغلظ فى شىء ، إلا أن يوجه إلى أنه غلظ الالتفاف ، فيكون ذلك حينئذ وجها .

وقوله (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً) يقول تعالى ذكره : إن يوم يفصل الله فيه بين خلقه ، فيأخذ فيه من بعضهم لبعض ، كان ميقاتا لما أنفذ الله لهؤلاء المكذّبين بالبعث ، ولضربائهم من الخلق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً) وهو يوم عظّمه الله ، يفصل الله فيه بين الأوّلين والآخرين بأعمالهم .

وقوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) تَرْجَمَ بيوم ينفخ ،عن يوم الفصل، فكأنه قيل : يوم الفصل كان أجلا لما وعدنا هؤلاء القوم : يوم ينفخ فى الصور . وقد بيّنت معنى الصور فيما مضى قبل ، وذكرت اختلاف أهل التأويل فيه : فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع ، وهو قَرْن يُنْفَخ فيه عندنا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سليمان التيمىّ ، عن أسلم ، عن بشر بن شغاف ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : الصُّور : قَرْن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) والصُّور : الخَلْق .

وقوله (فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً) يقول : فيجيئون زمرا زمرا ، وجماعة جماعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ،قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَفْوَاجاً) قال : زُمَرا زُمَرا .

وإنما قيل (فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً) لأن كلّ أمة أرسل الله إليها رسولا تأتى مع الذى أرسل إليها، كما قال: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) .

وقوله (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً) يقول تعالى ذكره : وشققت السماء فصدّعت ، فكانت طُرُقا،وكانت من قبل شِدادا لافُطُور فيها ولا صدوع . وقيل: معنى ذلك : وفُتحت السماء فكانت قِطعا كقطع الخشب المشقّقة لأبواب الدور والمساكن ، قالوا : ومعنى الكلام : وفُتحت السماء فكانت قِطعا كالأبواب ، فلما أسقطت الكاف صارت الأبواب الخبر . كما يقال فى الكلام : كان عبد الله أسدا ، يعنى : كالأسد .

وقوله (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً) يقول: ونُسفت الجبال فاجتُثت من أصولها ، فصيرت هباء منبثا ، لعين الناظر ، كالسراب الذى يظنّ من يراه من بُعد ماء ، وهو فى الحقيقة هَباء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله : إن جهنم كانت ذات رَصْد لأهلها ، الذين كانوا يكذّبون فى الدنيا بها ، وبالمعاد إلى الله فى الآخرة ، ولغيرهم من المصدّقين بها . ومعنى الكلام : إن جهنم كانت ذات ارتقاب ، ترقب من يجتازها وترصُدهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المازنىّ ، قال : كان الحسن إذا تلا هذه الآية (إنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصَادًا) قال : ألا إنَّ على الباب الرَّصَد ، فمن جاء بجواز جاز ، ومن لم يجىء بجواز احتبس .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (إنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصَادًا) قال : لايدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصَادًا) يُعْلِمُنا أنه لاسبيل إلى الجنة حتى يَقطَع النار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (إنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصَادًا) قال : عليها ثلاث قناطر .

وقوله (للطَّاغِينَ مَآباً) يقول تعالى ذكره : إن جهنم للذين طَغَوا فى الدنيا ، فتجاوزوا حدود الله ، استكبارا على ربهم ، كانت منزلا ومرجعا يرجعون إليه ، ومصيرا يصيرون إليه يسكنونه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (للطَّاغِينَ مَآباً) : أى منزلا ومأوًى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران عن سفيان (مآباً) يقول : مرجعا ومنزلا .

وقوله (لابِثِينَ فِيها أحْقاباً) يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء الطاغين فى الدنيا لابثون فى جهنم ، فماكثون فيها أحقابا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لابِثِينَ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة : (لابِثِينَ) بالألف . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (لَبِثِينَ) بغير ألف ، وأفصح القراءتين وأصحهما مخرجا فى العربية ، قراءة من قرأ ذلك بالألف ؛ وذلك أن العرب لاتكاد توقع الصفة إذا جاءت على فَعِل ، فتعملها فى شىء ، وتنصبه بها ، لايكادون أن يقولوا : هذا رجل بَخِل بماله ، ولاعَسِر علينا ، ولاهوخَصِم لنا ، لأن فَعِل لايأتى صفة إلا مدحا أوذما ، فلا يعمل المدح والذمّ فى غيره ، وإذا أرادوا إعمال ذلك فى الاسم أو غيره جعلوه فاعلا ، فقالوا : هو باخل بماله ، وهو طامع فيما عندنا ، فلذلك قلت : إن (لابِثِينَ) أصحّ مخرجا فى العربية وأفصح ، ولم أُحِلّ قراءة من قرأ (لَبِثِينَ) وإن كان غيرُها أفصح ، لأن العرب ربما أعملت المدح فى الأسماء ، وقد يُنشد بيت لبيد :

أَوْ مِسْحَلٌ عَمِلٌ عِضَادَةَ سَمْحَجٍ بِسَرَاتِهَا نَدَبٌ لَهُ وَكُلُومُ[١]

فأعمل عَمِل فى عِضادة ، ولو كانت عاملا كانت أفصح ، ويُنشد أيضا :

وبالفأسِ ضَرَّابٌ رُءُوسَ الكَرَانِفِ[٢]

ومنه قول عباس بن مرداس :

أَكَرَّ وأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وأَضْرَبَ مِنَّا بالسُّيُوفِ الْقَوَانِسا[٣]

وأما الأحقاب فجمع حُقْب ، والحُقْب : جمع حِقْبة ، كما قال الشاعر :

عِشْنا كَنَدْمانَىْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حتى قيلَ لَنْ نَتَصَدَّعا[٤]

---

(١) البيت للبيد يصف حمار وحش وأتانه (اللسان : عمل) . والمسحل : هو الحمار الوحشى ، صفة غالبة . وسحيله : أشد نهيقه (اللسان : سحل) والعمل ، بوزن نهم : وصف بمعنى عامل . والعضادة : ما يكنف الشيء ، ويكون عونا له ، يقال : فلان عضد فلان وعضادته ومعاضده : إذا كان يعاونه ويرافقه . ويروى « أو مسحل سنق » . والسنق : البشم والتخمة . والسمحج : الأتان الطويلة الظهر . وسراتها : وسط ظهرها . والندب : جمع ندبة بالتحريك ، وهى أثر الجرح . والكلوم : جمع كلم ، وهو الجرح ، أى أنه دائم العض لها ، فى ظهرها منه ندوب التأمت ، وجروح لم تلتئم بعد . يقول : هو يعضدها ، مرة عن يمينها ، ومرة عن يسارها لايفارقها. (التهذيب : عمل) . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٥٥) وقوله : « لابثين فيها أحقابا » : حدثت عن الأعمش أنه قال : بلغنا عن علقمة أنه قرأ : « لبثين » ، وهى قراءة أصحاب عبد الله (ابن مسعود) ؛ والناس بعد يقرءون « لابثين » وهو أجود الوجهين ؛ لأن لابثين إذا كانت فى موضع تقع فتنصب ، كانت بالألف ، مثل الطامع والباخل عن قليل ، وهو جائز كما يقال : رجل طمع وطامع ، ولو قلت : هذا طمع فيما قبلك ، كان جائزا ، وقال لبيد « أو مسحل عمل . . . . البيت » . فأوقع (عمل) على العضادة ، ولو كانت (عامل) كان أبين فى العربية . وكذلك إذا قلت للرجل ضراب وضروب ، فلا توقعنهما على شىء ، لأنهما مدح ، فإذا احتاج إلى إيقاعهما فعل ؛ أنشدنى بعضهم * وبالفأس ضراب رءوس الكرانف * واحدها : كرنافة ، وهى أصول السعف . اهـ .

(٢) هذا عجز بيت للبيد وصدره : والكرناف والكرنافة (بضم الكاف وكسرها ، كما فى (اللسان : كرنف) : أصول الكرب التى تبقى فى جذع السعف . وما قطع من السعف فهو الكرب ، والجمع : كرانيف . وقال ابن سيده : الكرنافة والكرنوفة : أصل السعفة الغليظ ، الملتزق بجذع النخلة . وقد تقدم كلام الفراء على هذا الشاهد مع الشاهد الذى قبله . وخلاصته أن اسم الفاعل وصيغ المبالغة قد تنصب المفعول به ؛ أما ما كان على وزن فعل منها كحذر ، فإنه لايعمل فى المفعول به ، وقد جاء الشاهد السابق بعمله فى المفعول به .

(٣) البيت لعباس بن مرداس السلمى (خزانة الأدب للبغدادى ٣ : ٥١٨) وقبله :

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْحَىِّ حَيًّا مُصَبَّحا وَلا مِثْلَنا يَوْمَ الْتَقَيْنا فَوارِسا

والشاهد فى قوله « وأضرب منا بالسيوف القوانسا » فإن القوانس منصوب مفعول به ، لا لقوله «أضرب» الذى هو أفعل تفضيل ، لأن أفعل التفضيل ضعيف فى العمل ، فإذا جاء بعده ما هو مفعول به ، فهو مفعول لفعل مقدر ، من لفظ أفعل التفضيل ، أى ونضرب بالسيوف القوانسا . قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : « القوانس : منصوب عندنا بفعل مضمر يدل عليه « أضرب » ، أى ضربنا أو نضرب القوانس .

(٤) البيت لمتمم بن نويرة اليربوعى ، من قصيدة له فى رثاء أخيه مالك بن نويرة ، ذكرها صاحب المفضليات (طبعة السندوبى ١٢٦ — ١٣٠) وهذا بيت الشاهد مع الذى قبله ، قال :

وَعِشْنا بِخَيْرٍ فِى الْحَياةِ وقَبْلَنا أَصابَ الْمَنايا رَهْطَ كِسْرَى وتُبَّعا
وكُنَّا كَنَدْمانَىْ جَذِيمَةَ بُرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ حتى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعا

ندمانى جذيمة : مالك وعقيل ، ولهما قصة مع جذيمة الأبرش ملك الحيرة . والبرهة : مدة من الزمان تطول وتقصر . وفى رواية المؤلف « حقبة » ، قال فى (اللسان : حقب) : الحقبة من الدهر مدة لاوقت لها ، والجمع حقب كفرية وفرى . والحقب (كقفل) والحقب (كعنق) ثمانون سنة ، وقيل أكثر من ذلك . اهـ . والجمع : أحقاب .

فهذه جمعها حِقَب ، ومن الأحقاب التى جمعها حقب[1] قول الله (أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً) فهذا واحد الأحقاب .

وقد اختلف أهل التأويل فى مبلغ مدة الحُقْب ، فقال بعضهم : مدة ثلاث مئة سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا إسحاق بن سُوَيد ، عن بشير ابن كعب ، فى قوله (لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً) قال : بلغنى أن الحُقُب ثلاث مئة سنة ، كلّ سنة ثلاث مئة وستون يوما ، كل يوم ألف سنة .

وقال آخرون : بل مدة الحُقْب الواحد : ثمانون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : ثنى عمار الدُّهْنىّ ، عن سالم بن أبى الجعد ، قال : قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لهلال الهجَرِىّ : ما تجدون الحُقْب فى كتاب الله المنزل ؟ قال : نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا ، كل شهر ثلاثون يوما ، كل يوم ألف سنة .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن عاصم بن أبى النَّجود ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة : أنه قال : الحُقُب : ثمانون سنة ، والسنة : ستون وثلاث مئة يوم ، واليوم : ألف سنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن ابن عباس ، قال : الحُقْب : ثمانون سنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً) قال : الحقب : ثمانون سنة ، السنة : ثلاث مئة وستون يوما ، اليوم : سنة أو ألف سنة « الطبرى يشكّ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً) وهو ما لاانقطاع له ، كلما مضى حُقُب جاء حُقُب بعده . وذُكر لنا أن الحُقْب ثمانون سنة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَحْقاباً) قال : بلغنا أن الحُقب ثمانون سنة من سِنِى الآخرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً) لايعلم عدّة هذه الأحقاب إلا الله ، ولكن الحُقْب الواحد : ثمانون سنة ، والسنة : ثلاث مئة وستون يوما ، كلّ يوم من ذلك ألف سنة .

وقال آخرون : الحُقْب الواحد : سبعون ألف سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى ، قال : ثنى عمرو بن أبى سلمة ، عن زهير ، عن سالم ، قال : سمعت الحسن يُسْأَلُ عن قول الله (لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً) قال : أما الأحقاب فليس لها عدّة إلا الخلود فى النار ؛

(١) لعله : التى هى جمع حقب .

ولكن ذكروا أن الحُقُب الواحد سبعون ألف سنة ، كلّ يوم من تلك الأيام السبعين ألفا ، كألف سنة مما تَعُدّون .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلِيّ ، قال : ثنا أبو أُسامة ، عن هشام ، عن الحسن ، فى قوله (لابِثِينَ فِيها أحْقاباً) قال : أما الأحقاب ، فلا يَدرِى أحد ما هى ، وأما الحُقُب الواحد : فسبعون ألف سنة ، كلّ يوم كألف سنة .

ورُوى عن خالد بن معدان فى هذه الآية ، أنها فى أهل القِبلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن عامر بن جشب ، عن خالد ابن معدان فى قوله (لابِثِينَ فِيها أحْقاباً) ، وقوله (إلا ما شاءَ رَبُّكَ) إنهما فى أهل التوحيد من أهل القبلة.

فإن قال قائل : فما أنتَ قائل فى هذا الحديث ؟ قيل : الذى قاله قتادة عن الربيع بن أنس فى ذلك أصحّ .

فإن قال : فما للكفار عند الله عذابٌ إلا أحقابا ؟ قيل : إن الربيع وقتادة قد قالا : إن هذه الأحقاب لا انقضاء لها ولا انقطاع . وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك : لابثين فيها أحقابا ، فى هذا النوع من العذاب ، هو أنهم (لايَذُوقُونَ فِيها بَرْدًا وَلا شَرَاباً إلاَّ حَمِيماً وغَسَّاقاً) فإذا انقضت تلك الأحقاب ، صار لهم من العذاب أنواع غير ذلك ، كما قال جلّ ثناؤه فى كتابه (وَإنَّ للطَّاغِينَ لَشَرَّ مآبٍ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المِهادُ ، هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وغَسَّاقٌ ، وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ) وهذا القول عندى أشبه بمعنى الآية .

وقد رُوى عن مقاتل بن حيان فى ذلك ، ما حدثنى محمد بن عبد الرحيم البرقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سَلَمة ، قال : سألت أبا معاذ الخراسانىّ ، عن قول الله (لابِثِينَ فِيها أحْقاباً) فأخبرنا عن مقاتل بن حَيان ، قال : منسوخة ، نسختها (فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلاَّ عَذَاباً) ولا معنى لهذا القول ، لأن قوله (لابِثِينَ فِيها أحْقاباً) خبر ، والأخبار لايكون فيها نسخ ، وإنما النسخ يكون فى الأمر والنهى .

وقوله (لايَذُوقُونَ فِيها بَرْدًا وَلا شَرَاباً) يقول : لايَطْعَمون فيها بردا يُبَرِّد حرّ السعير عنهم ، إلا الغساق ، ولا شرابا يُرْوِيهم من شدّة العطش الذى بهم ، إلا الحميم . وقد زعم بعض أهل العلم بكلام العرب أن البرد فى هذا الموضع النوم ، وأن معنى الكلام : لايذوقون فيها نوما ولا شرابا ، واستشهد لقيله ذلك بقول الكندىّ :

بَرَدَتْ مَرَاشِفُها علَىَّ فَصَدَّنى عَنْها وَعَنْ قُبُلاتِها البَرْدُ[1]

(١) نسبه المؤلف للكندى . (وقال إن المراد بالبرد ، هو النعاس ، على ما قاله بعض العارفين بكلام العرب . وفى اللسان : برد) قال الأصمعى : قلت لأعرابى : ما يحملكم على نومة الضحى ؟ قال : إنها مبردة فى الصيف ، مسخنة فى الشتاء . اه . وقال الأزهرى فى قوله تعالى : « لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا » : روى عن ابن عباس قال : لايذوقون فيها برد الشراب ، ولا الشراب قال : وقال بعضهم : لا يذوقون فيها بردا ، يريد نوما ، وإن النوم ليبرد صاحبه ، وإن العطشان لينام فيبرد بالنوم ». اه . والقول الأخير هو قول الفراء فى (معانى القرآن ٣٥٥) .

يعنى بالبرد : النُّعاس، والنوم إن كان يُبرد غليلَ العطَش، فقيل له من أجل ذلك البرد ، فليس هو باسمه المعروف ، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب ، دون غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (لايَذُوقُونَ فيها بَرْداً وَلا شَرَاباً ، إلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً) فاستثنى من الشراب الحميم ، ومن البَرْد : الغَسّاق .

وقوله (إلاَّ حَمِيا وغَسَّاقاً) يقول تعالى ذكره : لايذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميا قد أغلى حتى انتهى حرّه ، فهو كالمُهْل يَشْوِى الوجوه ، ولا برد إلا غَسَّاقا .

واختلف أهل التأويل فى معنى الغَسَّاق ، فقال بعضهم : هوما سال من صديد أهل جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ومحمد بن المثنى قالا : ثنا ابن ادريس ، عن أبيه ، عن عطية بن سعد ، فى قوله (حَمِيا وَغَسَّاقاً) قال : هو الذى يَسيل من جلودهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو عمرو ، قال : زعم عكرمة أنه حدثهم فى قوله (وَغَسَّاقاً) قال : ما يخرج من أبصارهم من القيح والدم .

حدثنا ابن بشاروابن المثنى ، قالا : ثنا عبد الرحمن قال : ثنا سفيان ، عن منصور عن إبراهيم وأبى رَزين (إلاَّ حَمِيا وَغَسَّاقاً) قالا : غُسالة أهل النار لفظ ابن بشار ؛ وأما ابن المثنى فقال فى حديثه : ما يسيل من صديدهم .

وحدثنا ابن بشار مرّة اخرى عن عبد الرحمن ، فقال كما قال ابن المثنى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رَزين (وَغَسَّاقاً) قال : ما يَسيل من صديدهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور وأبى رَزين ، عن إبراهيم مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (غَسَّاقاً) كنا نُحدَّث أن الغَسّاق : ما يسيل من بين جلده ولحمه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، عن سفيان، أنه قال : بلغنى أنه مايسيل من دموعهم .

حدثنا ابن حميد،قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَغَسَّاقاً) قال : ما يسيل من صديدهم من البرد ، قال سفيان وقال غيره : الدموع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إلاَّ حَمِيا وغَسَّاقاً) قال : الحميم: دموع أعينهم فى النار ، يجتمع فى خنادق النار فيُسْقَوْنه ، والغساق: الصديد الذى يخرج من جلودهم ، مما تصهرهم النار فى حياض يجتمع فيها فيسقونه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (إلاَّ حَمِيما وَغَسَّاقاً) قال : الغساق : ما يقطر من جلودهم ، وما يسيل من نتنهم .

وقال آخرون : الغساق : الزمهرير .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (إلاَّ حَمِيما وَغَسَّاقاً) يقول : الزمهرير .

حدثنا أبو كريب وأبوالسائب وابن المثنى ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، فى قوله (إلاَّ حَمِيما وَغَسَّاقاً) قال : الذى لايستطيعون أن يذوقوه من برده .

قال : ثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (إلاَّ حَمِيما وَغَسَّاقاً) قال : الذى لايستطيعونه من برده .

حدثنا أبو كريب ، قال: ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : الغساق : الذى لايستطاع من برده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع قال : الغساق : الزمهرير .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : الغساق : الزمهرير .

وقال آخرون : هو المُنْتِن ، وهو بالطَّخارية .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن المسيب بن شريك ، عن صالح بن حيان ، عن عبد الله بن بُرَيدة ، قال : الغساق : بالطَّخارية : هو المنتن .

والغساق عندى : هو الفعال ، من قولهم : غَسَقت عين فلان : إذا سالت دموعها ، وغَسَق الجرح : إذا سال صديده ، ومنه قول الله (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) يعنى بالغاسق : الليل إذا لَبِس الأشياء وغطاها ، وإنما أريد بذلك هجومه على الأشياء ، هجوم السيل السائل ، فإذا كان الغسَّاق هو ما وصفت من الشيء السائل ، فالواجب أن يقال : الذى وعد الله هؤلاء القوم ، وأخبر أنهم يذوقونه فى الآخرة من الشراب ، هو السائل من الزمهرير فى جهنم ، الجامع مع شدّة برده النتن .

كما حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : ثنا رشدين بن سعد ، قال : ثنا عمرو بن الحارث ، عن أبى السمح ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخُدْرِىّ ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَوْ أن دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ إلى الدُّنيا ، لأَنْتَنَ أهْلَ الدُّنْيا » .

حُدثت عن محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لَهيعة ، عن أبى قبيل ، عن أبى مالك ، عن عبد الله بن عمرو ، أنه قال : «أتدرون أىّ شيء الغسَّاق ؟ قالوا : الله أعلم ، قال : هو القيح الغليظ ، لوأن قطرة منه تُهراق بالمغرب ، لأنتن أهل المشرق ، ولوتُهراق بالمشرق ، لأنتن أهل المغرب » .

فإن قال قائل : فإنك قد قلت : إن الغَسّاق : هو الزمهرير ، والزمهرير : هو غاية البرد ، فكيف يكون الزمهرير سائلا ؟ قيل : إن البرد الذى لايُستطاع ولا يُطاق ، يكون فى صفة السائل من أجساد القوم من القيح والصديد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : هذا العقاب الذى عُوقب به هؤلاء الكفار فى الآخرة ، فعله بهم ربهم جزاء، يعنى : ثوابا لهم على أفعالهم وأقوالهم الرديئة التى كانوا يعملونها فى الدنيا ، وهو مصدر من قول القائل : وافق هذا العقاب هذا العمل وِفاقا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (جَزَاءً وِفاقاً) يقول : وافق أعمالهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (جَزَاءً وِفاقاً) وافق الجزاء أعمال القوم أعمال السوء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (جَزَاءً وِفاقاً) قال : بحسب أعمالهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، فى قوله (جَزَاءً وِفاقاً) قال : ثواب وافق أعمالهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (جَزَاءً وِفاقاً) قال : عملوا شرّا ، فجزوا شرّا ، وعملوا حسنا ، فجزوا حسنا ، ثم قرأ قول الله (ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساءُوا السُّوأى).

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (جَزَاءً وِفاقاً) قال : جزاء وافق أعمال القوم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (جَزَاءً وِفاقاً) قال : وافق الجزاء العمل .

وقوله (إِنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً) يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء الكفار كانوا فى الدنيا لا يخافون محاسبة الله إياهم فى الآخرة على نعمه عليهم ، وإحسانه إليهم ، وسوء شكرهم له على ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لايَرْجُونَ حِساباً) قال : لايبالون فيصدّقون بالغيب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّهُمْ كانُوا لايَرْجُونَ حِساباً) أي لايخافون حسابا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إنَّهُمْ كانُوا لايَرْجُونَ حِسابا) قال : لايؤمنون بالبعث ولا بالحساب ، وكيف يرجو الحساب من لايُوقن أنه يحيا ، ولا يوقن بالبعث ، وقرأ قول الله (بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الأوَّلُونَ ، قالُوا أئِذَا مِتْنا وكُنَّا تُراباً) ... إلى قوله (أساطِيرُ الأوَّلِينَ) ، وقرأ (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) ... إلى قوله (جَدِيدٍ) فقال بعضهم لبعض : ماله (أفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أمْ بِهِ جِنَّةٌ) الرجل مجنون حين يخبرنا بهذا.

وقوله (وكَذَّبُوا بآياتِنا كِذَّاباً) يقول تعالى ذكره : وكذّب هؤلاء الكفار بحُجَجنا وأدلتنا تكذيبا . وقيل (كِذَّاباً) ، ولم يقل تكذيبا ، تصديرا على فعله .

وكان بعض نحويّي البصرة يقول : قيل ذلك لأن فعل منه على أربعة ، فأراد أن يجعله مثل باب أفعلت ، ومصدر أفعلت إفعالا ، فقال : كذّابا ، فجعله على عدد مصدره ، قال : وعلى هذا القياس تقول : قاتل قتالا ، قال : وهو من كلام العرب . وقال بعض نحويّي الكوفة : هذه لغة يمانية فصيحة ، يقولون : كذّبت به كذّابا ، وخرّقت القميص خرّاقا ، وكلُّ فَعَّلْتُ ، فصدرها فِعَّال بلغتهم مشدّدة . قال : وقال لي أعرابي مرّة على المروة يستفتيني : ألحلق أحبّ إليك أم القِصَّار ؟ قال : وأنشدني بعض بني كلاب :

لَقَدْ طالَ ما ثَبَّطَتْنِي عَنْ صَحابَتِي ... وَعَنْ حِوَجٍ قِضَّاؤُها مِنْ شِفائِيا[1]

وأجمعت القرّاء على تشديد الذال من الكِذّاب في هذا الموضع . وكان الكسائي خاصة يخفّف الثانية ، وذلك في قوله (لايَسْمَعُونَ فِيها لَغْوًا وَلا كِذَّاباً) ويقول : هو من قولهم : كاذبته كِذّابا ومكاذبة ، ويشدّد هذه ، ويقول قوله كَذّبوا يقيد الكِذّاب بالمصدر .

وقوله (وكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْناه كِتاباً) يقول تعالى ذكره : وكلّ شيء أحصيناه فكتبناه كتابا كتبنا ،

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣٥٥) قال وقوله « وكذبوا بآياتنا كذابا » : خففها علي بن أبي طالب : كذابا ، وثقلها عاصم والأعمش وأهل المدينة والحسن البصري ، وهي لغة يمانية فصيحة ، يقولون : كذبت به كذابا ، وخرقت القميص خراقا ، وكل فعلت (بتشديد العين) فصدره فعال في لغتهم مشدد ، وأنشدني بعض بني كلاب : لقد طال ما ثبطتني . . . . البيت » وكان الكسائي يخفف « لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا » ، لأنها ليست مقيدة بفعل يصيرها مصدرا ، ويشد في « وكذبوا بآياتنا كذابا » ، لأن كذبوا يقيد الكذاب بالمصدر ، والذي قال حسن ، ومعناه : « لايسمعون فيها لغوا » : يقول : باطلا ، « ولا كذابا » : لايكذب بعضهم بعضا . وفي (اللسان : قضى) وقوله – أنشده أبو زيد : « لقد طال ما لبثتني . . . . البيت » قال ابن سيدة هو عندي من قضى (بالتشديد) ككذاب من كذب . قال : ويحتمل أن يريد : اقتضاؤها ، فيكون من باب قتال (بتشديد التاء) كما حكاه سيبويه في اقتتال . اهـ .

عدده ومبلغه وقدره ، فلا يعزُب عنا علم شيء منه ، ونصب كتابا ، لأن فى قوله (أحْصَيْناهُ) مصدر أثبتناه وكتبناه ، كأنه قيل : وكلّ شيء كتبناه كتابا .

وقوله (فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلاَّ عَذَاباً) يقول جلّ ثناؤه : يقال لهؤلاء الكفار فى جهنم إذا شربوا الحميم والغسّاق : ذوقوا أيها القوم من عذاب الله الذى كنتم به فى الدنيا تكذّبون ، فلن نزيدكم إلا عذاباً على العذاب الذى أنتم فيه لا تخفيفا منه ، ولا ترفيهًا .

وقد حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبى أيوب الأزدىّ ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : لم تنزل على أهل النار آية أشدّ من هذه (فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلا عَذَاباً) قال : فهم فى مزيد من العذاب أبدا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَذُوقُوا فلَنْ نَزِيدَكُمْ إلاَّ عَذَاباً) : ذُكر لنا أن عبد الله بن عمرو كان يقول : مانزلت على أهل النار آية أشدّ منها (فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلاَّ عَذاباً) فهم فى مزيد من الله أبدا .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾

☆ يقول : إن للمتقين مَنجًى من النار إلى الجنة ، ومخلصا منها لهم إليها ، وظفرا بما طلبوا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازًا) قال : فازوا بأن نَجَوا من النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازًا) : إى والله مفازا من النار إلى الجنة ، ومن عذاب الله إلى رحمته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازًا) قال : مفازا من النار إلى الجنة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازًا) يقول : مُنْتَزَها[1] .

وقوله (حَدَائِقَ) والحدائق : ترجمة وبيان عن المفاز ، وجاز أن يترجم بها عنه ، لأن المفاز مصدر

(١) قوله : منتزها : كذا فى الأصل ، وهى كلمة عامية ، إذ ليس فى المعاجم انتزه أى طلب النزهة فى الحدائق ونحوها . وإنما الذى فى اللغة : تنزه ، واسم المكان منه « متنزه » ، بتقديم التاء .

من قول القائل : فاز فلان بهذا الشيء : إذا طلبه فظفر به ، فكأنه قيل : إن للمتقين ظفرا بما طلبوا من حدائق وأعناب ؛ والحدائق : جمع حديقة ، وهى البساتين من النخل والأعناب والأشجار المُحَوَّط عليها الحيطان المحدقة بها ، لإحداق الحيطان بها تسمى الحديقة حديقة ، فإن لم تكن الحيطان بها محدقة ، لم يُقَل لها حديقة ، وإحداقها بها : اشتمالها عليها .

وقوله (وأعْنَاباً) يعنى : وكرومَ أعناب ، واستغنى بذكر الأعناب عن ذكر الكروم .

وقوله (وكَوَاعِبَ أتْرَاباً) يقول : ونواهد فى سنّ واحدة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ؛ عن ابن عباس ، قوله (وكَوَاعِبَ) يقول : ونواهد . وقوله (أتْرَاباً) يقول : مُسْتَوِيات .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وكَوَاعِبَ أتْرَاباً) يعنى : النساء المستويات .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وكَوَاعِبَ أتْرَاباً) قال : نواهد أترابا ، يقول : لسنٍّ واحدة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ثم وصف ما فى الجنة قال (حَدَائِقَ وأعْنَاباً وكَوَاعِبَ أتْرَاباً) يعنى بذلك النساء ، أترابا : لسنٍّ واحدة .

حدثنى عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : الكواعب : النواهد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكَوَاعِبَ أتْرَاباً) قال : الكواعب : التى قد نهدت وكَعَّب ثديها ، وقال : أترابا : مستويات ، فلانة تربة فلانة ، قال : الأتراب : اللِّدات .

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنا يحيى بن سليمان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وكَوَاعِبَ أتْرَاباً) لِدات .

وقوله (وكَأْساً دِهاقاً) يقول : وكأسا ملأى متتابعة على شاربها بكثرة وامتلاء ، وأصله من الدَّهْق : وهو متابعة الضغط على الإنسان بشدّة وعنف ، وكذلك الكأس الدهاق : متابعتها على شاربها بكثرة وامتلاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مروان ، قال : ثنا أبو يزيد يحيى بن ميسرة ، عن مسلم بن نِسْطاس ، قال : قال ابن عباس لغلامه : اسقنى دِهاقاً ، قال : فجاء بها الغلام ملأى ، فقال ابن عباس : هذا الدِّهاق

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنا موسى بن عمير ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قوله (كأْساً دِهاقاً) قال : ملأى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أخبرنى سليمان بن بلال ، عن جعفر ابن محمد ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت ابن عباس يُسئل عن (كأْساً دِهاقاً) قال : دراكاً ، قال يونس ، قال ابن وهب : الذى يَتْبع بعضُه بعضا .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وكأْساً دِهاقاً) يقول : ممتلئا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا حميد الطويل ، عن ثابت البُنَانىّ ، عن أبى رافع ، عن أبى هريرة ، فى قوله (كأْساً دِهاقاً) قال : دمادم [1] .

قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وكأْساً دِهاقاً) قال : مَـْلأى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن يونس ، عن الحسن (وكأْساً دِهاقاً) قال : المَلأَى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وكأْساً دِهاقاً) قال : مَلأَى .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ، فى قوله (وكأْساً دِهاقاً) قال : مُتْرَعة مَلأَى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكأْساً دِهاقاً) قال : الدهاق : المَلأَى المُتْرَعة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (كأْساً دِهاقاً) قال : الدهاق : الممتلئة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كأْساً دِهاقاً) قال : الدِّهاق المملوءة .

وقال آخرون : الدِّهاق : الصافية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن يحيى الأزدىّ وعباس بن محمد ، قالا : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ثنا عمر ابن عطاء ، عن عكرمة ، فى قوله (وكأْساً دِهاقا) قال : صافية .

وقال آخرون : بل هى المتتابعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال سعيد بن جُبير فى قوله (وكأْساً دِهاقاً) دهاقاً : المتتابعة .

(١) فى الدر : دمادم : لفظ فارسى ، بمعنى : متتابعة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وكأسا دهاقا) قال : المتتابع .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا جرير ، عن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وكأسا دهاقا) قال : الملأى المتتابعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (وكأسا دهاقا) قال : المتتابعة .

وقوله (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) يقول تعالى ذكره : لا يسمعون في الجنة لغوا ، يعني باطلا من القول ، ولا كذابا ، يقول : ولا مكاذبة ، أي لا يكذب بعضهم بعضا ، وقرأت القراء في الأمصار بتشديد الذال على ما بينت في قوله (وكذبوا بآياتنا كذابا) سوى الكسائي فإنه خففها لما وصفت قبل ، والتشديد أحب إلي من التخفيف ، وبالتشديد القراءة ، ولا أرى قراءة ذلك بالتخفيف لإجماع الحجة من القراء على خلافه ، ومن التخفيف قول الأعشى :

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لغوا ولا كذابا) قال : باطلا وإثما .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) قال : وهي كذلك ليس فيها لغو ولا كذاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾

يعني بقوله جل ثناؤه (جزاء من ربك عطاء) أعطى الله هؤلاء المتقين ما وصف في هذه الآيات ثوابا من ربك بأعمالهم ، على طاعتهم إياه في الدنيا .

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة ، وليس من قصيدته التي يمدح بها رجلا من كندة ، يقال له ربيعة بن حيوة (ديوانه ٢٨٥ – ٢٩١) وإنما هو كما يقول المبرد في الكتاب الكامل (طبعة الحلبي ٥٦٤) مما أنشد المازني للأعشى ، وليس مما رَوت الرواة متصلا بقصيدة ، وعلى هذا فهو بيت مفرد ، ولذلك لم أجده في ديوانه بتحقيق الدكتور محمد حسين . وموضع الشاهد فيه أن قوله « ينفعه كذابه » بتخفيف الذال يؤيد قراءة بعض القراء لقوله تعالى « وكذبوا بآياتنا كذابا » فيمن قرأه بتخفيف الذال . وهي قراءة أخرى غير قراءة من قرأه بتشديدها . وقد تقدم تفصيل ذلك في الشاهد الذي قبله .

وقوله (عَطاءً) يقول : تفضلا من الله عليهم بذلك الجزاء ، وذلك أنه جزاهم بالواحد عشرا فى بعض ، وفى بعض بالواحد سبع مِئَة ، فهذه الزيادة وإن كانت جزاء فعطاء من الله .

وقوله (حِساباً) يقول : محاسبة لهم بأعمالهم لله فى الدنيا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً) قال : عطاء منه حساباً لما عملوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً) : أى عطاء كثيرا ، فجزاهم بالعمل اليسير ، الخير الجسيم ، الذى لا انقطاع له .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة ، فى قوله (عَطاءً حِساباً) قال : عطاء كثيرا ؛ وقال مجاهد : عطاء من الله حسابا بأعمالهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول فى قول الله (جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً) فقرأ (إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازًا ، حَدَائِقَ وأعْناباً ، وكَوَاعِبَ أتْرَاباً) . . . إلى (عَطاءً حِساباً) قال : فهذه جزاء بأعمالهم عطاء الذى أعطاهم ، عملوا له واحدة ، فجزاهم عشرا ، وقرأ قول الله (مَنْ جاءَ بالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِها) ، وقرأ قول الله (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ ، فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ ، وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ) قال : يزيد من يشاء ، كان هذا كله عطاء ، ولم يكن أعمالا يحسبه لهم ، فجزاهم به حتى كأنهم عملوا له ، قال : ولم يعملوا إنما عملوا عشرا ، فأعطاهم مئة ، وعملوا مئة ، فأعطاهم ألفا ، هذا كله عطاء ، والعمل الأوّل ، ثم حَسَب ذلك حتى كأنهم عملوا ، فجزاهم كما جزاهم بالذى عملوا .

وقوله (رَبِّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ وَما بَيْنَهُما الرَّحْمَنِ) يقول جلّ ثناؤه : جزاء من ربك ربّ السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلق .

واختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ وَما بَيْنَهُما الرَّحْمَنُ) بالرفع فى كليهما . وقرأ ذلك بعضُ أهل البصرة وبعضُ الكوفيين (رَبِّ) خفضاً (والرَّحْمَنُ) رفعاً ولكلّ ذلك عندنا وجه صحيح ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فصيب ، غير أن الخفض فى الربّ ، لقربه من قوله (جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ) : أعجب إلىّ ، وأما (الرَّحْمَنُ) بالرفع ، فإنه أحسن ، لبعده من ذلك .

وقوله (الرَّحْمَنُ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً) يقول تعالى ذكره : الرحمن لايقدر أحد من خلقه خطابه يوم القيامة ، إلا من أذن له منهم ، وقال صواباً .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً) قال : كلاما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً) : أى كلاما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابا) قال : لايملكون أن يخاطبوا الله ، والمخاطِب : المخاصم الذى يخاصم صاحبه .

وقوله (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ) اختلف أهل العلم فى معنى الروح فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو مَلَك من أعظم الملائكة خَلْقاً .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن خلف العَسْقَلانىّ ، قال : ثنا روّاد بن الجرّاح ، عن أبى حمزة ، عن الشعبىّ ، عن علقمة ، عن ابن مسعود ، قال : « الرُّوح ملك فى السماء الرابعة ، هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة ، يسبح الله كلّ يوم اثنى عشر ألف تسبيحة ، يخلق الله من كلّ تسبيحة مَلَكا من الملائكة ، يجىء يوم القيامة صفًّا وحده » .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ والمَلائِكَةُ) قال : هو ملك أعظم الملائكة خَلْقاً .

وقال آخرون : هو جبريل عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ) قال جبريل عليه السلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الضحاك (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوح) قال : الروح : جبريل عليه السلام .

حدثنا محمد بن خَلَف العَسْقَلانىّ ، قال : ثنا روّاد بن الجرّاح ، عن أبى حمزة عن الشعبىّ (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ) قال : الروح جبريل عليه السلام .

وقال آخرون : خَلْق من خلق الله فى صورة بنى آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال (الرُّوحُ) خَلْقٌ على صورة بنى آدم ، يأكلون ويشربون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مسلم ، عن مجاهد ، قال (الرُّوح) : خلق لهم أيد وأرجل ، وأراه قال : ورءوس ، يأكلون الطعام ، ليسوا ملائكة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، قال : يشبهون الناس ، وليسوا بالناس .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن مجاهد ، قال (الرُّوحُ) : خَلْق كخلق آدم .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودىّ ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، فى قوله (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفًّا) قال : الروح خلق من خلق الله يُضْعِفون على الملائكة أضعافاً ، لهم أيد وأرجل .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح مولى أم هانئ (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ) قال : الروح : خلق كالناس ، وليسوا بالناس .

وقال آخرون : هم بنو آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوح) قال : هم بنو آدم ، وهو قول الحسن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ) : قال : الروح بنو آدم . وقال قتادة : هذا مما كان يكتمه ابن عباس .

وقال آخرون : قيل : ذلك أرواح بنى آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفًّا لايَتَكَلَّمُونَ) قال : يعنى حين تقوم أرواح الناس مع الملائكة ، فيما بين النفختين ، قبل أن تردّ الأرواح إلى الأجساد .

وقال آخرون : هو القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان أبى يقول : الروح : القرآن ، وقرأ (وَكَذَلكَ أوْحَيْنا إلَيْكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنا ماكُنْتَ تَدْرِى ما الكِتابُ وَلا الإيمَانُ) .

✽ والصواب من القول أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ خَلْقه لايملكون منه خطابا ، يوم يقوم الرُّوح ، والرُّوح : خَلْق من خلقه . وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التى ذكرت ، والله أعلم أىّ ذلك هو؟ ولاخبر بشىء من ذلك أنه المعنىّ به دون غيره ، يجب التسليم له ، ولاحجة تدلّ عليه ، وغير ضائر الجهل به .

وقيل : إنه يقول : سِماطان .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا منصور بن عبد الرحمن ، عن الشعبيّ ، في قوله (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلَائِكَةُ صَفًّا ،لايَتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) قال : هما سِماطان[1] لربّ العالمين ، يوم القيامة : سِماط من الروح ، وسِماط من الملائكة .

وقوله (لايَتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) قيل : إنهم يُؤْذَن لهم فى الكلام ، حين يُؤْمَر بأهل النار إلى النار ، وبأهل الجنة إلى الجنة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنا أبوعمرو ، الذى يقصّ فى طيء عن عكرمة ، وقرأ هذه الآية (إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً) قال : يمرّ بأناس من أهل النار على ملائكة ، فيقولون : أين تذهبون بهؤلاء ؟ فيقال : إلى النار ، فيقولون : بما كَسَبَت أيديهم ، وما ظلمهم الله ، ويمرّ بأناس من أهل الجنة على ملائكة ، فيقال : أين تذهبون بهؤلاء ؟ فيقولون : إلى الجنة ، فيقولون : برحمة الله دخلتم الجنة ، قال : فيؤذَن لهم فى الكلام ، أو نحو ذلك .

وقال آخرون : (إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ) بالتوحيد (وَقَالَ صَوَاباً) فى الدنيا ، فوحَّد الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً) يقول : إلا من أذن له الربّ بشهادة أن لاإله إلا الله ، وهى منتهى الصواب.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقَالَ صَوَاباً) قال حقا فى الدنيا ، وعمل به .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا أبومعاوية ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبى صالح فى قوله (إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ، وَقَالَ صَوَاباً) قال : لاإله إلا الله .

قال أبوحفص : فحدثت به يحيى بن سعيد ، فقال : أنا كتبته عن عبد الرحمن بن مهدىّ ، عن أبى معاوية ، حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر العَدَنىّ ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة فى قوله (إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابا) قال : لاإله إلا الله .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن خلقه أنهم لايتكلمون يوم يقوم الروح والملائكة صفا ، إلا من أذن له منهم فى الكلام الرحمن ، وقال صوابا ، فالواجب أن يقال كما أخبر إذ لم يخبرنا فى كتابه ، ولاعلى لسان رسوله ، أنه عَنَى بذلك نوعا من أنواع الصواب ، والظاهر محتمل جميعه.

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

(١) سماطان : صفان .

❊ يقول تعالى ذكره : (ذلكَ اليَوْمُ) يعنى : يوم القيامة ، وهو يوم يقوم الروح والملائكة صفا (الْحَقُّ): يقول : إنه حقّ كائن ، لاشكّ فيه .

وقوله (فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ مآباً) يقول : فمن شاء من عباده اتخذ بالتصديق بهذا اليوم الحقّ ، والاستعداد له ، والعمل بما فيه النجاة له من أهواله (مآباً)، يعنى : مرجعا ، وهو مَفْعَل، من قولهم : آب فلان من سفره ، كما قال عَبِيد :

وكُلُّ ذِى غَيْبَةٍ يَئُوبُ　　وغائِبُ المَوْتِ لا يَئُوبُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ مآباً) قال : اتخذوا إلى الله مآباً بطاعته ، وما يقرّبهم إليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلى رَبِّهِ مآباً) قال : سبيلا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (مآباً) يقول : مرجعاً منزلاً .

وقوله (إنَّا أنْذَرْناكُمْ عَذَاباً قَرِيباً) يقول : إنا حذّرناكم أيها الناس عذاباً قد دنا منكم وقرُب ؛ وذلك (يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ) المؤمن (ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ) من خير اكتسبه فى الدنيا ، أو شر سلَفَه ، فيرجو ثواب الله على صالح أعماله ، ويخاف عقابه على سيئها .

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأو ل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن مبارك ، عن الحسن (يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ) قال : المرء المؤمن يحذَر الصغيرة ، ويخاف الكبيرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان، عن محمد بن جَحَّادة ، عن الحسن (يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ) قال : المرء المؤمن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن محمد بن جحادة ، عن الحسن ، فى قوله (يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ) قال : المرء المؤمن .

وقوله (وَيَقُولُ الكافِرُ يا لَيْتَنِى كُنْتُ تُرَاباً) يقول تعالى ذكره : ويقول الكافر يومئذ تمنيا لما يلقى من عذاب الله الذى أعدّه لأصحابه الكافرين به ، يا ليتنى كنت تراباً ، كالبهائم التى جُعِلت تُراباً .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) البيت لعبيد بن الأبرص (ديوانه طبعة الحلبى بتحقيق الدكتور حسين نصار ص ١٣) . وقد سبق الكلام عليه فى التفسير فى الجزء (١٥ : ٧١) . وفى (اللسان : أوب) : الأوب : الرجوع . آب إلى الشيء يئوب أوبا ، وإيابا ، وأوبة ، وأيبة . . والمآب : المرجع . اه . وهو مصدر ميمى ، وقد يكون اسما للزمان أو المكان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وابن أبي عدىّ ، قالا : ثنا عوف ، عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « إذا كان يوم القيامة ، مدّ الأديم ، وحشر الدوابّ والبهائم والوحش، ثم يحصل القصاص بين الدوابّ، يقتصّ للشاة الجمّاء من الشاة القرناء نطحتها، فإذا فرغ من القصاص بين الدوابّ، قال لها : كوني تراباً ، قال : فعند ذلك يقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ؛ قال : وحدثني جعفر بن برقان ، عن يزيد بن الأصمّ ، عن أبي هريرة ، قال : « إن الله يحشرُ الخلق كلهم ، كل دابة وطائر وإنسان ، يقول للبهائم والطير كونوا تراباً ، فعند ذلك يقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربيُّ عبدُ الرحمن بن محمد ، عن إسماعيل بن رافع المدنيّ ، عن يزيد ابن زياد ، عن محمد بن كعب القرظيّ ، عن رجل من الأنصار ،عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَقْضِي اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ الجِنِّ والإنْسِ والبَهائِمِ ، وإنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ الجَمَّاءِ مِنَ القَرْناءِ ، حتى إذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لأُخْرَى ، قالَ اللهُ كُونُوا تُرَاباً ، فَعِنْدَ ذلكَ يَقُولُ الكافِرُ : يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ، وَيَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً) وهو الهالك المُفْرِط العاجز ، وما يمنعه أن يقول ذلك وقد راج عليه عَوْراتُ عمله ، وقد استقبل الرحمن وهو عليه غضبان ، فتمنى الموت يومئذ ، ولم يكن في الدنيا شيء أكرهَ عنده من الموت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن أبي الزِّناد عبد الله بن ذكوان ، قال : إذا قُضِي بين الناس ، وأمر بأهل النار إلى النار قيل لمؤمني الجنّ ولسائر الأمم سوى ولد آدم : عُودُوا تراباً ، فإذا نظر الكفار إليهم قد عادوا تراباً ، قال الكافر : يا ليتني كنت تراباً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، في قوله (وَيَقُولُ الْكافِرُ يالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً) : قال : إذا قيل للبهائم : كونوا تراباً ، قال الكافر : يا ليتني كنت تراباً .

آخر تفسير سورة عمّ يتساءلون

(٧٩) سورة النازعات مكية
وآياتها ست وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝

⁂ أقسم ربنا جلّ جلاله بالنازعات ، واختلف أهل التأويل فيها ، وما هى ؟ وما تنزع ؟ فقال بعضهم : هم الملائكة التى تنزع نفوس بنى آدم ، والمنزوع نفوس الآدميين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل ، قال : ثنا النضْر بن شُميل ، قال : أخبرنا شُعبة ، عن سليمان ، قال : سمعت أبا الضُّحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (والنَّازِعاتِ غَرْقاً) قال : الملائكة .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق : أنه كان يقول فى النازعات : هى الملائكة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يوسف بن يعقوب ، قال : ثنا شعبة ، عن السدىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، فى النازعات ، قال : حين تنزع نفسه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والنَّازِعاتِ غَرْقاً) قال : تَنْزِع الأنفس .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (والنَّازِعاتِ غَرْقاً) قال : نزعت أرواحهم ، ثم غرقت ، ثم قذف بها فى النار .

وقال آخرون : بل هو الموت يَنْزِع النفوس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (والنَّازِعاتِ غَرْقاً) قال : الموت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : هى النجوم تَنْزِع من أُفق إلى أفق .

حدثنا الفضل بن إسحاق ، قال : ثنا أبو قُتَيبة ، قال : ثنا أبو العوّام ، أنه سمع الحسن فى (النّازِعاتِ غَرْقاً) قال : النجوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (والنّازِعاتِ غَرْقاً) قال : النجوم .

وقال آخرون : هى القِسِىّ تَنزِع بالسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن واصل بن السائب ، عن عطاء (والنّازِعاتِ غَرْقاً) قال : القِسِىّ .

وقال آخرون : هى النفس حين تنزع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السدىّ (والنّازِعاتِ غَرْقاً) قال : النفس حين تغرق فى الصدر .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقاً ، ولم يخصص نازعة دون نازعة ، فكلّ نازعة غَرْقاً ، فداخلة فى قَسَمه ، مَلَكاً كان أو موتاً ، أو نجماً ، أو قوساً ، أو غير ذلك . والمعنى : والنازعات إغراقاً ، كما يغرق النازع فى القوس .

وقوله (والنّاشِطاتِ نَشْطاً) اختلف أهل التأويل أيضا فيهنّ ، وما هنّ ، وما الذى يَنْشِط ، فقال بعضهم : هم الملائكة ، تَنْشِط نفس المؤمن فتقبضها ، كما يُنْشَط العِقال من البعير إذا حُلّ عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (والنّاشِطاتِ نَشْطاً) قال : الملائكة .

وكان الفرّاء يقول : الذى سمعت من العرب : أن يقولوا : أَنْشَطْت ، وكأنما أُنْشط من عِقال ، ورَبْطُها : نشطها ، والرابط : الناشِط ، قال : وإذا ربطت الحبل فى يد البعير فقد نَشَطْتَه تَنْشِطه ، وأنت ناشِط ، وإذا حللته فقد أنشطته .

وقال آخرون (النّاشِطاتِ نَشْطاً) هو الموت يَنْشِط نفسَ الإنسان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (والنّاشِطاتِ نَشْطا) قال : الموت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يوسف بن يعقوب ، قال : ثنا شعبة عن السدىّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس (والنَّاشِطاتِ نَشْطاً) قال : حين تَنْشِط نفسَه .

حدثنا أبو كُرَيب، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان، عن السدىّ (والنَّاشِطاتِ نَشْطاً) قال : نَشْطُها: حين تُنْشَط من القدمين .

وقال آخرون : هي النجوم تَنْشِط من أفق إلى أفق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (والنَّاشِطاتِ نَشْطاً) قال : النجوم .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والنَّاشِطاتِ نَشْطاً) قال : هنّ النجوم .

وقال آخرون : هي الأوهاق [١] .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن واصل بن السائب ، عن عطاء (والنَّاشِطاتِ نَشْطاً) قال : الأوهاق .

❊ والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالناشطات نَشْطاً ، وهي التي تَنْشُط من موضع إلى موضع ، فتذهب إليه ، ولم يخصص الله بذلك شيئاً دون شيء ، بل عمّ القَسَم بجميع الناشطات ، والملائكة تَنْشُط من موضع إلى موضع ، وكذلك الموت ، وكذلك النجوم والأوهاق وبقر الوحش أيضا تَنْشُط ، كما قال الطِّرِمّاح :

وَهَلْ بِحَلِيفِ الخَيْلِ مِمَّنْ عَهِدْتُهُ ... بِهِ غَـيْرُ أُحْدانَ النَّوَاشِطِ رُوْعُ [٢]

يعني بالنواشط : بقر الوحش ، لأنها تنشَط من بلدة إلى بلدة ، كما قال رُؤْبة بن العجّاج :

تَنَشَّطَتْه كلُّ مِغْلاةِ الوَهَقْ [٣]

والهموم تَنْشُط صاحبها ، كما قال هِمْيان بن قُحافة :

أمْسَتْ هُمُومِى تَنْشُـطُ المَنَاشِطَا ... الشَّامَ بِى طَوْرًا وَطَوْرًا وَاسِطَا [٤]

فكلّ ناشط فداخل فيما أقسم به ، إلا أن تقوم حجة يجب التسليم لها ، بأن المعنىّ بالقسم من ذلك ، بعض دون بعض.

وقوله (والسَّابِحاتِ سَبْحا) يقول تعالى ذكره : واللواتي تسبحُ سَبْحا .

---

(١) الأوهاق : جمع وهق ، بسكون الهاء أو تحريكها ، وهي الحبل المغار يرمى فيه أنشوطة ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٢) البيت للطرماح بن حكيم (ديوانه ١١٥) قال شارحه في تفسيره : يعني بالنواشط بقر الوحش ، لأنها تنشط من بلدة إلى بلدة .

(٣) البيت لرؤبة الراجز (ديوانه ١٠٤) و (اللسان : نشط) قال : وتنشطت الناقة الأرض : قطعتها . وفاعل تنشط : هو الناقة ، والهاء راجعة إلى الخرق المذكور . قال : يقول : تناولته وأسرعت رجع يديها . والمغلاة البعيدة الخطو . والوهق : المباراة في السير . يريد أنها ناقة سريعة السير . وجملة تنشطته خبر رب في أول الأرجوزة : « وقاتم الأعماق » .

(٤) البيتان في (اللسان : نشط) لهميان بن قحافة . قال : قال الأخفش : الحمار ينشط من بلد إلى بلد ، والهموم تنشط بصاحبها وقال هميان : « أمست هموى . . . » البيت . يقول صارت هموى تنقلني من بلد إلى بلد ، فرة إلى الشام ، ومرة إلى واسط بالعراق .

⁂ واختلف أهل التأويل فى التى أقسم بها جلّ ثناؤه من السابحات ، فقال بعضهم : هى الموت تسبح فى نفس ابن آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (والسَّابِحاتِ سَبْحاً) قال : الموت ، هكذا وجدته فى كتابى[1] .

وقد حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد (والسَّابِحاتِ سَبْحاً) قال : الملائكة ، وهكذا وجدت هذا أيضا فى كتابى ، فإن يكن ما ذكرنا عن ابن حميد صحيحاً ، فإن مجاهدا كان يرى أن نزول الملائكة من السماء سباحة ، كما يقال للفرس الجواد : إنه لسابح إذا مرّ يُسرع .

وقال آخرون : هى النجوم تَسْبح فى فلكها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والسَّابِحاتِ سَبْحاً) قال : هى النجوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : هى السُّفُن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن واصل بن السائب ، عن عطاء (والسَّابِحاتِ سَبْحاً) قال : السفن .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالسابحات سَبْحاً من خلقه ، ولم يخصص من ذلك بعضا دون بعض ، فذلك[2] كل سابح ، لما وصفنا قبلُ فى « النازعات »[3] .

وقوله (فالسَّابِقاتِ سَبْقاً) اختلف أهل التأويل فيها ، فقال بعضهم : هى الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد (فالسَّابِقاتِ سَبْقاً) قال : الملائكة .

وقد حدثنا بهذا الحديث أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فالسَّابِقاتِ سَبْقاً) قال : الموت .

وقال آخرون : بل هى الخيل السابقة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن واصل بن السائب ، عن عطاء (فالسَّابِقاتِ سَبْقاً) . قال : الخيل

---

(١) كأن جابرا يرى تفسير السابحات وهى جمع ، بالموت وهو مفرد ، ليس بشىء ، ولذلك قال : هكذا وجدته فى كتابى . ولعله يريد : هكذا كتبته كما سمعته عن الشيوخ .

(٢) فذلك . . . لعل أصل العبارة : فشمل ذلك . . . الخ .

(٣) أى فى تأويل لفظ « النازعات » .

وقال آخرون : بل هي النجوم يَسبق بعضها بعضاً في السير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالسَّابِقاتِ سَبْقاً) قال : هي النجوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

والقول عندنا في هذه ، مثل القول في سائر الأحرف الماضية .

وقوله (فالمُدَبِّراتِ أمْرًا) يقول : فالملائكة المدبرة ما أُمِرَت به من أمر الله ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالمُدَبِّراتِ أمْرًا) قال : هي الملائكة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) يقول تعالى ذكره (يَوْمَ تَرْجُفُ الأرْضُ وَالجِبالُ) للنفخة الأولى (تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ) تتبعها أخرى بعدها ، وهي النفخة الثانية التي رَدِفَتِ الأولى ، لبعث يوم القيامة.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) يقول : النفخة الأولى .

وقوله (تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ) يقول : النفخة الثانية .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ) يقول : تتبع الآخرةُ الأولى ، والراجفة : النفخةُ الأولى ، والرادفة : النفخة الآخرة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، قوله (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ) قال : هما النفختان : أما الأولى فتُميت الأحياء ، وأما الثانية فتُحيي الموتى ، ثم تلا الحسن (ونُفِخَ فِي الصُّورِ ، فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ، فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ) قال : هما الصَّيْحتان ، أما الأولى فتُميت كلّ شيء بإذن الله ، وأما الأخرى فتُحيي كل شي بإذن الله ، إن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « بَيْنَهُما أرْبَعُونَ » قال أصحابه : والله ما زادنا على ذلك . وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يُبْعَثُ فِي تِلْكَ الأرْبَعِينَ مَطَرٌ يُقالُ لَهُ الحَياةُ ، حتى تَطِيبَ الأرْضُ وَتَهْتَزَّ ، وتَنْبُتَ أجْسادُ النَّاسِ نَباتَ البَقْلِ ، ثُمَّ تُنْفَخُ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ ، فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المُحَاربيّ ، عن إسماعيل بن رافع المَدَنيّ ، عن يزيد

ابن أبي زياد، عن رجل، عن محمد بن كعب القُرَظِيّ، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الصُّور، فقال أبو هريرة: يا رسول الله، وما الصُّور؟ قال: قَرْنٌ، قال: فكيف هو؟ قال: قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخات: الأُولى نَفْخَةُ الفَزَع، والثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْق، والثَّالِثَةُ نَفْخَةُ القيام، فيَفْزَعُ أهْلُ السَّمَوَاتِ والأرْض إلاَّ مَنْ شاء الله، ويأمر الله فيديمُها، ويطوِّلها، ولا يَفْتُر، وهي التي تقول: ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فَوَاق، فيسير الله الجبال، فتكون سَراباً، وتُرَجّ الأرض بأهلها رجًّا، وهي التي يقول (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ)».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطُّفيل بن أُبَيّ، عن أبيه، قال: «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ) فقال: جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه».

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) النفخة الأولى، (تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ): النفخة الأخرى.

وقال آخرون في ذلك ما حدثني به محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) قال: ترجف الأرض والجبال، وهي الزلزلة. وقوله (الرَّادِفَةُ) قال: هو قوله (إذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ ــ فدُكّتا دَكّةً واحدة).

وقال آخرون: ترجف الأرض، والرادفة: الساعة.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) الأرض، وفي قوله (تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ) قال: الرادفة: الساعة.

واختلف أهل العربية في موضع جواب قوله (والنَّازِعات غَرْقاً) فقال بعضُ نحويِّي البصرة: قوله (والنَّازِعات غَرْقاً): قسم والله أعلم على (إنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) وإن شئت جعلتها على (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) وهو كما قال الله وشاء أن يكون في كل هذا، وفي كلّ الأمور. وقال بعض نحويِّي الكُوفة: جواب القسم في النازعات: ما تُرِك، لمعرفة السامعين بالمعنى، كأنه لو ظهر كان لَتُبْعَثُنَّ ولتحاسبنّ قال: ويدل على ذلك (أئِذَا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً) ألا ترى أنه كالجواب لقوله (لَتُبْعَثُنَّ) إذ قال (أئِذَا كُنَّا عِظاما نَخِرَةً)، وقال آخر منهم نحو هذا، غير أنه قال: لا يجوز حذف اللام في جواب اليمين، لأنها إذا حذفت لم يُعرف موضعها، وذلك أنها تلي كلّ كلام.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن جواب القسم في هذا الموضع، مما استغنى عنه بدلالة الكلام، فتُرك ذكره.

وقوله (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) يقول تعالى ذكره : قلوب خلقٍ من خلقه يومئذ، خائفة من عظيم الهول النازل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال: ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) يقول : خائفة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : واجفة : خائفة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في « واجفة » ، قال : خائفة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) يقول : خائفة ، وجفت مما عاينت يومئذ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) قال : الواجفة : الخائفة .

وقوله (أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) يقول : أبصار أصحابها ذليلة مما قد علاها من الكآبة والحزن من الخوف والرعب الذي قد نزل بهم ، من عظيم هول ذلك اليوم .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) قال : خاشعة للذلّ الذي قد نزل بها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) يقول : ذليلة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المكذّبون بالبعث من مشركي قريش إذا قيل لهم : إنكم مبعوثون من بعد الموت : أئنا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل الممات ، فراجعون أحياء كما كنا قبل هلاكنا ، وقبل مماتنا ، وهو من قولهم : رجع فلان على حافرته : إذا رجع من حيث جاء ؛ ومنه قول الشاعر :

أحافِرَةً عَلى صَلَعٍ وشَيْبٍ مَعاذَ اللهِ مِنْ سَفَهٍ وطَيْشِ[1]

(1) البيت في (اللسان : حفر) ولم ينسبه . والرواية فيه وفي تفسير الشوكاني (٥ : ٣٦٣) « من سفه وعار » قال في اللسان : يقال : رجع على حافرته : أي الطريق الذي جاء منه . والحافرة : الخلقة الأولى ، وفي التنزيل : « أئنا لمردودون في الحافرة » : أي في أول أمرنا . وأنشد ابن الأعرابي : « أحافرة ... البيت » . يقول : أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي وأمري الأول ، من الغزل والصبا ، بعد ما شبت وصلعت . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : أئنا لمردودون في الحافرة : من حيث كنا ، يقال : رجع فلان في حافرته : من حيث جاء ، وعلى حافرته : من حيث كان . اهـ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الْحَافِرَةُ) : يقول : الحياة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ) يقول : أئنا لنحيا بعد موتنا ، ونُبعث من مكاننا هذا ؟

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة يقول (أئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ) : « أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً » ؟

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فِى الْحَافِرَةِ) قال : أى مردودون خلقا جديدا .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس أو محمد بن كعب القُرَظىّ (أئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ) قال : فى الحياة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ (أئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ) قال : فى الحياة .

وقال آخرون : الحافرة : الأرض المحفورة التى حُفرت فيها قبورهم ، فجعلوا ذلك نظير قوله (مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ) يعنى مدفوق ، وقالوا : الحافرة بمعنى المحفورة ، ومعنى الكلام عندهم : أئنا لمردودون فى قبورنا أمواتا ؟

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الْحَافِرَةِ) قال : الأرض ، نُبعث خلقا جديدا ، قال : البعث .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ) قال : الأرض ، نُبعث خلقا جديدا .

وقال آخرون : الحافرة : النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول فى قول الله : (أئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ) : قال : الحافرة : النار ، وقرأ قول الله (تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ) قال : ما أكثر أسماءها ، هى النار ، وهى الجحيم ، وهى سَقَرُ ، وهى جَهَنَّم ، وهى الهاوية ، وهى الحافرة ، وهى لَظَى ، وهى الحُطَمَة .

وقوله (أئِذَا كُنَّا عِظَاما نَخِرَةً) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والحجاز والبصرة (نَخِرَةً) بمعنى : بالية . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (نَاخِرَةً) بألف ، بمعنى : أنها مجوّفة ، تنخر

الرياح في جوفها إذا مرّت بها . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول : الناخرة والنَّخِرة : سواء في المعنى ، بمنزلة الطامع والطمِع ، والباخل والبَخِل ، وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا (نَخِرَةً) ، بغير ألف ، بمعنى : بالية ، غير أن رءوس الآى قبلها وبعدها جاءت بالألف ، فأعْجَبُ إليّ لذلك أن تُلْحَق ناخرة بها ، ليتفق هو وسائر رءوس الآيات ، لولا ذلك كان أعجب القراءتين إليّ حذف الألف منها .

ذكر من قال (نَخِرَةً) : بالية

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أئِذَا كُنَّا عِظاما نَخِرَةً) فالنخرة : الفانية البالية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (عِظاما نَخِرَةً) قال : مَرْفوتة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أئِذَا كُنَّا عِظاما) : تكذيبا بالبعث ، ناخرة : بالية . قالوا (تِلْكَ إذًا كَرَّةٌ خاسِرَةٌ) يقول جلّ ثناؤه عن قيل هؤلاء المكذّبين بالبعث ، قالوا : تلك يعنون تلك الرجعة ، أحياء بعد الممات ، إذًا : يعنون الآن كرّة ، يعنون رَجْعة خاسرة ، يعنون غابنة .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إذًا كَرَّةٌ خاسِرَةٌ) : أي رَجْعة خاسرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تِلْكَ إذًا كَرَّةٌ خاسِرَةٌ) . قال : وأيّ كرّة أخسر منها ، أحيوا ثم صاروا إلى النار ، فكانت كرّة سوء .

وقوله (فإنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) يقول تعالى ذكره : فإنما هي صَيْحة واحدة ، ونفخة تُنفَخ في الصُّور ، وذلك هو الزَّجْرة .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) قال : صيحة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) قال : الزَّجرة : النفخة في الصور .

وقوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) يقول تعالى ذكره : فإذا هؤلاء المكذّبون بالبعث ، المتعجبون من إحياء الله إياهم من بعد مماتهم ، تكذيبا منهم بذلك ، بالساهرة ، يعني بظهر الأرض . والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض : ساهرة ، وأراهم سموا ذلك بها ، لأن فيه نوم الحيوان وسَهَرها ، فوصف بصفة مافيه ؛ ومنه قول أُميّة بن أبي الصَّلْت :

وفيها لَحْمُ ساهِرَةٍ وَبَحْرٍ ... وَما فاهُوا بِهِ لَهُمُ مُقِيمُ[١]

ومنه قول أخي نهم يوم ذي قار لفرسه :

أَقْدِمْ « مِحاجُ » إنها الأساوِرَهْ ... وَلا يَهُولَنَّكَ رِجْلٌ نادِرَهْ

فإنَّما قَصْرُكَ تُرْبُ السَّاهِرَهْ ... ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَها فى الْحافِرَهْ

مِنْ بَعْدِ ما كُنْتَ عِظاما ناخِرَهْ[٢]

✲ واختلف أهل التأويل فى معناها . فقال بعضهم مثل الذى قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم . قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : على الأرض ، قال : فذكر شعرا قاله أُمية بن أبى الصلت ، فقال :

عِنْدَنا صَيْدُ بَحْرٍ وَصَيْدُ ساهِرَةٍ[٣]

حدثنا محمد بن عبد الله بن بَزِيع ، قال : ثنا أبو محصن ، عن حصين ، عن عكرمة ، فى قوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : الساهرة : الأرض ، أما سمعت : لهم صيد بحر ، وصيد ساهرة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) يعنى : الأرض .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علَيّة ، قال : ثنا عُمارة بن أبى حفصة ، عن عكرمة ، فى قوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : فإذا هم على وجه الأرض ، قال : أو لم تسمعوا ما قال أُمية بن أبى الصلت لهم :

---

(١) البيت لأمية بن أبى الصلت (ديوانه : ٥٢ واللسان : سهر) وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٤) قال : « الساهرة » : الفلاة ، ووجه الأرض . قال أمية بن أبى الصلت : « وفيها لحم ساهرة . . . البيت » : وفاهوا : تكلموا . وقال الفراء فى معانى القرآن (٥٦) : وقوله « فإذا هم بالساهرة » : وهو وجه الأرض كأنها سميت بهذا الاسم لأن فيها الحيوان : نومهم وسهرهم . وبإسناده إلى ابن عباس ، أنه قال : الساهرة الأرض . وأنشد : « ففيها لحم ساهرة . . . البيت » . اهـ . ويصف الجنة بأنهم يطعمون فيها لحما من الصيد ولحم البحر ، وكل ما فاهت به أفواههم من شىء ، وجدوه حاضرا لديهم .

(٢) هذه خمسة أبيات من مشطور الرجز ، نسبها صاحب (اللسان : نخر) إلى الهمدانى . قال ابن برى : وقال الهمدانى يوم القادسية ، ورواية البيتين الأولين مختلفة شيئا ، وهى :

أقْدِمْ أخا نَهْمٍ عَلَى الأساوِرَهْ ... وَلا تَهُولَنْكَ رُءُوسٌ نادِرَهْ

وبعدها بقية الأبيات ، كرواية المؤلف . ومحاج فى رواية المؤلف بفتح الميم وكسرها : اسم فرس ، وأما على رواية ابن برى ، فإنه يخاطب رجلا . والأساورة : جمع أسوار بضم الهمزة وكسرها ؛ قيل كما فى تاج العروس : هو قائد الفرس ، بمنزلة الأمير فى العرب . وقيل : هو الملك الأكبر . وقيل : هو الجيد الرمى بالسهام . وقيل : هو الثابت على ظهر الفرس . والنادرة : التى ندرت عن الجسد وفارقته . وقصرك : نهاية أمرك وغايته ، والساهرة : الأرض أو الفلاة ، كما تقدم ذكره . والحافرة : الأولى قبل الموت . والناخرة بمعنى النخرة ، وهى البالية . وفى (اللسان : نخر) فى قوله تعالى : « أئذا كنا عظاما نخرة » : وقرئ : ناخرة ، قال : وناظرة أجود الوجهين ؛ لأن الآيات بالألف ، ألا ترى أن ناخرة مع الحافرة والساهرة ، أشبه بمجىء التأويل . قال : والناخرة والنخرة : سواء فى المعنى ، بمنزلة الطامع والطمع . قال ابن برى : قال الهمدانى يوم القادسية : « أقدم أخا نهم . . . الأبيات الخمسة » . اهـ .

(٣) هذا كلام غير موزون ، وبيت أمية بن أبى الصلت تقدم قريبا ، ونعيده هنا كما وجدناه فى ديوانه : ٥٢ .

وفِيها لَحْمُ ساهِرَةٍ وَبَحْرٍ ... وما فاهُوا بِهِ أبَدًا مُقِيمُ

وفيها لَحْمُ ساهِرَةٍ وبَحْرِ

حدثنا عمارة بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرمة ، فى (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرة ِ) قال : فإذا هم على وجه الأرض ، قال أمية :

وفيها لَحْمُ ساهِرَةٍ وبَحْرِ

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) فإذا هم على وجه الأرض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بالسَّاهِرَةِ) قال : المكان المستوى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما تباعد البعث فى أعين القوم ، قال الله (فإنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) يقول : فإذا هم بأعلى الأرض ، بعد ما كانوا فى جوفها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بالسَّاهِرَةِ) قال : فإذا هم يخرجون من قبورهم فوق الأرض ، والأرض : الساهرة ، قال : فإذا هم يخرجون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرمة وأبى الهيثم ، عن سعيد بن جُبير (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : بالأرض .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى الهيثم ، عن سعيد بن جُبير ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حصين ، عن عكرمة ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) : وجه الأرض .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرة ِ) قال : الساهرة : ظهر الأرض فوق ظهرها .

وقال آخرون : الساهرة : اسم مكان من الأرض بعينه معروف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنى الوليد بن مسلم ، عن عثمان بن أبى العاتكة ، قوله (فإنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : بالصُّقْع الذى بين جبل حَسَّان ، وجبل أريحاء ، يمدّه الله كيف يشاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : أرض بالشام .

وقال آخرون : هو جبل بعينه معروف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا الحسن بن بلال ، قال : ثنا حماد ، قال : أخبرنا أبوسنان ، عن وهب ابن منبه ، قال فى قول الله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : الساهرة : جبل إلى جنب بيت المقدس .

وقال آخرون : هى جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان العقيلى ، قال : ثنى سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : فى جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هل أتاك يا محمد حديث موسى بن عمران ، وهل سمعت خبره حين ناجاه ربه بالواد المقدّس ، يعنى بالمقدّس : المطهَّر المبارك . وقد ذكرنا أقوال أهل العلم فى ذلك فيما مضى ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وكذلك بيَّنا معنى قوله (طُوًى) وما قال فيه أهل التأويل ، غير أنا نذكر بعض ذلك هاهنا .

وقد اختلف أهل التأويل فى قوله (طُوًى) فقال بعضهم : هو اسم الوادى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (طُوًى) اسم الوادى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّكَ بالْوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى) قال : اسم المقدّس طُوًى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إذْ نادَاهُ رَبُّهُ بالْوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى) كنا نحدّث أنه قدّس مرّتين ، واسم الوادى طُوًى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : طَأِ الأرض حافيا .

ذكر بعض من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (إنَّكَ بالْوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى) قال : طَأِ الأرض بقدمك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أن الوادى قدّس طُوًى : أى مرّتين ، وقد بيَّنا ذلك كله ووجوهه ، فيما

مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وقرأ ذلك الحسن بكسر الطاء ، وقال : بُثّتْ فيه البركة والتقديس مرّتين . حدثنا بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (طُوًى) بالضمّ ولم يجرّوه ، وقرأ ذلك بعض أهل الشأم والكوفة (طُوًى) بضمّ الطاء والتنوين .

وقوله (اذْهَبْ إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى) يقول تعالى ذكره : نادى موسى ربّه : أن اذهب إلى فرعون ، فحذفت « أن » ، إذ كان النداء قولا ، فكأنه قيل لموسى قال ربه : اذهب إلى فرعون . وقوله (إنَّهُ طَغَى) يقول : عتا وتجاوز حدّه فى العدوان ، والتكبر على ربه .

وقوله (فَقُلْ هَلْ لَكَ إلى أنْ تَزَكَّى) يقول : فقل له : هل لك إلى أن تتطهّر من دنس الكفر ، وتؤمن بربك ؟

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَلْ لَكَ إلى أنْ تَزَكَّى) قال : إلى أن تسلم . قال : والتزكى فى القرآن كله : الإسلام ، وقرأ قول الله (وَذَلكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) قال : من أسلم ، وقرأ (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) قال : يسلم ، وقرأ (وَمَا عَلَيْكَ ألاَّ يَزَّكَّى) أن لا يسلم .

حدثنى سعيد بن عبد الله بن عبد الحَكَم ، قال : ثنا حفص بن عُمَرَ العَدَنِىّ ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قول موسى لفرعون (هَلْ لَكَ إلى أنْ تَزَّكَّى) هل لك إلى أن تقول لاإله إلا الله .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (تَزَكَّى) فقرأته عامة قرّاء المدينة (تزّكّى) بتشديد الزاى ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة (إلى أنْ تَزَكَّى) بتخفيف الزاى . وكان أبو عمرو يقول ، فيما ذُكر عنه: (تَزَّكَّى) بتشديد الزاى ، بمعنى : تتصدّق بالزكاة ، فتقول : تتزكى ، ثم تدغم ، وموسى لم يدع فرعون إلى أن يتصدّق وهو كافر ، إنما دعاه إلى الإسلام ، فقال : تزكى : أى تكون زاكيا مؤمنا ، والتخفيف فى الزاى هو أفصح القراءتين فى العربية .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ۝ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه موسى : قل لفرعون : هل لك إلى أن أرشدك إلى مايرضى ربك عنك ، وذلك الدين القيم فتخشى : يقول : فتخشى عقابه بأداء ما ألزمك من فرائضه ، واجتناب ما نهاك عنه من معاصيه .

وقوله (فأرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى) يقول تعالى ذكره : فأرى موسى فرعونَ الآية الكبرى ، يعنى الدلالة الكبرى على أنه لله رسول أرسله إليه ، فكانت تلك الآية يد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين ، وعصاه إذ تحوّلت ثعبانا مبينا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، عن محمد بن سيف أبى رجاء هكذا هو فى كتابى ، وأظنه عن نوح بن قيس ، عن محمد بن سيف ، قال : سمعت الحسن يقول فى هذه الآية (فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى) قال : يده وعصاه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى) قال : عصاه ويده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى) قال : رأى يد موسى وعصاه ، وهما آيتان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الآيَةَ الكُبْرَى) قال : عصاه ويده .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى) قال : العصا والحية .

وقوله (فَكَذَّبَ وَعَصَى) يقول : فكذّب فرعون موسى فيما أتاه من الآيات المعجزة ، وعصاه فيما أمره به من طاعته ربه ، وخشيته إياه .

وقوله (ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى) يقول : ثم ولى مُعرضا عما دعاه إليه موسى من طاعته ربه ، وخشيته وتوحيده يسعى : يقول : يعمل فى معصية الله ، وفيما يُسخطه عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى) قال : يعمل بالفساد .

وقوله (فَحَشَرَ فَنَادَى) يقول : فجمع قومه وأتباعه ، فنادى فيهم (فَقَالَ) لهم (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) الذى كلُّ ربّ دونى ، وكذَبَ الأحمقُ .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَحَشَرَ فَنَادَى) قال : صرخ وحشر قومه ، فنادى فيهم ، فلما اجتمعوا قال : أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نَكَالَ الآخرة والأولى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ۝ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۝ ﴾

يعني تعالى ذكره بقوله (فأخذه الله) فعاقبه الله (نكال الآخرة والأولى) يقول : عقوبة الآخرة من كلمتيه ، وهى قوله (أنا ربكم الأعلى) ، والأولى قوله (ما علمت لكم من إله غيرى) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : سمعت أبا بكر ، وسئل عن هذا ، فقال : كان بينهما أربعون سنة ، بين قوله (ما علمت لكم من إله غيرى) ، وقوله (أنا ربكم الأعلى) ، قال : هما كلمتاه . (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) قيل له : من ذكره ؟ قال : أبو حصين ، فقيل له : عن أبى الضحى ، عن ابن عباس ؟ قال : نعم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) قال : أما الأولى فحين قال : (ما علمت لكم من إله غيرى) ، وأما الآخرة فحين قال : (أنا ربكم الأعلى) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبى الوضاح ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن مجاهد ، فى قوله (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) قال : هو قوله : (ما علمت لكم من إله غيرى) ، وقوله (أنا ربكم الأعلى) ، وكان بينهما أربعون سنة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن إسماعيل الأسدى ، عن الشعبى ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن زكريا ، عن عامر (نكال الآخرة والأولى) قال : هما كلمتاه : (ما علمت لكم من إله غيرى — وأنا ربكم الأعلى) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (نكال الآخرة والأولى) : فذلك قوله (ما علمت لكم من إله غيرى) ، والآخرة فى قوله (أنا ربكم الأعلى) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : أخبرنى من سمع مجاهدا يقول : كان بين قول فرعون (ما علمت لكم من إله غيرى) ، وبين قوله (أنا ربكم الأعلى) أربعون سنة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله

(نَكالَ الآخِرَةِ والأولى) أما الأولى فحين قال فرعون : (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى) ، وأما الآخرة فحين قال : (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) ، فأخذه الله بكلمتيه كلتيهما ، فأغرقه فى اليم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فأخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : اختلفوا فيها ، فمنهم من قال : نكال الآخرة من كلمتيه ، والأولى قوله : (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى) ، وقوله : (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) .

وقال آخرون : عذاب الدنيا ، وعذاب الآخرة ، عجَّل الله له الغرق ، مع ما أعدّ له من العذاب فى الآخرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة الجُعْفىّ ، قال : كان بين كلمتَى فرعون أربعون سنة ، قوله (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) ، وقوله (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن ثُوير ، عن مجاهد ، قال : مكث فرعون فى قومه بعد ما قال (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) أربعين سنة .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : فأخذه الله نكال الدنيا والآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هَوْذَة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (فأَخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : الدنيا والآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (فأَخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : عقوبة الدنيا والآخرة ، وهو قول قتادة .

وقال آخرون : الأولى عصيانه ربه وكفره به ، والآخرة قوله (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبى رَزِين (فأخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : الأولى تكذيبه وعصيانه ، والآخرة قوله (أنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى) ، ثم قرأ (فَكَذَّبَ وعَصَى ، ثُمَّ أدْبَرَ يَسْعَى ، فَحَشَرَ فَنادَى ، فَقالَ أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) ، فهى الكلمة الآخرة .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أنه أخذه بأوّل عمله وآخره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فأَخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : أوّل عمله وآخره .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فأَخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : أول أعماله وآخرها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبيّ : (أَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ والأُولَى) قال : نكال الآخرة من المعصية والأولى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (نَكَالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : عمله للآخرة والأولى .

وقوله (إنَّ فِي ذلكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) يقول تعالى ذكره : إن فى العقوبة التى عاقب الله بها فرعون فى عاجل الدنيا ، وفى أخذه إياه : نكالَ الآخرة والأولى : عظة ومعتبرا لمن يخاف الله ، ويخشى عقابه . وأخرج نكالَ الآخرة مصدرا من قوله (فأَخَذَهُ اللهُ) لأن قوله (فأَخَذَهُ اللهُ) نَكَّل به . فجعل (نَكَالَ الآخِرَةِ) مصدرا من معناه ، لا من لفظه .

وقوله (أأنْتُمْ أشَدُّ خَلْقًا أمِ السَّماءُ بَنَاها) يقول تعالى ذكره للمكذّبين بالبعث من قريش ، القائلين (أئِذَا كُنَّا عِظامًا نَخِرَةً ، قالُوا تِلكَ إذًا كَرَّةٌ خاسِرَةٌ) : أأنتم أيها الناس أشدّ خلقا ، أم السماء بناها ربكم ؟ فإن من بنى السماء فرفعها سقفا ، هيِّن عليه خلقكم وخلق أمثالكم ، وإحياؤكم بعد مماتكم . وليس خلقكم بعد مماتكم بأشدّ من خلق السماء . وعُنِى بقوله (بَنَاها) : رَفَعَها ، فجعلها للأرض سقفا .

وقوله (رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاها) يقول تعالى ذكره : فسوّى السماء ، فلا شيء أرفع من شيء ، ولا شيء أخفض من شيء ، ولكن جميعها مستوى الارتفاع والامتداد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاها) يقول : رفع بناءها فسوّاها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاها) قال : رفع بناءها بغير عمد .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (رَفَعَ سَمْكَهَا) يقول : بُنْيانها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۝ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۝

وقوله (وأغْطَشَ لَيْلَهَا) يقول تعالى ذكره : وأظلم ليل السماء ، فأضاف الليل إلى السماء ، لأن الليل

غروب الشمس ، وغروبها وطلوعها فيها ، فأضيف إليها لمَّا كان فيها ، كما قيل نجوم الليل ، إذ كان فيه الطلوع والغروب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأغْطَشَ لَيْلَهَا) يقول : أظلم ليلها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وأغْطَشَ لَيْلَهَا) يقول : أظلم ليلها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأغْطَشَ لَيْلَهَا) قال : أظلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأغْطَشَ لَيْلَهَا) قال : أظلم ليلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأغْطَشَ لَيْلَهَا) قال : أظلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأغْطَشَ لَيْلَهَا) قال : الظلمة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأغْطَشَ لَيْلَهَا) يقول : أظلم ليلها .

حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم عن عكرمة (وأغْطَشَ لَيْلَهَا) قال : أظلم ليلها .

وقوله (وأخْرَجَ ضُحاها) يقول : وأخرج ضياءها ، يعنى : أبرز نهارها فأظهره ، ونوّر ضحاها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأخْرَجَ ضُحاها) نوّرها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأخْرَجَ ضُحاها) يقول : نوّر ضياءها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأخْرَجَ ضُحاها) قال : نهارَها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأخْرَجَ ضُحاها) قال : ضوء النهار .

وقوله (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها): اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (بَعْدَ ذلكَ) فقال بعضهم : دُحيت الأرض من بعد خَلق السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء ، ثم ذكر السماء قبل الأرض ، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها ، أخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرْعاها ، والجِبالَ أرْساها) يعنى : أن الله خلق السموات والأرض، فلما فرغ من السموات قبل أن يخلق أقوات الأرض فيها، بعد خلق السماء ، وأرسى الجبال ، يعنى بذلك دَحْوها الأقوات ، ولم تكن تصلح أقوات الأرض ونباتها إلا بالليل والنهار ، فذلك قوله (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) ألم تسمع أنه قال (أخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرْعاها) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن عكرمة، عن ابن عباس ، قال : وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفى عام ، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأخنس ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : خلق الله البيت قبل الأرض بألفى سنة ، ومنه دُحيت الأرض .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والأرض مع ذلك دحاها ، وقالوا : الأرض خُلقت ودُحيت قبل السماء ، وذلك أن الله قال : (هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ ما فِى الأرْضِ جَمِيعاً ، ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) قالوا : فأخبر الله أنه سوّى السموات بعد أن خلق ما فى الأرض جميعا ، قالوا فإذا كان ذلك كذلك، فلا وجه لقوله (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) إلا ما ذكرنا، من أنه مع ذلك دحاها ، قالوا : وذلك كقول الله عزّ وجلّ : (عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلكَ زَنِيمٍ) بمعنى : مع ذلك زنيم ، وكما يقال للرجل : أنت أحمق ، وأنت بعد هذا لئيم الحسب ، بمعنى : مع هذا ، وكما قال جلّ ثناؤه (وَلَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ) : أى من قبل الذكر ، واستشهد بقول الهُذَلِىّ :

حَمِدْتُ إلَهِى بَعْدَ عُرْوَةَ إذْ نَجا ... خِراشٌ وبَعْضُ الشَّرِّ أهْوَنُ مِنْ بَعْضِ [1]

وزعموا أن خراشا نجا قبل عُرْوة .

---

(١) البيت لأبى خراش الهذلى (شرح التبريزى على الحماسة ٢ : ٤٣) من قصيدة له قالها فى أخيه عروة وابنه خراش بن ابى خراش ، وكان قوم من العرب أسروهما ، فقتلوا عروة ، ونجا خراش . وقد ذهب المؤلف إلى أن (بعد) فى البيت بمعنى (مع) وكان الشاعر يقول : حمدت إلهى على نجاة خراش ، مع ما أصبت به من قتل عروة أخى . وانظر (ديوان الهذليين ٢ : ١٥٧) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خَصيف ، عن مجاهد (والأرضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) قال : مع ذلك دحاها .

حدثني ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، أنه قال (والأرْضَ عِنْدَ ذلكَ دَحاها) .

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا عليّ بن معبد ، قال : ثنا محمد بن سلمة ، عن خصيف ، عن مجاهد (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) قال : مع ذلك دحاها .

حدثني محمد بن خلف العَسْقلانيّ ، قال : ثنا روّاد بن الجرّاح ، عن أبي حمزة ، عن السديّ ، في قوله (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) قال : مع ذلك دحاها .

☼ والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن الله تعالى خلق الأرض ، وقدّر فيها أقواتها ، ولم يَدْحُها ، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فأخرج منها ماءها ومرعاها ، وأرسى جبالها ، أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، لأنه جلّ ثناؤه قال : (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) ، والمعروف من معنى « بَعْدَ » أنه خلاف معنى « قَبْل » ، وليس في دحوّ الله الأرض بعد تسويته السموات السبع ، وإغطاشه ليلها ، وإخراجه ضحاها ، ما يوجب أن تكون الأرض خُلقت بعد خلق السموات لأن الدحوّ إنما هو البسط في كلام العرب ، والمدّ يقال منه : دحا يدحو دَحْوا ، ودَحَيْتُ أَدْحِي دَحْيا لغتان ؛ ومنه قول أُميّة بن أبي الصلت :

دَارٌ دَحاها ثُمَّ أعْمَرَنا بِها   وأقامَ بالأخْرَى التي هيَ أمْجَدُ[1]

وقول أوس بن حجر في نعت غيث :

يَنْفِي الحصَى عن جديد الأرْضِ مُبْتَرِكٌ   كأنَّه فاحِصٌ أو لاعِبٌ داحِي[2]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) : أي بسطها .

حدثني محمد بن خلف ، قال : ثنا روّاد ، عن أبي حمزة ، عن السديّ (دَحاها) قال : بسطها .

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت (ديوانه ٦٣ عن تفسير الطبرى) وفى (اللسان : دحا) الدحو : البسط . دحا الأرض يدحوها دحوا : بسطها . ودحيت الشيء أدحاه : بسطته ، لغة فى دحوته ، حكاها اللحيانى . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٤) دحاها : بسطها . تقول : دحوت ودحيت . اهـ .

(٢) البيت فى (اللسان : دحا) وفى الشطر الأول منه : « ينزع جلد الحصى أجش مبترك » . وهو فى وصف غيث . يقال : دحا المطر الحصى عن وجه الأرض دحوا : نزعه ، والمطر الداحى : الذى ينزع الحصى عن وجه الأرض ، والأجش : الذى فى صوته خشونة . والمبترك : المعتمد على الشيء ، الملح عليه . والفاحص : الذى يفحص الأرض وينبشها ويحتفرها . والداحى : الذى يلعب بالمداحى ، وهى أحجار أمثال القرصة ، كانوا يحفرون حفرة ، ويدحون فيها تلك الأحجار ، فإن وقع الحجر فيها غلب صاحبها ، وإن لم يقع غلب . والدحو : هو رمى اللاعب بالحجر والجوز وغيره ، وتسمى الحفرة أدحية — والبيت شاهد كالذى قبله . وهو متنازع فى نسبته بين أوس وعبيد بن الأبرص . وهو فى ديوان أوس ص ٣ وفى ديوان عبيد ٣٥ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان : دحاها : بسطها .

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (دَحَاهَا) قال : حرثها شقّها وقال : (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا) ، وقرأ (ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا) . . . حتى بلغ (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) ، وقال حين شقّها أنبتَ هذا منها ، وقرأ (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) .

وقوله (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا) يقول : فجّر فيها الأنهار . (وَمَرْعَاهَا) يقول : أنبت نباتها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (وَمَرْعَاهَا) ما خلق الله فيها من النبات ، وماءَها : ما فجّر فيها من الأنهار .

وقوله (وَالجِبَالَ أَرْسَاهَا) يقول : والجبال أثبتها فيها ، وفى الكلام متروك استغنى بدلالة الكلام عليه من ذكره ، وهو فيها ، وذلك أن معنى الكلام : والجبال أرساها فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالجِبَالَ أَرْسَاهَا) : أى أثبتها لا تميد بأهلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمِىّ ، عن علىّ قال : « لما خلق الله الأرض قَمَصَت وقالت : تَخْلُق علىّ آدم وذرّيته يلقون علىّ نَتْنَهم ، ويعملون علىّ بالخطايا ، فأرساها الله ، فمنها ما ترون ، ومنها ما لا ترون ، فكان أوّل قرار الأرض كلحم الجزور إذا نُحر يختلج لحمها » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝ ٣٦ ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ) أنه خلق هذه الأشياء ، وأخرج من الأرض ماءها ومرعاها ، منفعة لنا ، ومتاعا إلى حين .

وقوله (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى) يقول تعالى ذكره : فإذا جاءت التى تطمّ على كل هائلة من الأمور ، فتغمر ما سواها بعظيم هولها ، وقيل : إنها اسم من أسماء يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى) من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله وحذّره عباده .

حدثنى محمد بن عُمارة ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك بن مغول ، عن القاسم بن الوليد ، فى قوله (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى) قال : سيق أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار .

وقوله (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنْسانُ ما سَعَى) يقول : إذا جاءت الطامّة يوم يتذكّر الإنسان ما عمِل فى الدنيا من خير وشرّ ، وذلك سعيه (وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ) يقول : وأُظْهِرت الجحيم ، وهى نار الله لمن يراها ، يقول : لأبصار الناظرين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝

يقول تعالى ذكره : فأما من عتا على ربه ، وعصاه واستكبر عن عبادته .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (طَغَى) قال : عصى .

قوله (وآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيا) يقول : وآثر متاع الحياة الدنيا على كرامة الآخرة ، وما أعدّ الله فيها لأوليائه ، فعمل للدنيا ، وسعى لها ، وترك العمل للآخرة (فانّ الجَحِيمَ هِىَ المأْوَى) يقول : فإن نار الله التى اسمها الجحيم ، هى منزلُهُ ومَأْواه ، ومصيُره الذي يصير إليه يوم القيامة .

وقوله (وأمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى) يقول : وأما من خاف مسئلة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه ، فاتقاه ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، ونهى النفس عن الهوى ، يقول : ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله ، ولا يرضاه منها ، فزجرها عن ذلك ، وخالف هواها إلى ما أمره به ربه (فإنَّ الجَنَّةَ هِىَ المَأْوَى) يقول : فإن الجنة هى مأواه ومنزله يوم القيامة .

وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل فى معنى قوله (ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ) فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يسألك يامحمد هؤلاء المكذّبون بالبعث عن الساعة التى تبعث فيها الموتى من قبورهم أيانَ مرساها ، متى قيامها وظهورها . وكان الفرّاء يقول : إن قال القائل : إنما الإرساء للسفينة ، والجبال الراسية وما أشبههنّ ، فكيف وصَفَ الساعة بالإرساء ؟ قلت : هى بمنزلة

السفينة إذا كانت جارية فرست ، ورسوّها : قيامها ؛ قال : وليس قيامها كقيام القائم ، إنما هى كقولك : قد قام العدل ، وقام الحقّ : أى ظهر وثبت .

❁ قال أبو جعفر رحمه الله : يقول الله لنبيه : (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاها) يقول : فى أىّ شىء أنت من ذكر الساعة والبحث عن شأنها . وذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُكثر ذكر الساعة ، حتى نزلت هذه الآية .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهرىّ ، عن عُروة ، عن عائشة ، قالت : «لم يزل النبىّ صلى الله عليه وسلم يَسأل عن الساعة ، حتى أنزل الله عزّ وجلّ : (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاها؟ إلى رَبِّكَ مُنْتَهاها) » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن طارق بن شهاب ، قال : «كان النبىّ صلى الله عليه وسلم لايزال يَذكر شأن الساعة حتى نزلت (يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها) ؟ . . إلى (مَنْ يَخْشاها) » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاها) قال : الساعة .

وقوله (إلى رَبِّكَ مُنْتَهاها) يقول : إلى ربك منتهى علمها ، أى إليه ينتهى علم الساعة ، لايعلم وقت قيامها غيره .

وقوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها) يقول تعالى ذكره لمحمد : إنما أنت رسول مبعوث بإنذار الساعة من يخاف عقاب الله فيها على إجرامه ، ولم تكلّف علمَ وقت قيامها ، يقول : فدع ما لم تكلف علمَه ، واعمل بما أُمرت به ، من إنذار من أُمرت بإنذاره .

واختلف القرّاء فى قراءة قوله (مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها) فكان أبو جعفر القارئ وابن محيصن يقرآن (مُنْذِرٌ) بالتنوين ، بمعنى : أنه منذرٌ مَنْ يخشاها ، وقرأ ذلك سائر قرّاء المدينة ومكة والكوفة والبصرة بإضافة (مُنْذِرِ) إلى من .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها) يقول جلّ ثناؤه : كأن هؤلاء المكذّبين بالساعة ، يوم يرون أن الساعة قد قامت ، من عظيم هولها ، لم يلبثوا فى الدنيا إلا عشية يوم ، أو ضحا تلك العشية ، والعرب تقول : آتيك العشية أو غَداتَها ، وآتيك الغداةَ أوعشيّتها ، فيجعلون معنى الغداة ، بمعنى أوّل النهار ، والعشية : آخر النهار ، فكذلك قوله (إلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها) إنما معناه إلا آخر يوم أو أوّله ، وينشد هذا البيت :

نَحْنُ صَبَحْنا عامِرًا في دارِها عَشِيَّةَ الهِلالِ أَوْ سِرارِها[١]

يعنى : عشية الهلال ، أو عشية سرار العشية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها) وقت الدنيا فى أعين القوم حين عاينوا الآخرة .

آخر تفسير سورة النازعات

(٨٠) سورة عبس مكية
وآياتها اثنتان وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝

﴿ يعنى تعالى ذكره بقوله (عَبَسَ) : قَبَضَ وجهه تكرُّها ، (وَتَوَلَّى) يقول : وأعرض (أَنْ جاءَهُ الأَعْمَى) يقول : لأن جاءه الأعمى . وقد ذُكر عن بعض القرّاء أنه كان يطوّل الألف ويمدّها من (أَنْ جاءَهُ) فيقول : (آنْ جاءَهُ) ، وكأنّ معنى الكلام كان عنده : أَأَن جاءه الأعمى عبس وتولى ؟ كما قرأ من قرأ (أَنْ كانَ ذا مالٍ وَبَنِينَ) بمدّ الألف من « أَنْ » وقصرها .

وذُكر أن الأعمى الذى ذكره الله فى هذه الآية ، هو ابن أمّ مكتوم ، عوتب النبيّ صلى الله عليه وسلم بسببه .

ذكر الأخبار الواردة بذلك

حدثنا سعيد بن يحيى الأمويّ ، قال : ثنا أبى ، عن هشام بن عُروة مما عرضه عليه عُروة ، عن عائشة قالت : أنزلت (عَبَسَ وَتَوَلَّى) فى ابن أمّ مكتوم ، قالت : « أَتَى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول : أرشدنى ، قالت : وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظماء المشركين ، قالت : فجعل النبيّ صلى الله عليه وسلم يُعْرِض عنه ، ويُقْبِل على الآخر ، ويقول : أتَرَى بما أقولُهُ بأْسا ؟ فيقول : لا ، ففى هذا أُنزلت (عَبَسَ وَتَوَلَّى) » .

(١) البيت لبعض بنى عقيل ، أنشده الفراء فى معانى القرآن (٣٥٧) عند قوله تعالى : « إلا عشية أو ضحاها » ، يقول القائل : وهل للعشى ضحى ، إنما الضحى لصدر النهار ؟ فهذا بين ظاهر من كلام العرب ، أن يقولوا : آتيك العشية أو غداتها ، أو آتيك الغداة أو عشيتها ؛ تكون العشية فى معنى : آخر ، و الغداة فى معنى أول ، أنشدنى بعض بنى عقيل : « نحن صبحنا . . . البيت » ، أراد : عشية الهلال ، أو عشية سرار العشية ، فهذا أشد من آتيك الغداة أو عشيتها . اه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (عَبَسَ وَتَوَلَّى أنْ جاءَهُ الأعْمَى) قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجي عُتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب ، وكان يتصدّى لهم كثيرا ، ويَحرِص عليهم أن يؤمنوا ، فأقبل إليه رجل أعمى ، يقال له عبد الله بن أمّ مكتوم ، يمشي وهو يناجيهم ، فجعل عبد الله يستقرئُ النبيّ صلى الله عليه وسلم آية من القرآن ، وقال : يا رسول الله ، عَلِّمني مما علّمك الله ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعَبَس في وجهه وتولّى ، وكره كلامه ، وأقبل على الآخرين ؛ فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ ينقلب إلى أهله ، أمسك الله بعض بصره ، ثم خفق برأسه ، ثم أنزل الله (عَبَسَ وَتَوَلَّى أنْ جاءَهُ الأعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ، أوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى) ، فلما نزل فيه أكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلّمه ، وقال له : ما حاجتُك ، هَلْ تُرِيدُ مِنْ شَيْءٍ ؟ وإذا ذهب من عنده قال له : هَلْ لَكَ حاجَةٌ فِي شَيْءٍ ؟ وذلك لما أنزل الله (أمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأنْتَ لَهُ تَصَدَّى ، وَمَا عَلَيْكَ ألاَّ يَزَّكَّى) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن هشام ، عن أبيه ، قال : نزلت في ابن أمّ مكتوم (عَبَسَ وَتَوَلَّى أنْ جاءَهُ الأعْمَى) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (أنْ جاءَهُ الأعْمَى) قال : رجل من بني فهر ، يقال له ابن أمّ مكتوم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَبَسَ وَتَوَلَّى أنْ جاءَهُ الأعْمَى) : عبد الله بن زائدة ، وهو ابن أمّ مكتوم ، وجاءه يستقرئه ، وهو يناجي أُميّة بن خلَف ، رجلٌ من عِلْية قريش ، فأعرض عنه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله فيه ماتسمعون (عَبَسَ وَتَوَلَّى أنْ جاءَهُ الأعْمَى) إلى قوله (فأنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) « ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم استخلفه بعد ذلك مرّتين على المدينة ، في غزوتين غزاهما يصلّي بأهلها » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أنه رآه يوم القادسية معه راية سوداء ، وعليه درع له .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : « جاء ابن أمّ مكتوم إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أُبيّ بن خلَف ، فأعرض عنه ، فأنزل الله عليه (عَبَسَ وَتَوَلَّى) ، فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يُكرمه . قال أنس : فرأيته يوم القادسية عليه درْع ، ومعه راية سوداء » .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (عَبَسَ وَتَوَلَّى) « تصدّى رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من مشركي قريش كثير المال ، ورجا أن يُؤْمن ، وجاء رجل من الأنصار أعمى ، يقال له عبد الله بن أمّ مكتوم ، فجعل يسأل نبيّ الله صلى الله عليه

وسلم ، فكرهه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وتولّى عنه ، وأقبل على الغنيّ ، فوعظ الله نبيه ، فأكرمه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلفه على المدينة مرّتين ، في غزوتين غزاهما » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الأَعْمَى) قال : «جاء ابن أمّ مكتوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقائده يُبْصِر ، وهو لا يبصر ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إلى قائده يَكُفّ ، وابن أمّ مكتوم يدفعه ولا يُبصر ؛ قال : حتّى عَبَس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاتبه الله في ذلك ، فقال : (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الأَعْمَى ، وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) . . . إلى قوله (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) قال ابن زيد : كان يقال : لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَتَمَ من الوحي شيئا ، كتم هذا عن نفسه ؛ قال : وكان يتصدّى لهذا الشريف في جاهليته ، رجاء أن يسلم ، وكان عن هذا يتلهّى » .

وقوله (وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا محمد ، لعلّ هذا الأعمى الذى عَبَست في وجهه يزَّكَّى : يقول : يتطهَّر من ذنوبه .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) : يُسْلِم .

وقوله (أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى) يقول : أو يتذكَّر فتنفعه الذكرى : يعني يعتبر فينفعه الاعتبار والاتعاظ ، والقراءة على رفع (فَتَنْفَعَهُ) عطفا به على قوله (يَذَّكَّرُ) ، وقد رُوى عن عاصم النصب فيه والرفع ، والنصب على أن تجعله جوابا بالفاء للعلّ ، كما قال الشاعر :

عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَوْ دُولاتِها يُدِلْنَنا اللَّمَّةَ مِنْ لَمَّاتِها
فَتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ زَفْراتِها وتُنْقَعَ الغُلَّةُ مِنْ غُلاَّتِها[1]

« وتنقع » يُروى بالرفع والنصب .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أما من استغنى بماله ، فأنت له تتعرّض ، رجاء أن يُسلم.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى) قال : نزلت في العباس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) هذه أربعة أبيات من مشطور الرجز ، وقد سبق الاستشهاد بالثلاثة الأولى في الجزء (٢ : ٧٤) .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أمَّا مَنِ اسْتَغْنَى) قال عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة (وَما عَلَيْكَ ألاَّ يَزَّكَّى) يقول : وأيّ شيء عليك أن لا يتطهّر من كفره فيُسلم؟ (وأمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى) يقول: وأما هذا الأعمى الذى جاءك سعيا ، وهو يخشى الله ويتقيه، (فأنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) يقول : فأنت عنه تُعْرِض ، وتَشاغَلُ عنه بغيره وتَغافَل .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ۝١٦ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧﴾

يقول تعالى ذكره : (كَلاَّ) ما الأمر كما تفعل يامحمد: من أن تعبس فى وجه من جاءك يسعى وهو يخشى ، وتتصدّى لمن استغنى (إنَّها تَذْكِرَةٌ) يقول : إن هذه العظة وهذه السورة تذكرة : يقول : عظة وعبرة (فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ) يقول : فمن شاء من عباد الله ذكره ، يقول : ذكر تنزيل الله ووحيه ، والهاء فى قوله « إنَّها » للسورة ، وفى قوله « ذَكَرَهُ » للتنزيل والوحى (فى صحف) يقول إنها تذكرة (فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ) يعنى فى اللوح المحفوظ ، وهو المرفوع المطهّر عند الله .

وقوله (بِأيْدِي سَفَرَةٍ) يقول : الصحف المكرّمة بأيدى سَفَرة ، جمع سافر .

واختلف أهل التأويل فيهم ما هم ؟ فقال بعضهم : هم كَتَبَة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (بِأيْدِي سَفَرَةٍ) يقول : كَتَبَة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بِأيْدِي سَفَرَةٍ) قال : الكَتَبَة .

وقال آخرون : هم القُرّاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ، بِأيْدِي سَفَرَةٍ) قال : هم القرّاء .

وقال آخرون : هم الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (بِأيْدِي سَفَرَةٍ ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ) يعنى الملائكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ) قال : السَّفَرة : الذين يُحْصُون الأعمال .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : هم الملائكة الذين يَسْفِرون بين الله ورسله بالوحي وسفير القوم : الذي يسعى بينهم بالصلح ، يقال : سَفَرت بين القوم : إذا أصلحت بينهم ؛ ومنه قول الشاعر :

وَما أدَعُ السِّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي وَما أمْشِي بغِشٍّ إنْ مَشَيْتُ[1]

وإذا وُجِّه التأويل إلى ما قلنا ، احتمل الوجه الذي قاله القائلون هم الكَتَبَة ، والذي قاله القائلون هم القُرّاء ، لأن الملائكة هي التي تقرأ الكتب ، وتَسْفِر بين الله وبين رسله .

وقوله (كِرَامٍ بَرَرَةٍ) والبَرَرَة : جمع بارّ ، كما الكَفَرَة جمع كافر ، والسَّحَرَة جمع ساحر ، غير أن المعروف من كلام العرب إذا نطقوا بواحدة أن يقولوا : رجل بَرّ ، وامرأة برّة ، وإذا جمعوا ردّوه إلى جمع فاعل ، كما قالوا : رجل سَرِيّ ، ثم قالوا في جمعه : قوم سَراة ، وكان القياس في واحده أن يكون ساريا وقد حُكي سماعا من بعض العرب : قوم خِيَرَة بَرَرَة ، وواحد الخِيَرة : خَيِّر ، والبَرَرَة : برّ .

وقوله (قُتِلَ الإنْسانُ ما أكْفَرَهُ) يقول تعالى ذكره : لعن الإنسانَ الكافر ما أكفره !

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال مجاهد .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا عبد الحميد الحِمَّانيّ ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : ما كان في القرآن (قُتِلَ الإنْسانُ) أو فُعِل بالإنسان ، فإنما عنى به الكافر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (قُتِلَ الإنْسانُ ما أكْفَرَهُ) بلغني أنه الكافر .

وفي قوله (أكْفَرَهُ) وجهان . أحدهما : التعجب من كفره ، مع إحسان الله إليه ، وأياديه عنده . والآخر : ما الذي أكفره ، أي أيّ شيء أكفرَه ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : من أيّ شيء خلق الإنسانَ الكافرَ ربُّه حتى يتكبّر . ويتعظّم عن طاعة ربه ، والإقرار بتوحيده ، ثم بين جلّ ثناؤه الذي منه خلقه ، فقال : (مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ) أحوالا : نطفة تارة ، ثم عَلَقة أخرى ، ثم مُضْغة ، إلى أن أتت عليه أحواله ، وهو في رحم أمه (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) يقول : ثم يسَّره للسبيل ، يعني للطريق .

(١) البيت : من شواهد الفراء في معاني القرآن (٣٥٨) قال : وقوله « بأيدي سفرة » ، وهم الملائكة ، واحدهم سافر ؛ والعرب تقول : سفرت بين القوم : إذا أصلحت بينهم ، فجعلت الملائكة ، إذ نزلت بوحي الله وتأديبه كالسفير ، الذي يصلح بين القوم . وقال الشاعر : « وما أدع السفارة . . . البيت » . اهـ . وفي (اللسان : سفر) : وفي التنزيل « بأيدي سفرة » قال المفسرون : السفرة : يعني الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم ، واحدهم : سافر ، مثل كاتب وكتبة . اهـ .

❊ واختلف أهل التأويل فى السبيل الذى يسّره لها ، فقال بعضهم : هو خروجه من بطن أمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) يعنى بذلك : خروجه من بطن أمه يسّره له .

حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : سبيل الرّحم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : خروجه من بطن أمه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : خروجه من بطن أمه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : أخرجه من بطن أمه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : طريق الحقّ والباطل ، بيّناه له وأعملناه ، وسهلنا له العمل به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : هو كقوله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : على نحو (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : سبيل الشقاء والسعادة ، وهو كقوله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن ، فى قوله (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : سبيل الخير .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : هداه للإسلام الذى يسّره له ، وأعلمه به ، والسبيل سبيل الإسلام .

❊ وأولى التأويلين فى ذلك عندى بالصواب . قول من قال : ثم الطريق ، وهو الخروج من بطن أمه يسّره .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ، لأنه أشبههما بظاهر الآية ، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه ، وتدبيره جسمه ، وتصريفه إياه فى الأحوال ، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وبعده .

وقوله (ثُمَّ أماتَهُ فأقْبَرَهُ) يقول : ثم قبَض رُوحه ، فأماته بعد ذلك . يعنى بقوله (أقْبَرَهُ) : صيره ذا قبر ، والقابر : هو الدافن الميت بيده ، كما قال الأعشى :

لَوْ أسْنَدَتْ مَيْتًا إلى نَحْرِها عاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إلى قابِرِ[1] .

والمُقْبِر : هو الله ، الذى أمر عباده أن يقبروه بعد وفاته ، فصيره ذا قبر . والعرب تقول فيما ذُكر لى : بَتَرْتُ ذنب البعير ، والله أبتره ؛ وعَضَبْتُ قَرْنَ الثور والله أعضبه ؛ وطردت عنى فلانا ، والله أطْرَدَه ، صَيَّره طريدا .

وقوله (ثُمَّ إذَا شاءَ أنْشَرَهُ) يقول : ثم إذا شاء الله أنشره بعد مماته وأحياه ، يقال : أنْشَرَ اللهُ الميت ، بمعنى : أحياه ، ونَشَرَ الميتُ بمعنى حيي هو بنفسه ؛ ومنه قول الأعشى :

حتى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رأوْا يا عَجَبا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ[2]

وقوله (كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ ما أمَرَهُ) يقول تعالى ذكره : كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر ، من أنه قد أدّى حقّ الله عليه ، فى نفسه وماله ، لما يقض ما أمره ، لم يؤدّ مافرض عليه من الفرائض ربُّه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَمَّا يَقْضِ ما أمَرَهُ) قال : لايقضى أحد أبدا ما افتُرِض عليه . وقال الحارث : كلّ ما افترض عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : فلينظر هذا الإنسان الكافر المُنكر توحيد الله إلى طعامه كيف دبَّره ؟

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ١٣٩) من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ، ويمدح عامر بن الطفيل ، فى المنافرة التى جرت بينهما . وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٥) قال : فأقبره : أمر بأن يقبر . . . . والذى يدفن بيده هو القابر ، قال الأعشى : « لو أسندت . . . البيت » . اه . وفى (اللسان : قبر) : وقبره يقبره ويقبره (كيحفر ويدخل) : دفنه . وأقبره : جعل له قبرا ، وأقبر : إذا أمر إنسانا بحفر قبر . قال أبو عبيدة : قالت بنو تميم للحجاج ، وكان قتل صالح ابن عبد الرحمن : أقبرنا صالحا ؛ أى ائذن لنا فى أن نقبره ؛ فقال لهم : دونكموه . وقال الفراء فى قوله تعالى : ثم أماته فأقبره : أى جعله مقبورا ، ممن يقبر ، ولم يجعله ممن يلقى للطير والسباع ، ولا ممن يلقى فى النواويس ، كأن القبر مما أكرم به المسلم . اه .

(١) وهذا البيت أيضا للأعشى ، من تلك القصيدة (ص ١٤١) . وبعد البيت السابق بلا فاصل بينهما . وهو من شواهد أبى عبيدة فى (معانى القرآن ، الورقة ١٨٥) . قال : أنشره : أحياه ، وأنشر الميت (بالرفع على الفاعلية) : حيى نفسه ؛ وقال الأعشى : « حتى يقول الناس . . . البيت » .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ إلى طَعامِهِ) وشرابه ، قال : إلى مأكله ومشربه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ إلى طَعامِهِ) : آية لهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أنَّا صَبَبْنا المَاءَ صَبًّا) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة بكسر الألف من « أنّا » ، على وجه الاستئناف ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة « أنّا » بفتح الألف ، بمعنى : فلينظر الإنسان إلى أنا ، فيجعل « أنّا » فى موضع خفض ، على نية تكرير الخافض ، وقد يجوز أن يكون رفعا إذا فُتحت ، بنية طعامه أنّا صببنا الماء صبا .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (أنَّا صَبَبْنا المَاءَ صَبًّا) يقول : أنا أنزلنا الغيث من السماء إنزالا ، وصببناه عليها صبا (ثُمَّ شَقَقْنا الأرْضَ شَقًّا) يقول : ثم فتقنا الأرض ، فصدّعناها بالنبات (فأنْبَتْنا فِيها حَبًّا) : يعنى حبّ الزرع ، وهو كلّ ما أخرجته الأرض من الحبوب ، كالحنطة والشعير وغير ذلك (وَعِنَباً) يقول : وكرم عنب . (وَقَضْباً) يعنى بالقَضْب : الرَّطْبة ، وأهل مكة يسمون القَتَّ القَضْب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَضْباً) يقول : الفِصفِصة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَضْباً) قال : والقضب : الفَصافِص .

قال أبو جعفر رحمه الله : الفِصفصة : الرَّطبة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَقَضْباً) يعنى الرطبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، فى قوله (وَقَضْباً) قال : القضب : العَلَف .

وقوله (وَزَيْتُوناً) وهو الزيتون الذى منه الزيت (وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْباً) وقد بيّنا أن الحديقة البستان المحوّط عليه . وقوله (غُلْباً) يعنى : غلاظا . ويعنى بقوله (غُلْباً) أشجارا فى بساتين غلاظ . والغلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة من الرجال ؛ ومنه قول الفرزدق :

عَوَى فأثارَ أغْلَبَ ضَيْغَمِيًّا فَوَيْلَ ابْنِ المَراغَةِ ما اسْتَثارَا؟[1]

(١) البيت للفرزدق يهجو جريرا (ديوانه الفرزدق ٤٤٣) . وفى اللسان : غلب . و الغلب : غلظ العنق وعظمها ، وهو أغلب غليظ الرقبة ، وهم يصفون أبدا السادة بغلظ الرقبة وطولها ، وقد يستعمل ذلك فى غير الحيوان كقولهم حديقة غلباء : أى عظيمة متكاثفة ملتفة . =

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل، على اختلاف منهم فى البيان عنه ، فقال بعضهم : هو ما التفّ من الشجر واجتمع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن عاصم بن كُلَيب ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَحَدَائِقَ غُلْبًا) قال : الحدائق : ما التفّ واجتمع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَحَدَائِقَ غُلْبًا) قال : طيبة .

وقال آخرون : الحدائق : نبت الشجر كله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا عاصم ، عن أبيه : الحدائق : نبت الشجر كلها .

حدثنى محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (وَحَدَائِقَ غُلْبًا) قال : الشجر يُستظلّ به فى الجنة .

وقال آخرون : بل الغُلْب : الطِّوال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَحَدَائِقَ غُلْبًا) يقول : طوالا .

وقال آخرون : هو النخل الكرام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَحَدَائِقَ غُلْبًا) والغلب : النخل الكرام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَحَدَائِقَ غُلْبًا) قال : النخل الكرام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَحَدَائِقَ غُلْبًا) : عظام النخل العظيمة الجِذْع ، قال : والغلب من الرجال : العظام الرقاب ، يقال : هو أغلب الرقبة : عظيمها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (حَدَائِقَ غُلْبًا) قال : عظام الأوساط .

= وفى التنزيل : « وحدائق غلبا » . وأسد أغلب : غليظ الرقبة . والضيغم والضيغمى : الشديد العض ، من الضغم . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٥) حدائق غلبا : يقال : نخلة وشجرة غلباء : إذا كانت غليظة . اهـ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ (٤٢) .

يقول تعالى ذكره : وفاكهة : ما يأكله الناس من ثمار الأشجار ، والأبّ : ما تأكله البهائم من العُشب والنبات .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن مبارك ، عن الحسن (وَفاكِهةً) قال : ما يأكل ابن آدم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَفاكِهةً) قال : ما أكل الناس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفاكِهةً) قال : أما الفاكهة فلكم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَفاكِهةً) قال : الفاكهة لنا .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا حميد ، قال : قال أنس بن مالك : قرأ عمر (عَبَسَ وَتَوَلَّى) حتى أتى على هذه الآية (وَفاكِهةً وأبًّا) قال : قد علمنا ما الفاكهة ، فما الأبّ ، ثم أحسبه « شكّ الطبرىّ » قال : إن هذا لهو التكلف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه (عَبَسَ وَتَوَلَّى) فلما أتى على هذه الآية (وَفاكِهةً وأبًّا) قال : قد عرفنا الفاكهة ، فما الأبّ ، قال : لعمرك يا بن الخطاب إن هذا لهو التكلف .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن موسى بن أنس ، عن أنس ، قال . قرأ عمر (وَفاكِهةً وأبًّا) ومعه عصا فى يده ، فقال : ما الأبّ ، ثم قال : بحسبنا ما قد علمنا ، وألقى العصا من يده .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن خليد بن جعفر ، عن أبى إياس معاوية بن قُرة ، عن أنس ، عن عمر رضى الله عنه أنه قال : إن هذا هو التكلف .

قال : وحدثنى قتادة ، عن أنس ، عن عمر بنحو هذا الحديث كله .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ويعقوب، قالوا: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت عاصم بن كُلَيب، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: عدّ سبعا، جعل رزقه فى سبعة، وجعله من سبعة، وقال فى آخر ذلك: الأبّ ما أنبتت الأرض، مما لا يأكل الناس.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا عاصم، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: الأبّ: نبت الأرض مما تأكله الدوابّ، ولا يأكله الناس.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا عبد الملك، عن سعيد بن جُبَير، قال: عدّ ابن عباس، وقال الأبّ: ما أنبتت الأرض للأنعام، وهذا لفظ حديث أبى كريب. وقال أبو السائب فى حديثه، قال: ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: الأبّ: الكلأ والمرعى كله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن أبى رَزِين، قال: الأبّ النبات.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن أبى رَزِين، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش أو غيره، عن مجاهد، قال: الأبّ: المرعى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: قال مجاهد (وأبًّا): المرعى.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن مبارك، عن الحسن (وأبًّا) قال: الأبّ: ما تأكل الأنعام.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (وأبًّا) قال: الأبّ: ما أكلت الأنعام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: أما الأبّ: فلأنعامكم نعم من الله متظاهرة.

حدثنا ابن بشر، قال: ثنا عبد الواحد، قال: ثنا يونس، عن الحسن، فى قوله (وأبًّا) قال: الأبّ: العشب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، وقتادة، فى قوله (وأبًّا) قال: هو ما تأكله الدوابّ.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأبًّا) يعنى: المرعى.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وأبًّا) قال: الأبّ لأنعامنا، قال: والأبّ: ما ترعى. وقرأ (مَتَاعا لَكُمْ وَلأَنْعامِكُمْ).

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنى يونس وعمرو بن الحارث، عن ابن شهاب أن أنس بن مالك

حدثه أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : قال الله (وَقَضْباً ، وَزَيْتُوناً وَنخْلاً ، وَحَدَائِقَ غُلْباً ، وَفَاكِهَةً وأبًّا) كلّ هذا قد علمناه ، فما الأبّ ؟ ثم ضرب بيده ، ثم قال : لعمرُك إن هذا لهو التكلف ، واتبعوا ما يتبين لكم فى هذا الكتاب ، قال عمر وما يتبين فعليكم به ، وما لا فدعوه .

وقال آخرون : الأبّ : الثمار الرَّطبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأبًّا) يقول : الثمار الرطبة .

وقوله (مَتَاعاً لَكُمْ) يقول : أنبتنا هذه الأشياء التى يأكلها بنو آدم متاعا لكم أيها الناس ، ومنفعة تتمتعون بها ، وتنتفعون ، والتى يأكلها الأنعام لأنعامكم ، وأصل الأنعام الإبل ، ثم تستعمل فى كلّ راعية .

وبالذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، فى قوله (مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعامِكُمْ) قال : متاعا لكم الفاكهة ، ولأنعامكم العشب .

وقوله (فَإِذَا جاءَتِ الصَّاخَّةُ) ذُكر أنها اسم من أسماء القيامة ، وأحسبها مأخوذة من قولهم : صاخ فلان لصوت فلان : إذا استمع له ، إلا أن هذا يقال منه : هو مُصِيخ له ، ولعلّ الصوت هو الصاخ ، فإن يكن ذلك كذلك ، فينبغى أن يكون قيل ذلك لنفخة الصور .

ذكر من قال : هو اسم من أسماء القيامة

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَإِذَا جاءَتِ الصَّاخَّةُ) قال : هذا من أسماء يوم القيامة عظّمه الله ، وحذّره عباده .

وقوله (يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ) يقول : فإذا جاءت الصاخة ، فى هذا اليوم الذى يفرّ فيه المرء من أخيه . ويعنى بقوله : يفرّ من أخيه : يفرّ عن أخيه (وأُمِّهِ وأبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ) يعنى زوجته التى كانت زوجته فى الدنيا (وَبَنِيهِ) حَذَرا من مطالبتهم إياه ، بما بينه وبينهم من التَّبعات والمظالم .

وقال بعضهم : معنى قوله (يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ) : يفرّ عن أخيه لئلا يراه ، وما ينزل به ، (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ) يعنى من الرجل وأخيه وأمه وأبيه ، وسائر من ذُكر فى هذه الآية (يَوْمَئِذٍ) يعنى يوم القيامة إذا جاءت الصاخّة يوم القيامة (شأْنٌ يُغْنِيهِ) يقول : أمر يغنيه ، ويُشغله عن شأن غيره .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شأْنٌ يُغْنِيهِ) أفضى إلى كلّ إنسان ما يشغله عن الناس .

حدثنا أبو عمارة المَرْوَزِىّ الحسين بن حُرَيث ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن عائذ بن شريح ، عن أنس قال : « سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، إنى سائلتك

عن حديث أخبرنى أنت به، قال : إنْ كانَ عِنْدى مِنْهُ عِلْمٌ ؟ قالت : يا نبىّ الله، كيف يُحْشَرُ الرجال؟ قال : حُفاةً عُرَاةً . ثم انتظرت ساعة فقالت : يا نبىّ الله كيف يُحْشر النساء ؟ قال : كَذلكَ حُفاةً عُرَاةً ، قالت : واسوءتاه من يوم القيامة ، قال : وَعَنْ ذلكَ تَسألِينِى ، إنَّهُ قَدْ نَزَلَتْ علىّ آيَةٌ لايَضُرُّكِ كانَ عَلَيْكِ ثِيابٌ أمْ لا ، قالت : أىّ آية هى يا نبىّ الله ؟ قال (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شأْنٌ يُغْنِيهِ) » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قول الله (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شأْنٌ يُغْنِيهِ) قال : شأن قد شغله عن صاحبه .

وقوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ) يقول تعالى ذكره : وجوه يومئذ مشرقة مضيئة ، وهى وجوه المؤمنين الذين قد رضى الله عنهم ، يقال : أسفر وجه فلان : إذا حَسُن ، ومنه أسفر الصبح : إذا أضاء ، وكلّ مضيء فهو مُسْفِر ؛ وأما سَفَر بغير ألف ، فإنما يقال للمرأة إذا ألقت نقابها عن وجهها أو برقعها، يقال : قد سَفَرت المرأة عن وجهها ، إذا فعلت ذلك ، فهى سافر ؛ ومنه قول تَوْبَةَ بن الُحمَيِّر :

وكُنْتُ إذا ما زُرْتُ لَيْلَى تَبَرْقَعَتْ فَقَدْ رَابَنِى مِنْها الغَداةَ سُفُورُها[1]

يعنى بقوله « سفورُها » : إلقاءها برقعها عن وجهها .

(ضَاحِكَةٌ) يقول : ضاحكة من السرور بما أعطاها الله من النعيم والكرامة (مُسْتَبْشِرَةٌ) لما ترجو من الزيادة .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (مُسْفِرَةٌ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مُسْفِرَةٌ) يقول : مشرقة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ) قال : هؤلاء أهل الجنة .

وقوله (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ) يقول تعالى ذكره : ووجوه وهى وجوه الكفار يومئذ عليها

---

(١) البيت لتوبة بن الحمير صاحب ليلى الأخيلية . وفى (اللسان : سفر) سفر الصبح وأسفر : أضاء ، وأسفر القوم : أصبحوا . وسفر وجهه حسنا وأسفر : أشرق . وفى التنزيل العزيز « وجوه يومئذ مسفرة » : قال الفراء : أى مشرقة مضيئة ، وقد أسفر الوجه وأسفر الصبح . قال : وإذا ألقت المرأة نقابها ، قيل : سفرت ، فهى سافر ، بغير هاء . اهـ . قلت : وهذا البيت من قصيدة طويلة ذكرها داود الأنطاكى فى كتابه تزيين الأسواق ، بتفصيل أحوال العشاق ٩٦ — ٩٧ ، و (الأغانى ١١ : ٢٠٤ ، ٢٥٠) قال أبو الفرج : كان توبة بن الحمير إذا أتى ليلى الأخيلية ، خرجت إليه فى برقع ، فلما شهر أمره شكوه إلى السلطان ، فأباحهم دمه إن أتاهم ، فمكثوا له فى الموضع الذى كان يلقاها فيه ، فلما علمت به خرجت سافرة ، حتى جلست فى طريقه ، فلما رآها سافرة فطن لما أرادت ، وعلم أنه قد رصد ، وأنها أسفرت لذلك تحذره ، فركض فرسه فنجا ، وذلك قوله : « وكنت إذا ما جئت ليلى . . . » البيت » . اهـ .

غبرة . ذُكر أن البهائم التى يصيرها الله ترابا يومئذ بعد القضاء بينها، يحوّل ذلك التراب غَـبَرة فى وجوه أهل الكفر (تَرْهَقُها قَتَرَةٌ) يقول : يغشى تلك الوجوه قَـتَرة ، وهى الغَـبَرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (تَرْهَقُها قَتَرَةٌ) يقول : تغشاها ذلة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَرْهَقُها قَتَرَةٌ) قال : هذه وجوه أهل النار ؛ قال : والقَـتَرة من الغَـبَرة ، قال : وهما واحد ؛ قال : فأما فى الدنيا فإن القترة : ما ارتفع ، فلحق بالسماء ، ورفعته الريح ، تسميه العرب القترة ، وما كان أسفل فى الأرض فهو الغبرة .

وقوله (أُولَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه صفتهم يوم القيامة هم الكفرة بالله ، كانوا فى الدنيا الفجرة فى دينهم ، لا يبالون ما أتوا به من معاصى الله ، وركبوا من محارمه ، فجزاهم الله بسوء أعمالهم ما أخبر به عباده .

آخر تفسير سورة عبس

---

(٨١) سورة التكوير مكية وآياتها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝

❁ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) فقال بعضهم : معنى ذلك : إذا الشمس ذهب ضوءُها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن الحريث ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قال : ثنى أبىّ بن كعب ، قال : « ستّ آيات قبل يوم القيامة بينا الناس فى أسواقهم ، إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك ، إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك ، إذ وقعت الجبال على وجه الأرض ، فتحرّكت واضطربت واحترقت ، وفزعت الجنّ إلى الإنس ، والإنس إلى الجنّ ، واختلطت الدوابّ والطير والوحش ، وماجوا بعضهم فى بعض (وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ) قال : اختلطت (وَإِذَا العِشَارُ

عُطِّلَتْ) قال : أهملها أهلها (وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) قال : قالت الجنّ للإنس : نحن نأتيكم بالخبر ؛ قال : فانطلقوا إلى البحار ، فإذا هي نار تأجّج ؛ قال : فبينما هم كذلك إذ تصدّعت الأرض صدعة واحدة، إلى الأرض السابعة السفلى ، وإلى السماء السابعة العليا ؛ قال : فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم » .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) يقول : أظلمت .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) يعني : ذهبت .

حدثني محمد بن عُمارة ، حدثني عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : اضمحلت وذهبت .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، في قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : ذهب ضوءها فلا ضوء لها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : غُوِّرت ، وهي بالفارسية ، كور تكور .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) أما تكوير الشمس : فذهابها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : كوّرت كورا بالفارسية .

وقال آخرون : معنى ذلك : رمى بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام بن عليّ ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : نُكِّست .

حدثني محمد بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبي صالح مثله.

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا بدل بن المحبر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت إسماعيل ، سمع أبا صالح في قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : أُلقيت .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي يَعْلَى ، عن ربيع بن خثيم (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : رُمي بها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي يعلى ، عن الربيع بن خثيم ، مثله .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن يقال (كُوِّرَتْ) كما قال الله جلّ ثناؤه ؛ والتكوير في كلام العرب : جمع بعض الشيء إلى بعض ، وذلك كتكوير العمامة ، وهو لفها على الرأس ، وكتكوير الكارة ،

وهى جمع الثياب بعضها إلى بعض ، ولفها ، وكذلك قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) إنما معناه : جمع بعضها إلى بعض ، ثم لفت فرمى بها ، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها . فعلى التأويل الذى تأولناه وبيّنّاه لكلا القولين اللذين ذكرت عن أهل التأويل ، وجه صحيح ، وذلك أنها إذا كُوِّرت ورُمى بها ، ذهب ضوءها .

وقوله (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) يقول : وإذا النجوم تناثرت من السماء فتساقطت ، وأصل الانكدار : الانصباب ، كما قال العجاج :

أَبْصَرَ خِرْبانَ فَضَاءٍ فانْكَدَرْ[1]

يعنى بقوله : انكدر : انصبّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع بن خثيم (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) قال : تناثرت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع بن خثيم ، مثله .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) قال : تناثرت .

حدثنى محمد بن موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبى صالح ، فى قوله (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) قال : انتثرت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) قال : تساقطت وتهافتت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) قال : رمى بها من السماء إلى الأرض .

وقال آخرون : انكدرت : تغيرت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) يقول : تغيرت .

وقوله (وَإِذَا الجِبالُ سُيِّرَتْ) يقول : وإذا الجبال سيرها الله ، فكانت سرابا ، وهباء منبثا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت : للعجاج الراجز (ديوانه ١٧) وقبله * تقضى البازى إذا البازى كسر * وهو من شواهد أبى عبيدة فى (مجاز القرآن ١٨٥) قال عند قوله تعالى : « وإذا النجوم انكدرت » : يقال : انكدر فلان : انصب ، قال العجاج : « أبصر خربان . . . البيت » . والخربان : جمع خرب بالتحريك : ذكر الحبارى ، وقيل : هو الحبارى كلها . يريد أن البازى قد انقض من أعلى الجو ، لأنه رأى أسراب الحبارى على الأرض ، فانقض ليصيدها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (وَإِذَا الجِبالُ سُيِّرَتْ) قال : ذهبت .

قوله (وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ) والعشار : جمع عشراء ، وهي التي قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها . يقول تعالى ذكره : وإذا هذه الحوامل التي يتنافس أهلها فيها أُهملت فتركت ، من شدة الهول النازل بهم ، فكيف بغيرها ؟ ! .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن الحريث ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : ثنى أبيّ بن كعب (وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ) قال : إذا أهملها أهلها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي يعلى ، عن الربيع بن خثيم (وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ) قال : خلا منها أهلها لم تُحلَب ولم تُصَرّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي يعلى ، عن الربيع بن خثيم (وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ) قال : لم تحلب ولم تُصَرّ ، وتخلّى منها أربابها .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ) قال : سُيِّبت : تُركت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ) قال : عِشار الإبل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ) قال : سيبها أهلها فلم تصر ، ولم تحلب ، ولم يكن فى الدنيا مال أعجب إليهم منها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ) قال : عشار الإبل سيبت .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ) يقول : لا راعيَ لها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ ﴾

⁂ اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) فقال بعضهم : معنى ذلك : ماتت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن مسلم الطوسى ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قول الله (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) قال : حُشِر البهائم : موتها ، وحشر كل شىء : الموت ، غير الجنّ والإنس ، فانهما يوقفان يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن ربيع بن خثيم (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) قال : أتى عليها أمر الله ، قال سفيان ، قال أبى ، فذكرته لعكرمة ، فقال : قال ابن عباس : حَشْرُها : موتها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع بن خثيم ، بنحوه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وإذا الوُحوش اختلطت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن حريث ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن الربيع بن أنس عن أبى العالية ، قال : ثنى أُبَىّ بن كعب (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) قال : اختلطت .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : جُمعت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) إن هذه الخلائق موافية يوم القيامة ، فيقضى الله فيها ما يشاء .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى حشرت : جمعت ، فأميتت لأن المعروف فى كلام العرب من معنى الحشر : الجمع ؛ ومنه قول الله (والطَّيْرَ مَحْشُورَةً) يعنى : مجموعة .

وقوله (فَحَشَرَ فَنَادَى) وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله ، لا على الأنكر المجهول .

وقوله (وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وإذا البحار اشتعلت نارا وحميت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن حريث ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قال : ثنى أُبَىّ بن كعب (وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) قال : قالت الجنّ للإنس : نحن نأتيكم بالخبر ، فانطلقوا إلى البحار ، فإذا هى تأجّج نارا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب ، قال : قال علىّ رضى الله عنه لرجل من اليهود : أين جهنم ؟ فقال البحر ، فقال : ما أراه إلا صادقا (والْبَحْرِ المَسْجُورِ - وَإِذَا الْبِحارُ سُجِرَتْ) مخففة .

حدثني حوثرة بن محمد المنقريّ ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا مجالد ، قال : أخبرني شيخ من بجيلة عن ابن عباس ، في قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : كوّر الله الشمس والقمر والنجوم في البحر ، فيبعث عليها ريحا دبورا ، فتنفخه حتى يصير نارا ، فذلك قوله (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) قال : إنها توقد يوم القيامة زعموا ذلك التسجير في كلام العرب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، في قوله (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) قال : بمنزلة التنور المسجور (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) مثله .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) قال : أُوقدت .

وقال آخرون : معنى ذلك : فاضت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي يعلى ، عن ربيع بن خثيم (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) قال : فاضت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي يعلى ، عن ربيع ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي ، في قوله (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) قال : مُلئت ، ألا ترى أنه قال : (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) يقول : فُجِّرت .

وقال آخرون : بل عنى بذلك أنه ذهب ماؤها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وإذا الْبِحَارَ سُجِّرَتَ) قال : ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) قال : غار ماؤها فذهب .

حدثني الحسين بن محمد الذارع ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسين ، في هذا الحرف (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) قال : يبست .

حدثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، بمثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) قال : يبَست .

⁂ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : مُلئت حتى فاضت ، فانفجرت وسالت

كما وصفها الله به فى الموضع الآخر ، فقال : وإذا البحار فجِّرت ، والعرب تقول للنهر أو للرَّكىِّ المملوء : ماء مسجور ؛ ومنه قول لبيد :

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِىِّ وَصَدَّعا مَسْجُورَةً مُتَجاوِرًا قُلاَّمُها[1]

ويعنى بالمسجورة : المملوءة ماء .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة (سُجِّرَتْ) : بتشديد الجيم .

وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة : بتخفيف الجيم .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : ألحق كلَّ إنسان بشكله ، وقرن بين الضُّرَباء والأمثال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سماك ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر رضى الله عنه (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : هما الرجلان يعملان العمل الواحد يدخلان به الجنة ، ويدخلان به النار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : هما الرجلان يعملان العمل ، فيدخلان به الجنة ، وقال : (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) ، قال : ضرباءهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : هما الرجلان يعملان العمل ، يدخلان به الجنة أو النار .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب أنه سمع النعمان بن بشير يقول : سمعت عمر بن الخطاب وهو يخطب ، قال (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ، فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ما أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) ثم قال : (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : أزواج فى الجنة ، وأزواج فى النار .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن النعمان بن بشير ، قال : سُئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عن قول الله (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : يُقْرَن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة ، وبين الرجل السَّوء مع الرجل السَّوء فى النار .

حدثنى محمد بن خلف ، قال : ثنا محمد بن الصباح الدَّولابىّ ، عن الوليد ، عن سماك ، عن النعمان بن بشير ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، والنعمان عن عمرو قال « (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : الضُّرَباء

(١) البيت للبيد فى معلقته (انظره فى شرحى الزوزنى والتبريزى) وقد مر استشهاد المؤلف به فى الجزء ١٦ : ٧١ ، فارجع إليه ثمة .

كلّ رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله ، وذلك أن الله يقول : (وكُنْتُمْ أَزْوَاجا ثَلاثَةً ، فأَصحابُ المَيْمَنَةِ ما أَصحابُ المَيْمَنَةِ ، وأَصحابُ المَشأَمَةِ ما أَصحابُ المَشأَمَةِ ، والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) قال : هم الضُّرَباء » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : ألحق كلّ امرئ بشيعته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال: الأمثالُ من الناس جُمِع بينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال :لحق كلّ إنسان بشيعته ، اليهود باليهود ، والنصارى بالنصارى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي يعلى ، عن الربيع بن خيثم (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : يحشر المرء مع صاحب عمله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي يعلى ، عن الربيع ، قال : يجيء المرء مع صاحب عمله .

وقال آخرون : بل عُنِي بذلك أن الأرواح ردّت إلى الأجساد فزوّجت بها : أي جعلت لها زوجا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن أبي عمرو ، عن عكرمة (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : الأرواح ترجع إلى الأجساد .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن داود ، عن الشعبيّ أنه قال في هذه الآية (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : زوّجت الأجساد فرُدّت الأرواح في الأجساد .

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن عكرمة (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : ردّت الأرواح في الأجساد .

حدثني الحسن بن زريق الطهوي ، قال : ثنا أسباط ، عن أبيه ، عن عكرمة ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُليّة ، قال: أخبرنا داود ، عن الشعبيّ ، في قوله (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : زوّجت الأرواح الأجساد .

❊ وأولى التأويلين في ذلك بالصحة ، الذى تأوّله عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعلة التي اعتلّ بها ، وذلك قول الله تعالى ذكره : (وكُنْتُمْ أَزْوَاجا ثَلاثَةً) ، وقوله (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأَزْوَاجَهُمْ)

وذلك لاشكّ الأمثال والأشكال ، فى الخير والشرّ ، وكذلك قوله (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) بالقُرَناء والأمثال فى الخير والشرّ .

وحدثنى مطر بن محمد الضبى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : ثنا عبد العزيز بن مسلم القسملى عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية فى قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : سيأتى أوّلها والناس ينظرون ، وسيأتى آخرها إذا النفوس زوّجت .

وقوله (وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بأىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)؟ : اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه أبو الضُّحى مسلم ابن صبيح (وَإِذَا المَوْءُودَةُ سأَلَتْ بأىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)؟ بمعنى : سألت الموءودة الوائدين : بأىّ ذنب قتلوها.

ذكر الرواية بذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، فى قوله (وَإِذَا المَوْءُودَةُ سأَلَتْ) ؟ قال : طلبت بدمائها .

حدثنا سوّار بن عبد الله العنبرى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن الأعمش ، قال : قال أبو الضحى : (وَإِذَا المَوْءُودَةُ سأَلَتْ) ؟ قال : سألت قتلها .

ولو قرأ قارئٌ ممن قرأ (سأَلَتْ بِأىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) كان له وجه ، وكان يكون معنى ذلك معنى من قرأ (بِأىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) غير أنه إذا كان حكاية جاز فيه الوجهان ، كما يقال : قال عبد الله بأىّ ذنب ضُرب ؛ كما قال عنترة :

الشَّاتِمَىْ عِرْضِي ولم أشْتُمْهُما　　　والنَّاذِرَيْنَ إذَا لَقِيتُهُما دَمى[1]

وذلك أنهما كانا يقولان : إذا لقينا عنترة لنقتلنّه ، فحكى عنترة قولهما فى شعره ؛ وكذلك قول الآخر :

رَجُلانِ مِنْ ضَبَّةَ أخْبَرَانا　　　إنَّا رأيْنا رَجُلاً عُرْيانا[2]

---

(١) البيت لعنترة ، وهذه الرواية مختلفة عن روايته التى رواها المؤلف فى الجزء (٢٩ : ٢٠٨) وهى : « والناذرين إذا لم ألقهما دمى » . بنفى الفعل ، وهى كذلك فى (شرحى الزوزنى والتبريزى للمعلقات ، و مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ٣٨٠) . أما رواية بيت الشاهد فى هذا الموضع فمصدرها الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٥٩) فهكذا أنشد البيت الفراء فى تفسير قوله تعالى « وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » وقد نقلنا كلامه فى توجيهها تحت الشاهد الآتى : « رجلان من ضبة . . . البيتين » . ومعنى الروايتين فى الحقيقة يئول إلى شىء واحد ، وإن اختلف اللفظ بين الإثبات والنفى .

(٢) البيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن (٣٥٩) قال بإسناده عن ابن عباس أنه قرأ : « وإذا الموءودة سألت بأى ذنب قتلت » . وقال : هى التى تسأل (بفتح التاء) ولا تسأل (التاء مضمومة) . وقد يجوز أن تقرأ : أى ذنب قتلت ؟ (التاء الأخيرة تاء الفاعل مفتوحة ، والفعل مبنى للفاعل) كما تقول فى الكلام : عبد الله بأى ذنب ضرب ، وبأى ذنب ضربت ؟ وقد مر له نظائر من الحكاية ، من ذلك قول عنترة :

الشَّاتِمَىْ عِرْضِي ولم أشْتُمْهُما　　　والنَّاذِرَيْنَ إذَا لَقِيتُهُما دَمى

والمعنى : أنهما كان يقولان : إذا لقينا عنترة لنقتلنه ، فجرى الكلام فى شعره على هذا المعنى ، واللفظ مختلف . وكذلك قوله : « رجلان من ضبة . . . البيتان » والمعنى : أخبرنا أنهما . . . الخ ولكنه جرى على مذهب القول ، كما تقول : قال عبد الله : إنه ذاهب ، وإنى ذاهب ، والذهاب له فى الوجهين جميعا ، ومن قرأ « وإذا الموءودة سئلت » ففيه وجهان : سئلت هى ، فقيل لها بأى ذنب قتلت ؟ ثم يجوز قتلت ، كما جاز فى المسألة الاولى . ويكون « سئلت » : سئل عنها وائدوها ، كأنك قلت : طلبت منهم ، فقيل : أين أولادكم ؟ وكيف قتلتموهم . وكل الوجوه حسن بين ، إلا أن الأكثر « سئلت » فهو أحبها إلى . اه .

بمعنى : أخبرانا أنهما ، ولكنه جرى الكلام على مذهب الحكاية . وقرأ ذلك بعض عامة قرّاء الأمصار : (وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) بمعنى : سُئلت الموءودة بأىّ ذنب قُتلت ، ومعنى قُتلت : قتلت ، غير أن ذلك ردّ إلى الخبر على وجه الحكاية على نحو القول الماضي قبل ، وقد يتوجه معنى ذلك إلى أن يكون : وإذا الموءودة سئلت قتلتها ووائدوها ، بأىّ ذنب قتلوها ؟ ثم ردّ ذلك إلى ما لم يسمّ فاعله، فقيل : بأىّ ذنب قُتِلَت .

وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب : قراءة من قرأ ذلك (سُئِلَتْ) بضم السين (بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) على وجه الخبر ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . والموءودة : المدفونة حية ، وكذلك كانت العرب تفعل ببناتها ؛ ومنه قول الفرزدق بن غالب :

وَمِنَّا الَّذِى أَحْيَا الوَئِيدَ وَغَائِبٌ   وَعَمْرٌو ، ومِنَّا حَامِلُونَ وَدَافِعُ[1]

يقال : وأده فهو يئده وأدا ، ووأدة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ) : هى فى بعض القراءات : (سَأَلَتْ بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ؟) لابذنب، كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ، ويغذو كلبه ، فعاب الله ذلك عليهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة، قال : « جاء قيس بن عاصم التميمىّ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : إنى وأدت ثمانى بنات فى الجاهلية ، قال :(فَأَعْتِقْ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ بَدَنَةً) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع بن خثيم (وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ) قال : كانت العرب من أفعل الناس لذلك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن ربيع بن خثيم بمثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ) قال : البنات التى كانت طوائف العرب يقتلونهنّ ، وقرأ (بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) .

---

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوى ٥١٧) ولكنه ملفق من البيتين الخامس والسابع فى القصيدة ، وهما :

٥ — (ومِنَّا الذى أَحْيَا الوَئِيدَ وغالِبٌ)   وعَمْـرٌو ومِنَّا حاجِبٌ والأقارِعُ

٩ — تَمَوْنِى   فأشْرَفْتُ العَلايَةَ فَوْقَكُمْ   (بُحُــورٌ ومِنَّا حامِلُونَ ودَافِعٌ)

والبيت أورده المؤلف بهذه السورة شاهدا عند قوله تعالى : « وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » ؟ وأنشد أبو عبيدة عند الآية شاهدا آخر للفرزدق أيضا ، وهو :

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الوَائِدَا   تِ وأَحْيَا الوَئِيدَ فَلَمْ يُوءَدِ

قال : وهو صعصعة بن ناجية جده .

وقوله (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) يقول تعالى ذكره : وإذا صحف أعمال العباد نُشرت لهم، بعد أن كانت مطوية على ما فيها مكتوب ، من الحسنات والسيئات .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) صحيفتك يا بن آدم ، تملى ما فيها ، ثم تُطوى ، ثم تُنشر عليك يوم القيامة .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (نُشِرَتْ) بتخفيف الشين . وكذلك قرأه أيضا بعض الكوفيين ، وقرأ ذلك بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء الكوفة ، بتشديد الشين . واعتلّ من اعتلّ منهم لقراءته ذلك كذلك ، بقول الله (أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) ولم يقل منشورة ، وإنما حسن التشديد فيه ، لأنه خبر عن جماعة ، كما يقال : هذه كباش مُذَبَّحة ، ولو أخبر عن الواحد بذلك كانت مخففة ، فقيل مذبوحة ، فكذلك قوله منشورة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ۝ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا السماء نُزعت وجُذبت ، ثم طُويت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كُشِطَتْ) قال : جُذبت . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله : (قُشِطَتْ) بالقاف ، والقَشْط والكَشْط : بمعنى واحد ، وذلك تحويل من العرب الكاف قافا ، لتقارب مخرجيهما ، كما قيل للكافور قافور ، وللقُسط : كُسْط ، وذلك كثير فى كلامهم ، إذا تقارب مخرج الحرفين ، أبدلوا من كلّ واحد منهما صاحبه ، كقولهم للأثافى : أثاثى ، وثوب فَرْقَبِيّ وثَرْقَبِيّ .

وقوله (وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ) يقول تعالى ذكره : وإذا الجحيم أُوقد عليها فأُحميت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ) : سعرها غضب الله ، وخطايا بنى آدم .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (سُعِّرَتْ) بتشديد عينها ، بمعنى أُوقد عليها مرّة بعد مرّة ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة بالتخفيف . والقول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) يقول تعالى ذكره : وإذا الجنة قرّبت وأُدنيت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع بن خيثم : (وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) قال : إلى هذين ما جرى الحديث : فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع (وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) قال : إلى هذين ماجرى الحديث : فريق إلى الجنة ، وفريق إلى النار . يعنى الربيع بقوله : إلى هذين ما جرى : الحديث أن ابتداء الخبر (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) . . . إلى قوله (وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ) إنما عُدِّدت الأمور الكائنة التى نهايتها أحد هذين الأمرين ، وذلك المصير إما إلى الجنة ، وإما إلى النار .

وقوله (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ) يقول تعالى ذكره : علمت نفس عند ذلك ما أُحضرت من خير ، فتصير به إلى الجنة ، أو شرّ فتصير به إلى النار ، يقول : يتبين له عند ذلك ما كان جاهلا به ، وما الذى كان فيه صلاحه من غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ) من عمل ، قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وإلى هذا جرى الحديث . وقوله (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ) جواب لقوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) وما بعدها ، كما يقال : إذا قام عبدالله قعد عمرو

وقوله (فَلَا أُقْسِمُ بِالخُنَّسِ الجَوَارِ الكُنَّسِ). اختلف أهل التأويل فى الخُنَّس الجوار الكُنَّس . فقال بعضهم : هى النجوم الدرارىّ الخمسة ، تخنس فى مجراها فترجع ، وتكنس فتستتر فى بيوتها ، كما تكنس الظباء فى المغار ، والنجوم الخمسة : بَهْرام ، وزُحَل ، وعُطارد ، والزُّهَرَة ، والمُشْتَرِى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عُرْعُرة ، أن رجلا قام إلى علىّ رضى الله عنه ، فقال : ما (الجَوَارِ الكُنَّسِ) ؟ قال : هى الكواكب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت خالد بن عُرعرة ، قال : سمعت عليا عليه السلام ، وسُئل عن (لا أُقْسِمُ بِالخُنَّسِ الجَوَارِ الكُنَّسِ) قال : هى النجوم تخنس بالنهار ، وتكنس بالليل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سماك ، عن خالد بن عرعرة ، عن علىّ رضى الله عنه ، قال : النجوم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن رجل من مُراد ، عن عليّ : أنه قال : هل تدرون ما الخنس ؟ هى النجوم تجرى بالليل ، وتخنس بالنهار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى جرير بن حازم ، أنه سمع الحسن يسئل ، فقيل : يا أبا سعيد ما الجْوارى الْكُنَّس ؟ قال : النجوم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوذة بن خليفة ، قال : ثنا عرف ، عن بكر بن عبد الله ، فى قوله (فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّس الجَوَارِ الْكُنَّسِ) قال : هى النجوم الدراريّ ، التى تجرى تستقبل المشرق .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : هى النجوم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن رجل من مراد ، عن عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه (فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ الجَوَارِ الْكُنَّسِ) قال : يعنى النجوم، تكنس بالنهار ، وتبدو بالليل .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ ، الجَوَارِ الْكُنَّسِ) قال : هى النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ الجَوَارِ الْكُنَّسِ) قال : هى النجوم تخنس بالنهار ، والجوار الكنس : سيرهنّ إذا غبن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الخُنَّسِ الجَوَارِ الكُنَّسِ) قال : الخنس والجوارى الكنس : النجوم الخنس ، إنها تخنس تتأخر عن مطلعها ، هى تتأخر كلّ عام لها فى كلّ عام تأخر عن تعجيل ذلك الطلوع تخنس عنه . والكنس: تكنس بالنهار فلا تُرَى . قال : والجوارى تجرى بعد ، فهذا الخنس الجوارى الكنس .

وقال آخرون : هى بقر الوحش التى تكنس فى كناسها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، عن زكريا بن أبى زائدة ، عن أبى إسحاق السَّبيعيّ ، عن أبى ميسرة ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال لأبى ميسرة : ما الجوارى الكنس ؟ قال : فقال بقر الوحش قال : فقال : وأنا أرى ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة ، عن عبد الله ، فى قوله (الجَوَارِى الْكُنَّسِ) : قال : بقر الوحش .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : قال ابن مسعود : يا عمرو ما الجوارى الكنس ، أو ما تراها ؟ قال عمرو : أَراها البقر ، قال عبد الله : وأنا أراها البقر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال : سألت عنها عبد الله ، فذكر نحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني جرير بن حازم ، قال : ثني الحجاج بن المنذر ، قال : سألت أبا الشّعثاء جابر بن زيد ، عن الجواري الكنس ، قال : هي البقر إذا كَنَست كوانسها .

قال يونس : قال لي عبد الله بن وهب : هي البقر إذا فرّت من الذئاب ، فذلك الذي أراد بقوله : كنست كوانسها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال جرير ، وحدثني الصلت بن راشد ، عن مجاهد مثل ذلك .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، في قوله (الْجَوَارِ الْكُنَّسِ) قال : هي بقر الوحش .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : سُئل مجاهد ونحن عند إبراهيم ، عن قوله (الْجَوَارِ الْكُنَّسِ) قال : لا أدري ، فانتهره إبراهيم وقال : لِمَ لا تدري ؟ فقال : إنهم يروُون عن عليّ رضي الله عنه ، وكنا نسمع أنها البقر ، فقال إبراهيم : هي البقر . الجواري الكنس : جِحَرة بقر الوحش التي تأوي إليها ، والخنس الجواري : البقر .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ) فقال إبراهيم لمجاهد : قل فيها ما سمعت ، قال : فقال مجاهد : كنا نسمع فيها شيئا ، وناس يقولون : إنها النجوم ؛ قال : فقال إبراهيم : إنهم يكذبون على عليّ رضي الله عنه ، هذا كما رَوَوا عن عليّ رضي الله عنه ، أنه ضمن الأسفل الأعلى ، والأعلى الأسفل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن المغيرة ، قال : سُئل مجاهد عن الجواري الكنس قال : لا أدري ، يزعمون أنها البقر ؛ قال : فقال إبراهيم : ما لا تدري هي البقر ؛ قال : يذكرون عن عليّ رضي الله عنه أنها النجوم ، قال : يكذبون على عليّ عليه السلام .

وقال آخرون : هي الظباء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ) يعني : الظباء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبير (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ) قال : الظباء .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ) قال : كنا نقول : « أظنه قال » : الظباء ، حتى زعم سعيد بن جُبير أنه سأل ابن عباس عنها ، فأعاد عليه قراءتها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ) يعنى الظباء .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بأشياء تخنس أحيانا : أى تغيب، وتجرى أحيانا وتكنس أخرى ، وكنوسها : أن تأوى فى مكانسها ، والمكانس عند العرب ، هى المواضع التى تأوى إليها بقر الوحش والظباء ، واحدها مَكْنِس وكِناس ، كما قال الأعشى :

فَلَمَّا لَحِقْنَا الْحَىَّ أَتْلَعَ أُنَّسٌ ... كَمَا أَتْلَعَتْ تَحْتَ المَكَانِسِ رَبْرَبُ[1]

فهذه جمع مَكْنِس ، وكما قال فى الكِناس طَرَفة بن العبد :

كَأَنَّ كِنَاسَىْ ضَالَةٍ يَكْنُفَانِهَا ... وأَطْرَ قِسِىٍّ تَحْتَ صُلْبٍ مُؤَيَّدِ[2]

وأما الدلالة على أن الكِناس قد يكون للظباء ، فقول أوس بن حَجَر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مُزْنَةً ... وعُفْرُ الظِّبَاءِ فِى الْكِنَاسِ تَقَمَّعُ[3]

فالكِناس فى كلام العرب ما وصفت ، وغير مُنكر أن يُستعار ذلك فى المواضع التى تكون بها النجوم من السماء ، فإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن فى الآية دلالة على أن المراد بذلك النجوم دون البقر ، ولا البقر دون الظباء ، فالصواب أن يُعَمّ بذلك كلّ ما كانت صفته الخنوس أحيانا ، والجرى أخرى ، والكنوس بآنات على ما وصف جلّ ثناؤه من صفتها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه بتحقيق الدكتور محمد حسين ٢٠١ من قصيدة يهجو بها الحارث بن وعلة ، والبيت هو التاسع فيها وفيه « فلما أدركت الحى » أى لحقته . وأتلع : رفع رأسه . والأنس : جمع آنسة ، كركع جمع راكعة ، وهى الطيبة النفس . والمكانس : جمع مكنس ، وهو مدخل الظبى أو البقرة الوحشية فى أصل شجرة تسكن فيه من الحر . والربرب : القطيع من البقر الوحشى . يقول : فلما بلغت الحى تطالع الفتيات ينظرن إلى وقد تطاولت أعناقهن ومددنها ، كأنهن قطيع من البقر الوحشى المستظل بالأشجار وقد مد الرقاب . ومحل الشاهد فى قوله المكانس ، فإنها جمع مكنس ، وهو الكناس أيضا ، كما فسرناه .

(٢) البيت من معلقة طرفة (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ٣١٢) قال شارحه : الكناس : بيت يتخذه الوحش فى أصل شجرة . والثور يتخذ كناسين : لظل الغداة ، وفىء العشى . والضال : هو السدر البرى . ويكنفانها : يكونان فى ناحتيها . والأطر : العطف . والمؤيد : المقوى . شبه إبطيها فى السعة ببيتين من بيوت الوحش فى أصل ضالة . وشبه أضلاعها بقسى معطوفة تحت صلب قوى . وسعة الإبط أبعد لها من العثار . اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن عند قوله تعالى : « فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس » : قال : وهى النجوم تخنس فى مجراها : ترجع . وتكنس : تستتر كما تكنس الظباء فى المغار ، وهو الكناس . اهـ .

(٣) البيت لأوس بن حجر التميمى كما قال المؤلف وكما فى (اللسان : قمع) . والكناس والمكنس : بيت يتخذه الظبى أو الثور الوحشى فى أصل شجرة ليتقى به حر الشمس ، وقد تقدم . وتقمع ، يقال قمعت الظبية قمعا ، وتقمعت : لسعتها القمعة (بالتحريك ، وهى ذباب أزرق عظيم يدخل فى أنف الدواب ، فيؤذيها ، والجمع قمع ومقامع) ودخلت فى أنفها ، فحركت رأسها عن ذلك . وتقمع الحمار : حرك رأسه من القمعة ، ليطرد النعرة عن وجهه أو من أنفه ، قال أوس بن حجر : « ألم تر أن الله أرسل مزنة . . . البيت » أى تحرك رءوسها من القمع . اهـ . والبيت شاهد على أن الكناس يكون للظباء ، كما يكون لبقر الوحش . اهـ .

أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالليل إذا عسعس ، يقول : وأقسم بالليل إذا عسعس .

واختلف أهل التأويل فى قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) فقال بعضهم : عنى بقوله (إِذَا عَسْعَسَ) : إذا أدبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) يقول : إذا أدبر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) يعنى : إذا أدبر .

حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكرىّ ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن رجل عن أبىَ ظبيان ، قال : كنت أتبع علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وهو خارج نحو المشرق ، فاستقبل الفجر ، فقرأ هذه الآية (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبى عبد الرحمن ، قال : خرج علىّ عليه السلام مما يلى باب السوق ، وقد طلع الصبح أو الفجر ، فقرأ : (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) أين السائل عن الوتر ؟ نعم ساعة الوتر هذه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) قال : إقباله ، ويقال : إدباره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) : إذا أدبر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِذَا عَسْعَسَ) قال : إذا أدبر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (إِذَا عَسْعَسَ) : إذا أدبر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن مسعر ، عن أبى حصين ، عن أبى عبد الرحمن ، قال : خرج علىّ عليه السلام بعد ما أذّن المؤذّن بالصبح ، فقال : (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) أين السائل عن الوتر ؟ قال : نعم ساعة الوتر هذه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) قال : عسعس : تولى ، وقال : تنفس الصبح من هاهنا ، وأشار إلى المشرق اطلاع الفجر .

وقال آخرون : عنى بقوله (إِذَا عَسْعَسَ) : إذا أقبل بظلامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) قال : إذا غَشِي الناس .

حدثنا الحسين بن عليّ الصدائى ، قال : ثنى أبى ، عن الفضيل ، عن عطية (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) قال : أشار بيده إلى المغرب .

وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب عندى : قول من قال : معنى ذلك : إذا أدبر ، وذلك لقوله (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) فدلّ بذلك على أن القسم بالليل مدبرا ، وبالنهار مقبلا ، والعرب تقول : عسعس الليل ، وسَعْسَعَ الليل : إذا أدبر ، ولم يبق منه إلا اليسير ؛ ومن ذلك قول رُؤْبة بن العجاج :

يا هِنْدُ ما أسْرَعَ ما تَسَعْسَعا وَلَوْ رَجا تَبْعَ الصِّبا تَتَبَّعا[1]

فهذه لغة من قال : سعسع ؛ وأما لغة من قال : عسعس ، فقول علقمة بن قُرط :

حَتَّى إذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسا وانْجابَ عَنْها لَيْلُها وَعَسْعَسا[2]

يعنى أدبر . وقد كان بعض أهل المعرفة بكلام العرب ، يزعم أن عسعس : دنا من أوّله وأظلم . وقال الفراء : كان أبو البلاد النحوى ينشد بيتا :

عَسْعَسَ حَتَّى لَوْ يَشاءُ إدَّنا كانَ لَهُ مِنْ ضَوْئِهِ مَقْبَسُ[3]

يقول : لو يشاء إذ دنا ، ولكنه أدغم الذال فى الدال ، قال الفرّاء : فكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع .

وقوله (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) يقول : وضوء النهار إذا أقبل وتبين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (والصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) قال : إذا نشأ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) : إذا أضاء وأقبل.

وقوله (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن لتنزيل رسول كريم ، يعنى جبريل ، نزله على محمد بن عبد الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) البيتان لرؤبة ديوانه ٨٨ ، واللسان : سعع (قال : وسعسع الشيخ وغيره وتسعسع : قارب الخطو ، واضطرب من الكبر أو الهرم . قال رؤبة يذكر امرأة تخاطب صاحبة لها : « قالت ولم تأل به أن يسمعا ه يا هند . . . البيتين » . أخبرت صاحبتها عنه أنه قد أدبر وفنى إلا أقله . والسعسعة : الفناء ونحوه . ومنه : تسعسع الشهر : إذا ذهب . اهـ .

(٢) البيتان لعلقمة بن قرط . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٥) : « والليل إذا عسعس » قال بعضهم : إذا أقلت (كذا) بهاؤه . وقال بعضهم : إذا ولى ، ألا تراه قال : « والصبح إذا تنفس » . وقال علقمة بن قرط : « حتى إذا الصبح ... البيتين ». اهـ .

(٣) البيت مما أنشده أبو البلاد النحوى ، وأخذه عنه الفراء فى معانى القرآن (٣٦٠) قال : وقوله « والليل إذا عسعس » : اجتمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر . وكان بعض أصحابنا يزعم أن عسعس دنا من أوله وأظلم ، وكان أبو البلاد النحوى ينشد فيه : «عسعس حتى . . . البيت » : يريد : إذ دنا ، ثم يلقى همزة ، ويدغم الذال فى الدال . وكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع . اهـ . قلت : وإذا لم تصح رواية البيت ثبت أن عسعس بمعنى أدبر ،فيكون معناه كمعنى سعسع . وعلى هذا قال المؤلف : إن العرب تقول: عسعس الليل ، وسعسع الليل : إذا أدبر ، ولم يبق منه إلا اليسير . قلت : وهو الصواب . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أنه كان يقول : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) يعني : جبريل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أنه كان يقول (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) قال : هو جبريل .

وقوله (ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ) يقول تعالى ذكره : ذى قوّة ، يعنى جبرائيل على ما كلف من أمر غير عاجز عند ذى العرش مكين : يقول : هو مكين عند ربّ العرش العظيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : (مُطَاعٍ ثَمَّ) يعنى جبريل صلى الله عليه وسلم ، مطاع فى السماء تطيعه الملائكة (أَمِينٍ) يقول : أمين عند الله على وحيه ورسالته ، وغير ذلك مما ائتمنه عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا عمر بن شبيب المسلى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح : (مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) قال جبريل عليه السلام ، أمين على أن يدخل سبعين سُرادقا من نور بغير إذن .

حدثنا محمد بن منصور الطوسىّ ، قال : ثنا عمر بن شبيب ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، قال : لا أعلمه إلا عن أبى صالح ، مثله .

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الأقطع ، قال : ثنى أبى عمر بن خالد ، عن معقل بن عبيد الله الجزرىّ ، قال : قال ميمون بن مهران فى قوله (مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) قال : ذاكم جبريل عليه السلام .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) قال : يعنى جبريل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطَاعٍ) مطاع عند الله (ثَمَّ أَمِينٍ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) يعنى جبريل عليه السلام .

وقوله (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) يقول تعالى ذكره : وما صاحبكم أيها الناس محمد بمجنون ، فيتكلم عن جنة ، ويهذى هذيان المجانين ، بل جاء بالحقّ ، وصدّق المرسلين .

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد البرقى ، قال : ثنا أبى عمرو بن خالد ، عن معقل بن عبد الله الجزرى ، قال : قال ميمون بن مهران (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) قال : ذاكم محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ) يقول تعالى ذكره : ولقد رآه أى محمد جبريلَ صلى الله عليه وسلم فى صورته بالناحية التى تبين الأشياء ، فترى من قبلها ، وذلك من ناحية مطلع الشمس من قِبَل المشرق . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِالأُفُقِ المُبِينِ) الأعلى . قال : بأفق من نحو «أجياد» .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِالأُفُقِ المُبِينِ) قال : كنا نحدّث أن الأفق حيث تطلع الشمس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ) كنا نحدّث أنه الأفق الذى يجىء منه النهار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ) قال : رأى جبريل بالأفق المبين .

حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملىّ ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن الوليد بن العيزار ، قال : سمعت أبا الأحوص يقول فى قول الله (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ) قال : رأى جبريل له ستّ مئة جناح فى صورته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر ، قال : ما رأى جبريل النبىّ صلى الله عليه وسلم فى صورته إلا مرّة واحدة ، وكان يأتيه فى صورة رجل يقال له دَحْيَة ، فأتاه يوم رآه فى صورته قد سدّ الأفق كله ، عليه سندس أخضر معلق الدرّ ، فذلك قول الله (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ) وذُكر أن هذه الآية فى (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) فى جبريل ، إلى قوله (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة (بِضَنِينٍ) بالضاد ، بمعنى : أنه غير بخيل عليهم بتعليمهم ما علّمه الله ، وأنزل إليه من كتابه . وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وبعض الكوفيين (بِظَنِينٍ) بالظاء ، بمعنى أنه غير متهم فيما يخبرهم عن الله من الأنباء .

ذكر من قال ذلك بالضاد ، وتأوّله على ماوصفنا من التأويل من أهل التأويل

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ (وَمَا هُوَ عَلَى

الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) قال : الظَّنين : المتّهم . وفى قراءتكم (بِضَنِينٍ) والضنين : البخيل ، والغيب : القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا خالد بن عبد الله الواسطى ، قال : ثنا مغيرة ، عن إبراهيم (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) ببخيل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) قال : ما يضِنّ عليكم بما يعلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) قال : إن هذا القرآن غيب ، فأعطاه الله محمدا ، فبذله وعلّمه ودعا إليه ، والله ما ضنّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) قال : فى قراءتنا بمتّهم ، ومن قرأها (بِضَنِينٍ) يقول : ببخيل .

حدثنا مهران ، عن سفيان (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) قال : ببخيل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) الغيب : القرآن ، لم يضنّ به على أحد من الناس أدّاه وبلّغه ، بعث الله به الروح الأمين جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدّى جبريل ما استودعه الله إلى محمد ، وأدّى محمد ما استودعه الله وجبريل إلى العباد ، ليس أحد منهم ضَنّ ، ولا كَتَم ، ولا تخرّص .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك بالظاء ، وتأوّله على ما ذكرنا من أهل التأويل

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربى ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، أنه قرأ (بظَنِينٍ) قال : ليس بمتّهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى المعلّى ، عن سعيد بن جُبير : أنه كان يقرأ هذا الحرف (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) فقلت لسعيد بن جُبير : ما الظنين ؟ قال : ليس بمتّهم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى المعلى ، عن سعيد بن جُبير أنه قرأ (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) قلت : وما الظنين : قال المتهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) يقول : ليس بمتّهم على ما جاء به ، وليس يظنّ بما أوتى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا خالد بن عبد الله الواسطىّ ، قال : ثنا المغيرة ، عن إبراهيم (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) قال : بمتهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) قال : الغيب : القرآن . . وفى قراءتنا (بِظَنِينٍ) متهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بِظَنِينٍ) قال : ليس على ما أنزل الله بمتهم .

وقد تأوّل ذلك بعض أهل العربية أن معناه : وما هو على الغيب بضعيف ، ولكنه محتمِل له مطيق ، ووجهه إلى قول العرب للرجل الضعيف : هو ظَنُون .

وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب : ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة ، وإن اختلفت قراءتهم به ، وذلك (بِضَنِينٍ) بالضاد ، لأن ذلك كله كذلك فى خطوطها .

فإذا كان ذلك كذلك ، فأولى التأويلين بالصواب : فى ذلك تأويل من تأوّله ، وما محمد على ما علّمه الله من وحيه وتنزيله ببخيل بتعليمكموه أيها الناس ، بل هو حريص على أن تؤمنوا به وتتعلّموه .

وقوله (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) يقول تعالى ذكره : وما هذا القرآن بقول شيطان ملعون مطرود ، ولكنه كلام الله ووحيه .

وقوله (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟) يقول تعالى ذكره : فأين تذهبون عن هذا القرآن ، وتعدلون عنه ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) يقول : فأين تعدلون عن كتابى وطاعتى . وقيل : (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) ولم يقل : فإلى أين تذهبون ، كما يقال : ذهبت الشأم ، وذهبت السوق . وحُكى عن العرب سماعا : انطلق به الغَوْرَ ، على معنى إلغاء الصفة ، وقد يُنشد لبعض بنى عُقَيل :

تَصِيحُ بِنا حَنِيفَةُ إذْ رأتْنا … وأىَّ الأرْضِ تَذْهَبُ للصِّياحِ [1]

بمعنى : إلى أىّ الأرض تذهب ؟ واستُجيز إلغاء الصفة فى ذلك للاستعمال :

(١) البيت لبعض بنى عقيل . قال الفراء فى معانى القرآن (٣٦٠) : وقوله « فأين تذهبون ؟ » . العرب تقول : إلى أين تذهب ؟ وأين تذهب ؟ ويقولون : ذهبت الشام ، وذهبت السوق ، وانطلقت الشام ، وانطلقت السوق ، وخرجت الشام . سمعناه فى هذه الأحرف الثلاثة : خرجت ، وانطلقت ، وذهبت . وقال الكسائى : سمعت العرب تقول : انطلقت به الغور ، فتنصب على معنى إلقاء الصفة (حرف الجر عند الكوفيين) ، وأنشدنى بعض بنى عقيل : « تصيح بنا حنيفة . . . البيت » : يريد إلى أى الأرض تذهب ؟ واستجازوا فى هؤلاء الأحرف إلقاء « إلى » لكثرة استعمالهم إياها . قلت : النحويون منعوا نصب اسم المكان على الظرفية : إذا كان خاصا (له صورة وحدود محصورة) وأوجبوا الجر فيه بحرف الجر ، واستثنوا هذه الأحرف التى ذكرها الفراء إذ ورد السماع بها عن العرب بدون حرف الجر . وهو كما قال .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝﴾

يقول تعالى ذكره : (إنْ) هذا القرآن ، وقوله (هُوَ) من ذكر القرآن (إلاَّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ) يقول : إلا تذكرة وعظة للعالَمِين من الجنّ والإنس (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ) فجعل ذلك تعالى ذكره ، ذكرا لمن شاء من العالَمِين أن يستقيم ،ولم يجعله ذكرا لجميعهم ، فاللام فى قوله (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ) إبدال من اللام فى للعالَمِين . وكان معنى الكلام : إن هو إلا ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم على سبيل الحقّ فيتبعه ، ويؤمن به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ) قال : يتبع الحقّ .

وقوله (وَما تَشاءُونَ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ) يقول تعالى ذكره : وما تشاءون أيها الناس الاستقامة على الحقّ ، إلا أن يشاء الله ذلك لكم .

وذُكِر أن السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية ، ما حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى ، لما نزلت (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ) قال أبو جهل: ذلك إلينا ، إن شئنا استقمنا ، فنزلت (وَما تَشاءُونَ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى ، قال : لما نزلت هذه الآية (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ) قال أبو جهل : الأمر إلينا ، إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم ، فأنزل الله (وَما تَشاءُونَ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ) .

حدثنى ابن البَرْقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد ، عن سليمان بن موسى ، قال : لما نزلت هذه الآية (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ) قال أبو جهل : ذلك إلينا ، إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم ، فأنزل الله (وَما تَشاءُونَ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ) .

آخر تفسير سورة إذا الشمس كوّرت

(٨٢) سورة الانفطار مكية
وآياتها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) : انشقت ، وإذا كواكبها انتثرت منها فتساقطت ، (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) يقول : فجّر الله بعضها فى بعض ، فملأ جميعها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى بعض ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) يقول : بعضها فى بعض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) فُجِّر عذبها فى مالحها ، ومالحها فى عذبها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) قال : فجّر بعضها فى بعض ، فذهب ماؤها . وقال الكلبى : ملئت .

وقوله (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) يقول : وإذا القبور أُثيرت ، فاستخرج من فيها من الموتى أحياء ، يقال : بعثر فلان حوض فلان : إذا جعل أسفله أعلاه ، يقال : بعثره وبحثره : لغتان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) يقول : بُحثت .

وقوله (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وأخَّرَتْ) يقول تعالى ذكره : علمت كلّ نفس ما قدّمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه ، وأخرت وراءه من شىء سنّه فعمل به .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنى عن القُرَظِىّ ، أنه قال

فى (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) قال : ما قدّمت مما عملت ، وأما ما أخّرت فالسنة يَسُنّها الرجل ، يعمل بها من بعده .

وقال آخرون : عُنِى بذلك : ما قدّمت من الفرائض التى أدتها ، وما أخّرت من الفرائض التى ضيعتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ) قال : ما افترض عليها (وَما أخَّرَتْ) قال : مما افترض عليها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَأخَّرَتْ) قال : تعلم ما قدّمت من طاعة الله ، وما أخرت مما أُمِرَت به من حقّ الله عليه لم تعمل به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وأخَّرَتْ) قال : ما قدّمت من خير ، وأخّرت من حق الله عليها لم تعمل به .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، (ما قَدَّمَتْ وأخَّرَتْ) قال : ما قدمت من طاعة الله وما أخرت من حق الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وأخَّرَتْ) قال : ماقدّمت : عملت ، وما أخرت : تركت وضيّعت ، وأخرت من العمل الصالح الذى دعاها الله إليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما قدّمت من خير أوشرّ ، وأخّرت من خير أو شرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام ، عن إبراهيم التيمىّ ، قال : ذكروا عنده هذه الآية (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَأخَّرَتْ) قال : أنا مما أخّر الحجاج .

⁂ وإنما اخترنا القول الذى ذكرناه ، لأن كلّ ما عمل العبد من خير أو شرّ فهو مما قدّمه ، وأن ما ضيّع من حقّ الله عليه وفرّط فيه فلم يعمله ، فهو مما قد قدّم من شرّ ، وليس ذلك مما أخّر من العمل ، لأن العمل هو ما عمله ، فأما ما لم يعمله فإنما هو سيئة قدّمها ، فلذلك قلنا : ما أخر : هو ما سنه من سنة حسنة وسيئة ، مما إذا عمل به العامل كان له مثل أجر العامل بها أو وزره .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝

❊ يقول تعالى ذكره: يا أيها الإنسان الكافر، أىُّ شىء غرّك بربك الكريم، غرّ الإنسانَ به عدوُّه المسلّط عليه.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيم) شىء ما غرّ ابنَ آدم هذا العدوُّ الشيطان.

وقوله (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ) يقول: الذى خلقك أيها الإنسان فسوّى خلقك (فَعَدَلَكَ).

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والشام والبصرة (فَعَدَّلَكَ) بتشديد الدال، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بتخفيفها، وكأن من قرأ ذلك بالتشديد، وجّه معنى الكلام إلى أنه جعلك معتدلا معدّل الخلق مقوّما، وكأنّ الذين قرءوه بالتخفيف، وجّهوا معنى الكلام إلى صرفك، وأمالك إلى أىّ صورة شاء، إما إلى صورة حسنة، وإما إلى صورة قبيحة، أو إلى صورة بعض قراباته.

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب: أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان فى قَرَأَة الأمصار، صحيحتا المعنى، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجبهما إلىّ أن أقرأ به، قراءة من قرأ ذلك بالتشديد، لأن دخول «فى» للتعديل أحسن فى العربية من دخولها للعدل، ألا ترى أنك تقول: عدّلتك فى كذا، وصرفتك إليه، ولا تكاد تقول: عدلتك إلى كذا وصرفتك فيه، فلذلك اخترت التشديد.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك وذكرنا أن قارئى ذلك تأوّلوه، جاءت الرواية عن أهل التأويل أنهم قالوه.

ذكر الرواية بذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قول الله (فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ) قال: فى أىّ شبه أب أو أم أو خال أو عمّ.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن إسماعيل، فى قوله (ما شاءَ رَكَّبَكَ) قال: إن شاء فى صورة كلب، وإن شاء فى صورة حمار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل، عن أبى صالح (فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ) قال: خنزيرا أو حمارا.

حدثنى يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن أبى رجاء، عن عكرمة، فى قوله (فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ) قال: إن شاء فى صورة قرد، وإن شاء فى صورة خنزير.

حدثنى محمد بن سنان القزّاز، قال: ثنا مطهر بن الهيثم، قال: ثنا موسى بن علىّ بن أبى رباح اللّخمى، قال: ثنى أبى، عن جدى، «أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال له: ما وُلِدَ لَكَ؟ قال: يا رسول الله، ما عسى أن يولد لى، إما غلام، وإما جارية، قال: فَمَنْ يُشْبِهُ؟ قال: يا رسول الله من عسى أن يشبه؟ إما أباه، وإما أمه؛ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم عندها: مَهْ، لاتَقُولَنَّ هَكَذَا، إنَّ النُّطْفَةَ إذا اسْتَقَرَّتْ فِي الرَّحِمِ أحْضَرَ اللهُ كُلَّ نَسَبٍ بَيْنَها وبَيْنَ آدَمَ، أما قَرأْتَ هَذِهِ الآيَةَ فِي كِتابِ اللهِ (فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ) قال: سَلَكَكَ».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره: ليس الأمر أيها الكافرون كما تقولون، من أنكم على الحق في عبادتكم غير الله، ولكنكم تكذبون بالثواب والعقاب، والجزاء والحساب.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) قال: بالحساب.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) قال: بيوم الحساب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله (بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) قال: يوم شدة، يوم يدين الله العباد بأعمالهم.

وقوله (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ) يقول: وإن عليكم رقباء حافظين يحفظون أعمالكم، ويحصونها عليكم (كِرَامًا كَاتِبِينَ) يقول: كراما على الله كاتبين، يكتبون أعمالكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: قال بعض أصحابنا، عن أيوب، في قوله (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ) قال: يكتبون ما تقولون وما تعنون.

وقوله (يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) يقول: يعلم هؤلاء الحافظون ما تفعلون من خير أو شر، يحصون ذلك عليكم.

وقوله (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) يقول جل ثناؤه: إن الذين بروا بأداء فرائض الله، واجتناب معاصيه لفي نعيم الجنان ينعمون فيها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : (وَإِنَّ الفُجَّارَ) الذين كفروا بربهم (لَفِي جَحِيمٍ) .

وقوله (يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ) يقول جلّ ثناؤه : يَصْلَى هؤلاء الفجار الجحيم يوم القيامة ، يوم يُدان العباد بالأعمال ، فيُجازَوْنَ بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ الدِّينِ) من أسماء يوم القيامة ، عظّمه الله ، وحذّره عباده .

وقوله (وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ) يقول تعالى ذكره : وما هؤلاء الفجار من الجحيم بخارجين أبدا فغائبين عنها ، ولكنهم فيها مخلّدون ماكثون ، وكذلك الأبرار فى النعيم ، وذلك نحو قوله (وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) .

وقوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أدراك يامحمد ، أى وما أشعرك ما يوم الدين ؟ يقول : أىُّ شىء يومُ الحساب والمجازاة ، معظما شأنه جلّ ذكره ، بقيله ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ؟) تعظيما ليوم القيامة ، يوم تدان فيه الناس بأعمالهم .

وقوله (ثُمَّ ما أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّينِ ؟) يقول : ثم أىّ شىء أشعرك أىّ شىء يوم المجازاة والحساب يامحمد تعظيما لأمره ، ثم فسّر جلّ ثناؤه بعض شأنه فقال : (يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً) : يقول : ذلك اليوم ، يوم لاتملك نفس : يقول : يوم لاتُغنى نفس عن نفس شيئا ، فتدفع عنها بليّة نزلت بها ، ولا تنفعها بنافعة ، وقد كانت فى الدنيا تحميها ، وتدفع عنها من بغاها سوءا ، فبطل ذلك يومئذ ، لأن الأمر صار لله الذى لايغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر ، واضمحلت هنالك الممالك ، وذهبت الرياسات ، وحصل الملك للملك الجبار ، وذلك قوله (وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) يقول : والأمر كله يومئذ ، يعنى الدين لله دون سائر خلقه ، ليس لأحد من خلقه معه يومئذ أمر ولا نهى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) قال : ليس ثم أحد يومئذ يقضى شيئا ، ولا يصنع شيئا إلا ربّ العالمين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً ، وَالأمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ) والأمر والله اليوم لله ، ولكنه يومئذ لاينازعه أحد .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ) فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة بنصب (يَوْمَ) إذ كانت إضافته غير محضة . وقرأه بعض قرّاء البصرة بضم (يَوْمُ) ورفعه ردّا على اليوم الأوّل ، والرفع فيه أفصح فى كلام العرب ، وذلك أن اليوم مضاف إلى يفعل ، والعرب إذا أضافت اليوم إلى تفعل أو يفعل أو أفعل رفعوه فقالوا : هذا يوم أفعل كذا ، وإذا أضافته إلى فعل ماضٍ نصبوه ؛ ومنه قول الشاعر :

عَلَى حِينَ عاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبا ... وقُلْتُ أَلَمَّا تَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ ؟ [١]

آخر تفسير سورة إذا السماء انفطرت

(٨٣) سُورَةُ المطفِّفِين مَكِّيَّة
وآياتها ستٌ وثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞

❊ يقول تعالى ذكره : الوادى الذى يسيل من صديد أهل جهنم فى أسفلها للذين يُطَفِّفون ، يعنى : للذين ينقصون الناس ، ويَبْخَسونهم حقوقهم فى مكاييلهم إذا كالوهم ، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء ، وأصل ذلك من الشيء الطفيف ، وهو القليل النَّزْر ، والمطفِّف : المقلِّل حقّ صاحب الحقّ عما له من الوفاء والتمام فى كيل أو وزن ؛ ومنه قيل للقوم الذين يكونون سواء فى حسبة أو عدد : هم سواء كطَفِّ الصاع ، يعنى بذلك : كقرب الممتلئ منه ناقص عن الملء .

وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضِرار ، عن عبد الله ، قال : قال له رجل :

(١) البيت للنابغة الذبيانى . وقد سبق استشهاد المؤلف به فى الجزء (٧ : ١٤١) وقد شرحناه ، فارجع إليه ثمة . وقد أنشده الفراء فى معانى القرآن (٣٦٠) ، قال عند قوله تعالى « يوم لا تملك » : اجتمع القراء على نصب « يوم لا تملك » والرفع جائز لو قرئ به ، زعم الكسائى أن العرب تؤثر الرفع إذا أضافوا « اليوم » إلى يفعل، وأفعل ، ونفعل ؛ فيقولون : يوم نفعل ذاك ، وأفعل ذاك ، ونفعل ذاك ، فإذا قالوا : هذا يوم فعلت ، فأضافوا « يوم » إلى « فعلت » وإلى « إذ » آثروا النصب . وأنشدوا : « على حين عاتبت . . . البيت» . ويجوز فى الياء والتاء ، ما يجوز فى فعلت (يريد صيغتى المضارع : بيفعل ، وتفعل) . والأكثر : ما فسر الكسائى . اهـ .

يا أبا عبد الرحمن، إن أهل المدينة لَيوفون الكيل ، قال : وما يمنعهم من أن يوفوا الكيل ، وقد قال الله : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) حتى بلغ (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « لما قَدِم النبيّ صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) فأحسنوا الكيل » .

حدثني محمد بن خالد بن خداش ، قال : ثنا سلم بن قتيبة ، عن قسام الصيرفى ، عن عكرمة قال : أشهد أن كلّ كيال ووزّان فى النار ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنه ليس منهم أحد يزن كما يتزن[1] ، ولا يكيل كما يكتال ، وقد قال الله : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) .

وقوله (الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) يقول تعالى ذكره : الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم قبلهم من حقّ ، يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهم وافيا ، و « على » و « من » فى هذا الموضع يتعاقبان غير أنه إذا قيل : اكتلت منك ، يراد : استوفيت منك .

وقوله (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ) يقول : وإذا هم كالوا للناس أو وزنوا لهم . ومن لغة أهل الحجاز أن يقولوا : وزنتك حقك ، وكلتك طعامك ، بمعنى : وزنت لك وكلت لك . ومن وجّه الكلام إلى هذا المعنى ، جعل الوقف على هم ، وجعل هم فى موضع نصب . وكان عيسى بن عمر فيما ذُكر عنه يجعلهما حرفين ، ويقف على كالوا ، وعلى وزنوا ، ثم يبتدئ : هم يُخسرون . فمن وجّه الكلام إلى هذا المعنى ، جعل هم فى موضع رفع ، وجعل كالوا ووزنوا مكتفيين بأنفسهما .

والصواب فى ذلك عندى : الوقف على هم ، لأن كالوا ووزنوا لو كانا مكتفيين ، وكانت هم كلاما مستأنفا ، كانت كتابة كالوا ووزنوا بألف فاصلة بينها وبين هم مع كل واحد منهما ، إذ كان بذلك جرى الكتاب فى نظائر ذلك ، إذا لم يكن متصلا به شيء من كنايات المفعول ، فكتابهم ذلك فى هذا الموضع بغير ألف أوضح الدليل على أن قوله (هُمْ) إنما هو كناية أسماء المفعول بهم . فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا ، على ما بيّنا .

وقوله (يُخْسِرُونَ) يقول : ينقصونهم . وقوله (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول تعالى ذكره : ألا يظنّ هؤلاء المطففون الناس فى مكاييلهم وموازينهم ، أنهم مبعوثون من قبورهم بعد مماتهم ، ليوم عظيم شأنه ، هائل أمره ، فظيع هوله ؟

وقوله (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) فيوم يقوم تفسير عن اليوم الأوّل المخفوض ، ولكنه لما لم يعد عليه اللام ، ردّ إلى مبعوثون ، فكأنه قال : ألا يظنّ أولئك أنهم مبعوثون يوم يقوم الناس ؟ وقد يجوز نصبه وهو بمعنى الخفض ، لأنها إضافة غير محضة ، ولو خفض ردّا على اليوم الأوّل لم يكن لحنا ، ولو رفع جاز ، كما قال الشاعر :

(١) يتزن : أى يأخذ الشيء لنفسه وزنا .

وكُنْتُ كَذِى رِجْلَيْنِ : رِجلٍ صَحيحةٍ وَرِجْلٍ رَمَى فيها الزَّمانُ فَشَلَّتِ[١]

وذُكر أن الناس يقومون لربّ العالمين يوم القيامة ، حتى يُلْجِمَهم العرق ، فبعض يقول : مقدار ثلاث مئة عام ، وبعض يقول : مقدار أربعين عاما .

ذكر من قال ذلك

حدثني علىّ بن سعيد الكندىّ ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن ابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : يقوم أحدكم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوخالد الأحمر ، عن ابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم(يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)قال: يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا ابن عون ، عن نافع ، قال : قال ابن عمر : (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) حتى يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ النَّاسَ يُوقَفُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لِعَظَمَةِ اللهِ ، حتى إنَّ الْعَرَقَ لَيُلْجِمُهُمْ إلى أنْصَافِ آذَانِهِمْ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سمعت النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : « (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) يَوْمَ الْقِيامَةِ لِعَظَمَةِ الرَّحْمَنِ » ، ثم ذكر مثله .

حدثنى محمد بن خَلَف العَسقلانىّ ، قال: ثنا آدم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال: « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : يَقُومُونَ حتى يَبْلُغَ الرَّشْحُ إلى أنْصَافِ آذَانِهِمْ » .

حدثنا أحمد بن محمد بن حبيب ، قال : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا أبى ، عن صالح ، قال : ثنا نافع ، عن ابن عمر ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ): يَوْمَ الْقِيامَةِ ، حتى يَغِيبَ أحَدُهُمْ إلى أنْصَافِ أُذُنَيْهِ فى رَشْحِهِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة بن سعيد ، عن محارب بن دِثار ، عن ابن عمر ، فى قوله (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : يقومون مئة سنة .

---

(١) البيت لكثير عزة . وقد استشهد به المؤلف فى الجزء (٣ : ١٩٤) وأنشده الفراء فى معانى القرآن (٣٦١) قال : وقوله : « يوم يقوم الناس » : هو تفسير اليوم المخفوض ، لما ألقى اللام من الثانى رده إلى « مبعوثون يوم يقوم الناس » ، فلو خفضت يوم بالرد على البيت الأول كان صوابا ، وقد يكون فى موضع خفض ، إلا أنها أضيفت إلى « يفعل » فنصبت إذ أضيفت إلى غير مخفوض ، ولو رفع على ذلك يوم يقوم كما قال الشاعر : « وكنت كذى رجلين . . . » . اهـ . وانظر ديوان كثير طبع الجزائر (١ : ٤٦) .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : « (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) يَوْمَ الْقِيامَةِ ، حتّى إنّ الْعَرَقَ لَيُلْجِمُ الرَّجُلَ إلى أنْصافِ أُذُنَيْهِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن المثنى وابن وكيع ، قالا : ثنا يحيى ، عن عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال « يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ حَتَّى يَقُومَ أحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إلى أنْصافِ أُذُنَيْهِ » .

حدثنى محمد بن إبراهيم السُّلَيْمِيّ المعروف بابن صدران ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : ثنا عبد السلام بن عجلان ، قال : ثنا يزيد المدنى ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبشير الغِفَارِيّ : « كَيْفَ أنْتَ صانِعٌ فِي يَوْمٍ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ مِقْدارَ ثَلاثِ مِئَةِ سَنَةٍ مِنْ أيَّامِ الدُّنْيا ، لايأتِيهِمْ خَبَرٌ مِنَ السَّماءِ ، وَلا يُؤْمَرُ فِيهِمْ بأمْرٍ ، قال بشير : المستعان الله يا رسول الله ، قال : إذَا أنْتَ أوَيْتَ إلى فِراشِكَ فَتَعَوَّذْ باللهِ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَسُوءِ الْحِسابِ » .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : ثنا شريك ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله ابن مسعود « فى قوله (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ) قال : يمكثون أربعين عاما رافعى رءوسهم إلى السماء ، لايكلمهم أحد ، قد ألجم العرق كلّ برّ وفاجر ، قال : فينادى مناد أليس عدلا من ربكم أن خلقكم ثم صوّركم ، ثم رزقكم ، ثم توليتم غيره ، أن يولِّىَ كلّ عبد منكم ما تولى فى الدنيا ؟ قالوا : بلى » ثم ذكر الحديث بطوله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن سكْن ، قال : حدث عبد الله ، وهو عند عمر « (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ) قال : إذا كان يوم القيامة يقوم الناس بين يدى ربّ العالمين أربعين عاما ، شاخصة أبصارهم إلى السماء ، حفاة عراة يلجمهم العرق ، ولا يكلّمهم بشر أربعين عاما » ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العالَمِينَ) قال : ذُكر لنا أن كعبا كان يقول : يقومون ثلاث مئة سنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران وسعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ) قال : كان كعب يقول : يقومون مقدار ثلاث مئة سنة .

قال قتادة : وحدثنا العلاء بن زياد العدوىّ ، قال : « بلغنى أن يوم القيامة يَقْصُر على المؤمن ، حتى يكون كإحدى صلاته المكتوبة » .

قال : ثنا مهران ، قال : ثنا العمرىّ ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سمعت النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : « (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال: يَقُومُ الرَّجُلُ فِي رَشْحِهِ إلى أنْصَافِ أُذُنَيْه ».

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : (يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) حتى يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه .

قال يعقوب ، قال إسماعيل : قلت لابن عون : « ذكر النبىّ صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث قال : نَعَمْ إنْ شاءَ اللهُ » .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنى عمى ، قال : أخبرنى مالك بن أنس ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، حتى إنَّ أحَدَهُمْ لَيَغِيبُ فِي رَشْحِهِ إلى نِصْفِ أُذُنَيْهِ » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝

❁ يقول تعالى ذكره : كلا ، أى ليس الأمر كما يظنّ هؤلاء الكفار ، أنهم غير مبعوثين ولا معذّبين ، إن كتابهم الذى كتب فيه أعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا (لَفِى سِجِّينٍ) وهى الأرض السابعة السفلى ، وهو « فعِّيل » من السِّجن ، كما قيل : رجل سِكِّير من السكر ، وفِسيق من الفسق .

❁ وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : مثل الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال: ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن مغيث بن سمى : (إنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ) قال : فى الأرض السابعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن مغيث بن سمىّ ، قال : (إنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ) قال : الأرض السفلى ، قال : إبليس مُوثَق بالحديد والسلاسل فى الأرض السفلى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى جرير بن حازم ، عن سليمان الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف ، قال : كنا جلوسا إلى كعب أنا وربيع بن خيثم وخالد بن عُرْعُرة ، ورهط من أصحابنا ، فأقبل ابن عباس ، فجلس إلى جنب كعب ، فقال : يا كعب ، أخبرنى عن سجِّين ، فقال كعب : أما سجِّين : فإنها الأرض السابعة السفلى ، وفيها أرواح الكفار تحت حدّ إبليس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ): ذُكر أن عبد الله بن عمرو كان يقول : هى الأرض السفلى ، فيها أرواح الكفار ، وأعمالهم أعمال السَّوء .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فِى سِجِّينٍ) قال : فى أسفل الأرض السابعة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ) يقول : أعمالهم فى كتاب فى الأرض السفلى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (فِى سِجِّينٍ) قال : عملهم فى الأرض السابعة لا يصعد .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله [١] .

حدثنى عمر بن إسماعيل بن مجالد، قال: ثنا مطرِّف بن مازن: قاضى اليمن، عن معمر ، عن قتادة قال : (سِجِّينٍ) : الأرض السابعة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَفِى سِجِّينٍ) يقول : فى الأرض السفلى .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، فى قوله (إِنَّ كِتَابَ الفُجَّار لَفِى سِجِّينٍ) قال : الأرض السابعة السفلى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ) قال : يقال سجين : الأرض السافلة ، وسجين : بالسماء الدنيا .

وقال آخرون : بل ذلك حدّ إبليس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا يعقوب القُمِّى ، عن حفص بن حميد ، عن شمر ، قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار ، فقال له ابن عباس : حدِّثنى عن قول الله : (إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ) . . . الآية ، قال كعب : إن روح الفاجر يُصْعَد بها إلى السماء ، فتأبى السماء أن تقبلها، ويُهبط بها إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبلها ، فتهبط فتدخل تحت سبع أرضين ، حتى ينتهى بها إلى سجين ، وهو حدّ إبليس ، فيخرج لها من سجين من تحت حدّ إبليس رَقّ ، فيرقم ويختم، يوضع تحت حدّ إبليس بمعرفتها الهلاك إلى يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ) قال : تحت حدّ إبليس .

وقال آخرون : هو جبّ فى جهنم مفتوح ، ورووا فى ذلك خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا به إسحاق بن وهب الواسطىّ، قال: ثنا مسعود بن موسى بن مسكان الواسطىّ، قال: ثنا نضر بن خُزيمة

(١) هذا الإسناد جاء فى الأصل مرتين : مرة هنا ومرة فى الذى قبله .

الواسطى ، عن شعيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القُرَظى ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « الفَلَقُ جُبٌّ فى جَهَنَّمَ مُغَطًّى ، وأمّا سِجِّينٌ فَمَفْتُوحٌ » .

وقال بعض أهل العربية : ذكروا أن سجين : الصخرة التى تحت الأرض ، قال : ويُرَى أن سجين صفة من صفاتها ، لأنه لو كان لها اسما لم يجرّ ، قال : وإن قلت أجريته لأنى ذهبت بالصخرة إلى أنها الحجر الذى فيه الكتاب كان وجها .

* وإنما اخترت القول الذى اخترت فى معنى قوله (سِجِّينٍ) لما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، قال : ثنا الأعمش ، قال : ثنا المنهال بن عمرو ، عن زاذان أبى عمرو ، عن البراء ، قال (سِجِّينٍ) : الأرض السفلى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « وذكر نفس الفاجر ، وأنَّهُ يُصْعَدُ بها إلى السَّماءِ ، قال : فَيَصْعَدُونَ بها فَلا يَمُرُّونَ بها عَلَى مَلإٍ مِنَ المَلائِكَةِ إلاّ قالُوا : ما هَذَا الرُّوحُ الخَبِيثُ ؟ قال : فَيَقُولُونَ فُلانٌ بأقْبَحِ أسْمَائِهِ الَّتِى كانَ يُسَمَّى بِها فِى الدُّنْيا حَتّى يَنْتَهُوا بِها إلى السَّماءِ الدُّنْيا ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ ، فَلا يُفْتَحُ لَهُ ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتُفَتَّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السَّماءِ ، وَلا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتّى يَلِجَ الجَمَلُ فِى سَمِّ الخِياطِ) فَيَقُولُ اللهُ : اكْتُبُوا كِتابَهُ فِى أسْفَلِ الأرْضِ فِى سِجِّينٍ فِى الأرْضِ السُّفْلَى » .

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنا يحيى بن سليم ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كَلاّ إنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ) قال : سجين : صخرة فى الأرض السابعة ، فيجعل كتاب الفجار تحتها .

وقوله (وَما أدْرَاكَ ما سِجِّينٌ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأىّ شىء أدراك يامحمد ، أىّ شىء ذلك الكتاب ، ثم بين ذلك تعالى ذكره ، فقال : (هُوَ كِتابٌ مَرْقُومٌ) ، وعنى بالمرقوم : المكتوب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فِى كِتابٍ مَرْقُومٍ) قال : كتاب مكتوب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما أدْرَاكَ ما سِجِّينٌ كِتابٌ مَرْقُومٌ) قال : رقم لهم بشر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كِتابٌ مَرْقُومٌ) قال : المرقوم : المكتوب .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : ويل يومئذ للمكذّبين بهذه الآيات ، الذين يكذّبون بيوم الدين ، يقول : الذين يكذّبون بيوم الحساب والمجازاة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) قال أهل الشرك يكذّبون بالدين ، وقرأ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ) . . . إلى آخر الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : وما يكذّب بيوم الدين (إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ) اعتدى على الله فى قوله ، فخالف أمره ، (أَثِيمٍ) بربه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) قال الله : (وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) : أى بيوم الدين ، إلا كلّ معتد فى قوله ، أثيم بربه ، (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا) يقول تعالى ذكره : إذا قُرِئ عليه حججنا وأدلتنا التى بيّنّاها فى كتابنا الذى أنزلناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ،(قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) يقول : قال : هذا ما سطّره الأوّلون فكتبوه ، من الأحاديث والأخبار .

وقوله (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول تعالى ذكره مكذّبا لهم فى قيلهم ذلك : كلا ، ما ذلك كذلك ، ولكنه ران على قلوبهم يقول : غلب على قلوبهم وغمرها ، وأحاطت بها الذنوب فغطّتها ، يقال منه : رانت الخمر على عقله ، فهى ترين عليه رَيْنا ، وذلك إذا سكر ، فغلبت على عقله ؛ ومنه قول أبى زُبيد الطائى :

ثُمَّ لَمَّا رَآهُ رَانَتْ بِهِ الخَمْـرُ وأنْ لا تَرِينَهُ باتِّقاءِ[1]

يعنى ترينه بمخافة ، يقول : سكر فهو لاينتبه ؛ ومنه قول الراجز :

لَمْ تَرْوَ حتى هَجَّرَتْ وَرِينَ بِى وَرِينَ بالسَّاقِى الَّذِى أَمْسَى مَعِى[2]

(١) البيت لأبى زبيد الطائى . قال أبوعبيدة فى مجاز القرآن : « كلا بل ران على قلوبهم » : غلب على قلبه . والخمر ترين على عقل السكران . والموت يرين على الميت . قال أبو زبيد « ثم لما رآوه . . . البيت » . وفى (اللسان : ران) الرين : الطبع والدنس . والرين : الصدأ الذى يعلو السيف والمرآة . وفى التنزيل : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » : أى غلب وطبع وختم. وقال الحسن : هو الذنب على الذنب حتى يسواد القلب . هـ .

(٢) البيت مما رواه ابن الأعرابى عن العرب ولم ينسبه . وفى (اللسان : ران) : قال أبو عبيد : كل ما غلبك وعلاك فقد ران بك ، ورانك ، وران عليك . ورانت نفسه غثت . ورين به : مات . ورين به رينا : وقع فى غم ؛ وقيل : رين به : انقطع به ، وهو نحو ذلك ، أنشد ابن الأعرابى :

ضَحَّيْتُ حتى أظْهَرت وَرِينَ بِى وَرِينَ بالسَّاقِى الَّذِى كانَ مَعِى

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبوخالد ، عن ابن عجلان ، عن القَعقاع بن حكيم ، عن أبى صالح ، عن أبى هُرَيرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذَا أذْنَبَ العَبْدُ نُكِتَ فِى قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فإنْ تابَ صُقِلَ مِنْها ، فإنْ عادَ عادَتْ حتى تَعْظُمَ فِى قَلْبِهِ ، فَذلكَ الرَّانُ الَّذى قالَ اللهُ (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ) » .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : ثنا ابن عَجلان ، عن القَعقاع ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ المُؤْمِنَ إذَا أذْنَبَ ذَنْباً كانَتْ نُكْتَةٌ سَوْداءُ فِى قَلْبِهِ ، فإن تابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صَقَلَتْ قَلْبَهُ ، فإنْ زَادَ زادَتْ حتى تَعْلُوَ قَلْبَهُ ، فَذَلكَ الرَّانُ الَّذى قالَ اللهُ (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ) »

حدثنى علىّ بن سهيل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن محمد بن عَجْلان ، عن القَعقاع بن حكيم ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنَّ الْعَبْدَ إذَا أذْنَبَ ذَنْباً كانَتْ نُكْتَةٌ سَوْداءُ فِى قَلْبِهِ ، فإنْ تابَ مِنْها صُقِلَ قَلْبُهُ ، فإنْ زَادَ زَادَتْ ، فَذلكَ قَوْلُ اللهِ : (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ) » .

حدثنى أبوصالح الضِّرارى محمد بن إسماعيل ، قال : أخبرنى طارق بن عبد العزيز ، عن ابن عجلان ، عن القعقاع ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ العَبْدَ إذَا أخْطأَ خَطِيئَةً كانَتْ نُكْتَةٌ فِى قَلْبِهِ ، فإنْ تابَ واسْتَغْفَرَ وَنَزَعَ صَقَلَتْ قَلْبَهُ ، وَذَلكَ الرَّانُ الَّذى ذَكَرَ اللهُ (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ) قال أبو صالح : كذا قال : صقلت ، وقال غيره : سَقَلَت .

حدثنى علىُّ بن سهل الرملىّ ، قال : ثنا الوليد ، عن خُلَيد ، عن الحسن ، قال : وقرأ (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ) قال : الذنب على الذنب حتى يموت قلبه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ) قال : الذنب على الذنب حتى يعمَى القلب فيموت .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كانوا يَكْسِبُونَ) قال : العبد يعمل بالذنوب ، فتحيط بالقلب ، ثم ترتفع ، حتى تغشى القلب .

حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملىّ ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، قال : أرانا مجاهد

بيده ، قال ، كانوا يرون القلب فى مثل هذا ، يعنى الكفّ ، فإذا أذنب العبد ذنبا ضمّ منه ، وقال بأصبعه الخنصر هكذا ، فإذا أذنب ضمّ أصبعا أخرى ، فإذا أذنب ضمّ أصبعا أخرى ، حتى ضمّ أصابعه كلها ، ثم يطبع عليه بطابع ، قال مجاهد : وكانوا يرون أن ذلك الرَّيْن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : القلب مثل الكفّ ، فإذا أذنب الذنب قبض أصبعا ، حتى يقبض أصابعه كلها ، وإن أصحابنا يرون أنه الران .

حدثنا أبو كريب مرّة أخرى بإسناده عن مجاهد ، قال : القلب مثل الكفّ ، وإذا أذنب انقبض ، وقبَض أصبعه ، فإذا أذنب انقبضْ ، حتى ينقبض كله ، ثم يطبع عليه ، فكانوا يرون أن ذلك هو الران (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ماكانُوا يَكْسِبُونَ) .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) قال : الخطايا حتى غمرته .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) انبثت على قلبه الخطايا حتى غمرته .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول : يطبع .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ماكانُوا يَكْسِبُونَ) قال : طبع على قلوبهم ماكسبوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن طلحة ، عن عطاء (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ماكانُوا يَكْسِبُونَ) قال : غَشيت على قلوبهم فهوت بها ، فلا يفزعون ، ولا يتحاشَون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الحسن (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ماكانُوا يَكْسِبُونَ) قال : هو الذنب حتى يموت القلب .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) قال : الران : الطبع يطبع القلب مثل الراحة ، فيذنب الذنب ، فيصير هكذا ، وعقد سفيان الخنصر ، ثم يذنب الذنب فيصير هكذا ، وقبَض سفيان كفه ، فيُطبَعَ عليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ماكانُوا يَكْسِبُونَ) أعمال السوء ، إى والله ذنب على ذنب ، وذنب على ذنب حتى مات قلبه واسودّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) قال : هذا الذنب على الذنب ، حتى يَرين علىَ القلب فيسودّ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) قال : غلب على قلوبهم ذُنُوبهم ، فلا يَخْلُص إليها معها خير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ) قال : الرجل يذنب الذنب ، فيحيط الذنب بقلبه ، حتى تَغْشَى الذنوب عليه . قال مجاهد : وهي مثل الآية التي في سورة البقرة (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وأحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ، فأُولَئِكَ أصحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يقول هؤلاء المكذّبون بيوم الدين ، من أن لهم عند الله زُلْفة ، إنهم يومئذ عن ربهم لمحجوبون ، فلا يرونه ، ولا يرون شيئا من كرامته يصل إليهم .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله (إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : إنهم محجوبون عن كرامته .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد مسلم ، عن خليد ، عن قتادة (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) هو لاينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم .

حدثني سعيد بن عمرو السكونيّ ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، قال : ثنا جرير ، قال : ثني نمران أبو الحسن الذماري ، عن ابن أبي مليكة أنه كان يقول في هذه الآية (إِنَّهُم عَنْ رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) قال : المنّان ، والمختال ، والذي يقتطع أموال الناس بيمينه بالباطل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنهم محجوبون عن رؤية ربهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمار الرازيّ ، قال : ثنا أبو معمر المنقريّ ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن في قوله (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) قال : يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون كلّ يوم غُدْوة وعشية ، أو كلاما هذا معناه .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره اخبر عن هؤلاء القوم أنهم عن رؤيته محجوبون . ويُحتمل أن يكون مرادا به الحجاب عن كرامته ، وأن يكون مرادا به الحجاب عن ذلك كله ، ولا دلالة في الآية تدلّ على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى ، ولا خبر به عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قامت حجته . فالصواب أن يقال : هم محجوبون عن رؤيته ، وعن كرامته ، إذ كان الخبر عاما ، لادلالة على خصوصه .

وقوله (إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ) يقول تعالى ذكره : ثم إنهم لواردُو الجحيم ، فشويُّون فيها ، ثم يقال (هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) يقول جلّ ثناؤه : ثم يقال لهؤلاء المكذّبين بيوم الدين : هذا العذاب الذى أنتم فيه اليوم ، هو العذاب الذى كنتم فى الدنيا تخبرون أنكم ذائقوه ، فتكذّبون به ، وتنكرونه ، فذوقوه الآن ، فقد صَلِيتم به .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ) والأبرار : جمع برّ ، وهم الذين برّوا الله بأداء فرائضه ، واجتناب محارمه . وقد كان الحسن يقول : هم الذين لايؤذون شيئا حتى الذّرّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشام ، عن شيخ ، عن الحسن ، قال : سُئل عن الأبرار ، قال : الذين لايؤذون الذرّ .

حدثنا إسحاق بن زيد الخطابىّ ، قال : ثنا الفِريابىّ ، عن السرىّ بن يحيى ، عن الحسن ، قال : الأبرار : هم الذين لايؤذون الذرّ .

وقوله (لَفِى عِلِّيِّينَ) اختلف أهل التأويل فى معنى عليين ، فقال بعضهم : هى السماء السابعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى جرير بن حازم ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف ، قال : سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر عن العليين ، فقال كعب : هى السماء السابعة ، وفيها أرواح المؤمنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، يعنى العتكى ، عن قتادة ، فى قوله (إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ) قال : فى السماء العليا .

حدثنى علىّ بن الحسين الأزدىّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أُسامة بن زيد ، عن أبيه ، فى قوله (إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ) قال : فى السماء السابعة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عِلِّيُّونَ) قال : السماء السابعة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَـفِى عِلِّيِّينَ) : فى السماء عند الله .

وقال آخرون : بل العلِّيون : قائمة العرش اليمنى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَلاَّ إنَّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ) ذُكر لنا أن كعبا كان يقول : هى قائمة العرش اليمنى .

حدثنى عمر بن إسماعيل بن مجالد ، قال : ثنا مُطَرِّف بن مازن ، قاضى اليمن ، عن معمر ، عن قتادة، فى قوله (إنَّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ) قال : عِلِّيون : قائمة العرش اليمنى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فِى عِلِّيِّينَ) قال : فوق السماء السابعة ، عند قائمة العرش اليمنى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمِّى ، عن حفص ، عن شمر ، عن عطية ، قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار ، فسأله ، فقال: حدثنى عن قول الله (إنَّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ) . . . الآية، فقال كعب : إن الروح المؤمنة إذا قُبِضت ، صُعِد بها ، ففُتحت لها أبواب السماء ، وتلقَّتها الملائكة بالبُشرَى ، ثم عَرَجوا معها حتى ينتهوا إلى العرش، فيخرج لها من عند العرش رَقّ ، فيُرقَم ، ثم يختم بمعرفتها النجاة بحساب يوم القيامة ، وتشهد الملائكة المقرّبون .

وقال آخرون : بل عُنِىَ بالعليين : الجَنَّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ) قال : الجنة .

وقال آخرون : عند سِدْرة المنتهى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى جعفر بن محمد البزورىّ من أهل الكوفة ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن الأجلح ، عن الضحاك قال : «إذا قبض رُوح العبد المؤمن عُرِج به إلى السماء ، فتنطلق معه المقرّبون إلى السماء الثانية، قال الأجلح : قلت : وما المقرّبون ؟ قال : أقربهم إلى السماء الثانية ، فتنطلق معه المقرّبون إلى السماء الثالثة ، ثم الرابعة ، ثم الخامسة ، ثم السادسة ، ثم السابعة ، حتى تنتهى به إلى سِدْرة المنتهى . قال الأجلح : قلت للضحاك : لِمَ تسمى سِدْرة المنتهى ؟ قال: لأنه يَنْتَهى إليها كلّ شىء من أمر الله لايعدوها ، فتقول : ربّ عبدك فلان ، وهو أعلم به منهم ، فيبعث الله إليهم بصَكّ مختوم يؤمِّنه من العذاب ، فذلك قول الله (كَلاَّ إنَّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ، وَما أدْرَاكَ ما عِلِّيُّونَ ، كِتابٌ مَرْقُومٌ ، يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ) » .

وقال آخرون : بل عُنِى بالعلّيين : فى السماء عند الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ) يقول : أعمالُهم فى كتاب عند الله فى السماء .

❁ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن كتاب الأبرار فى عليين ؛ والعليون : جمع ، معناه : شىء فوق شىء ، وعلوّ فوق علوّ ، وارتفاع بعد ارتفاع ، فلذلك جُمعت بالياء والنون ، كجمع الرجال ، إذا لم يكن له بناء من واحده واثنيه ، كما حُكى عن بعض العرب سماعا : أطْعَمَنَا مَرَقَةَ مَرَقَيْنِ : يعنى اللحم المطبوخ [1] كما قال الشاعر :

قَدْ رَوِيَتْ إلاَّ الدُّهَيْدِهِينا قُلَيِّصَاتٍ وأُبَيْكِرِينَا[2]

فقال : وأبيكرينا ، فجمعها بالنون إذ لم يقصد عددا معلوما من البكارة ، بل أراد عددا لايحدّ آخره ، وكما قال الآخر :

فأصْبَحَتِ المَذَاهِبُ قَدْ أذَاعَتْ بِها الإعْصَارُ بَعْدَ الوَابِلِينا[3]

يعنى : مطرا بعد مطر غير محدود العدد ، وكذلك تفعل العرب فى كلّ جمع لم يكن بناء له من واحده واثنيه ، فجمعه فى جميع الإناث ، والذكران بالنون على ما قد بينّا ، ومن ذلك قولهم للرجال والنساء : عشرون وثلاثون . فإذا كان ذلك كالذى ذكرنا ، فبيِّنٌ أن قوله (لَفِى عِلِّيِّينَ) معناه : فى علوّ وارتفاع ، فى سماء فوق سماء ، وعلوّ فوق علوّ ، وجائز أن يكون ذلك إلى السماء السابعة ، وإلى سدرة المنتهى ، وإلى قائمة العرش ، ولا خبر يقطع العذر بأنه معنيّ به بعضُ ذلك دون بعض .

❁ والصواب أن يقال فى ذلك ، كما قال جلّ ثناؤه : إن كتاب أعمال الأبرار لفى ارتفاع إلى حدّ قد علم الله جلّ وعزّ منتهاه ، ولا علم عندنا بغايته ، غير أن ذلك لايَقْصُر عن السماء السابعة ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

---

(١) فى (اللسان : مرق) يريد اللحم إذا طبخ ، ثم طبخ لحم آخر بذلك الماء .

(٢) البيتان من مشطور الرجز ولم ينسبا قال الفراء فى معانى القرآن (٣٦١) : وقوله « كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين » : يقول القائل : كيف جمعت عليون بالنون ، وهذا من جمع الرجال ؟ فإن العرب إذا جمعت جمعا لايذهبون فيه إلى أن له بناء من واحد واثنين ، فقالوه فى المؤنث والمذكر بالنون ، فن ذلك هذا ، وهو شىء فوق شىء غير معروف واحده ولا أنثاه . وسمعت بعض العرب يقول : أطعمنا مرقة سرقين ، يريد الألحم إذا طبخت بمرق واحد ، قال الشاعر : « قد رويت إلا . . . البيتين » . فجمع بالنون لأنه أراد العدد الذى لايحد . اهـ . وفى (اللسان : دهده) : والدهداه ؛ صغار الإبل . قال : قد رويت . . . البيتين . جمع الدهداه بالواو والنون وحذف الهاء من الدهين للضرورة . وقال الجوهرى : كأنه جمع الدهداه على دهاده ، ثم صغر دهاده ، فقال : دهيده ، ثم جمع دهيدها بالياء والنون . وكذلك أبكر جمع بكر ، ثم صغر أبيكر . ثم جمعه بالياء والنون . اهـ . وقال البغدادى فى الخزانة (٣ : ٤١٠) : وهذا الرجز مع كثرة الاستشهاد به لم يعرف قائله . اهـ .

(٣) قال الفراء بعد كلامه فى الشاهد قبله : وكذلك قول الشاعر : « فأصبحت » أراد المطر بعد المطر غير محدود . ونرى أن منه قول العرب عشرون وثلاثون ، وإذ جعل للرجال والنساء العدد الذى يشبه هذا النوع ، وكذلك عليون : ارتفاع بعد ارتفاع ، وكأنه لاغاية له . اهـ . وفى (اللسان : وبل) : فأما قوله « وأصبحت المذاهب قد أذاعت . . . البيت » فإن شئت جعلت الوابلين الرجال الممدوحين ، يصفهم بالوبل ، لسعة عطاياهم . وإن شئت جعلته وبلا بعد وبل ، فكان جمعا لم يقصد به قصد كثرة ولا قلة . اهـ . والمذاهب فى البيت : المسالك والطرق . وأذاعت بها : ذهبت وغيرتها ، والإعصار : الريح الشديدة . اهـ .

وقوله (وَما أَدْرَاكَ ماعِلِّيُّونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مُعَجِّبه من عليين، وأىّ شيء أشعرك يامحمد ما عليون ؟

وقوله (كِتابٌ مَرْقُومٌ) يقول جلّ ثناؤه : إن كتاب الأبرار لفى عليين ، كتاب مرقوم : أى مكتوب بأمان من الله إياه من النار يوم القيامة ، والفوز بالجنة ، كما قد ذكرناه قبل عن كعب الأحبار والضحاك ابن مُزَاحم .

وكما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كِتاب مَرْقُومٌ) رقم .

وقوله (يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ) يقول : يشهد ذلك الكتاب المكتوب بأمان الله للبَرّ من عباده من النار، وفوزه بالجنة ، المقرّبون من ملائكته من كلّ سماء من السموات السبع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ) قال : كلّ أهل السماء .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ) من ملائكة الله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ) قال : يشهده مقرّبو أهل كلّ سماء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ) قال : الملائكة .

وقوله (إنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) يقول تعالى ذكره: إن الأبرار الذين بَرّوا باتقاء الله، وأداء فرائضه، لفى نعيم دائم ، لايزول يوم القيامة ، وذلك نعيمهم فى الجنان .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

❁ يعنى تعالى ذكره بقوله (عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ): على السرر فى الحجال ، من اللؤلؤ والياقوت ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم ، والحَبْرة فى الجنان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَلَى الأَرَائِكِ) قال : من اللؤلؤ والياقوت .

قال : ثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حُصَين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (الْأَرَائِكِ) : السُّرُر فى الحِجال .

وقوله (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) يقول تعالى ذكره : تعرف فى الأبرار الذين وصف الله صفتهم نَضْرة النعيم ، يعنى حُسنه وبريقه وتلألؤه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (تَعْرِفُ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى أبى جعفر القارئ (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ) بفتح التاء من تعرف على وجه الخطاب (نَضْرَةَ النَّعِيمِ) بنصب نضرة . وقرأ ذلك أبو جعفر (يُعْرَفُ) بضم التاء على وجه ما لم يسمّ فاعله ، فى وجوههم نضرةُ النعيم ، برفع نضرة .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ما عليه قرّاء الأمصار ، وذلك فتح التاء من (تَعْرِفُ) ، ونصب (نَضْرَةَ) .

وقوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) يقول : يُسقى هؤلاء الأبرار من خمر صِرف لا غشّ فيها .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) قال : من الخمر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) يعنى بالرحيق : الخمر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) قال : خمر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الرحيق : الخمر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رَحِيقٍ) قال : هو الخمر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) يقول : الخمر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) الرحيق المختوم : الخمر ؛ قال حسان :

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمُ بَرَدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ[1]

(١) البيت لحسان بن ثابت يمدح أولاد جفنة ملوك الشام (اللسان : صفق) قال : صفق الشراب : مزجه ، فهو مصفق ، وصفقه وصفقه (الثانية بتشديد الفاء) وأصفقه : حوله من إناء إلى إناء ليصفو ، قال حسان : « يسقون من ورد . . . البيت » . واستشهد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى : « يسقون من رحيق مختوم » وقال : إن الرحيق المختوم الخمر . اه . وفى رواية عن مجاهد أنها الخمر العتيقة البيضاء الصافية . ومنه قول حسان . . . الخ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٥) : الرحيق : الذى ليس فيه غش . والبيت فى ديوان حسان طبعة ليدن (١٩١٠ ص ١٧) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) قال : هو الخمر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : الرحيق : الخمر .

وأما قوله (مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ممزوج مخلوط ، مزاجه وخلطه مسك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن يزيد بن معاوية ، وعلقمة عن عبد الله بن مسعود (خِتَامُهُ مِسْكٌ) قال : ليس بخاتم ، ولكن خلط .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن أشعث بن سليم ، عن يزيد بن معاوية ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود (خِتَامُهُ مِسْكٌ) قال : أما إنه ليس بالخاتم الذي يختم . أما سمعتم المرأة من نسائكم تقول : طيب كذا وكذا خلطه مسك .

حدثني محمد بن عُبيد المحاربيّ ، قال : ثنا أيوب ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عمن ذكره ، عن علقمة ، في قوله (خِتَامُهُ مِسْكٌ) قال : خلطه مسك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله مختوم ، قال : ممزوج (خِتَامُهُ مِسْكٌ) قال : طعمه وريحه .

قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن يزيد بن معاوية ، عن علقمه (خِتَامُهُ مِسْكٌ) قال : طعمه وريحه مسك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن آخر شرابهم يُختم بمسك يجعل فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ) يقول : الخمر : خُتم بالمسك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (خِتَامُهُ مِسْكٌ) قال : طيّب الله لهم الخمر ، فكان آخر شيء جعل فيها حتى تختم ، المسك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (خِتَامُهُ مِسْكٌ) قال : عاقبته مسك ، قوم تُمزَج لهم بالكافور ، وتختم بالمسك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خِتَامُهُ مِسْكٌ) قال : عاقبته مسك .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (خِتَامُهُ مِسْكٌ) قال : طيّب الله لهم الخمر ، فوجدوا فيها في آخر شيء منها ، ريح المسك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا حاتم بن وردان ، قال : ثنا أبوحمزة ، عن إبراهيم والحسن فى هذه الآية (خِتامُهُ مِسْكٌ) قال : عاقبته مسك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبوحمزة ، عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط ، عن أبي الدرداء (خِتامُهُ مِسْكٌ) فالشراب أبيض مثل الفضة ، يختمون به شرابهم ، ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها ، لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها .

وقال آخرون : عُنِي بقوله (مَخْتُومٍ) مُطَـيَّن (خِتامُهُ مِسْكٌ) طينه مسك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَخْتُومٍ خِتامُهُ مِسْكٌ) قال : طينه مسك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَخْتُومٍ) الخمر (خِتامُهُ مِسْكٌ) : ختامه عند الله مسك ، وختامها اليوم فى الدنيا طين .

✲ وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : آخره وعاقبته مسك : أى هى طيبة الريح ، إن ريحها فى آخر شربهم ، يختم لها بريح المسك .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال فى ذلك بالصحة ، لأنه لاوجه للختم فى كلام العرب إلا الطبع ، والفراغ كقولهم : ختم فلان القرآن : إذا أتى على آخره ، فإذا كان لاوجه للطبع على شراب أهل الجنة ، يفهم إذا كان شرابهم جاريا جرى الماء فى الأنهار ، ولم يكن مُعتقا فى الدنان ، فيُطَـيَّن عليها وتختم ، تعين أن الصحيح من ذلك الوجه الآخر ، وهو العاقبة والمشروب آخرا ، وهو الذى ختم به الشراب . وأما الختم بمعنى المزج ، فلا نعلمه مسموعا من كلام العرب .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (خِتامُهُ مِسْكٌ) سوى الكسائىّ ، فإنه كان يقرؤه (خاَتَمَهُ مِسْكٌ) .

والصواب من القول عندنا فى ذلك : ما عليه قَرَأَةَ الأمصار ، وهو (خِتامُهُ) ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، والختام والخاتم ، وإن اختلفا فى اللفظ ، فإنهما متقاربان فى المعنى ، غير أن الخاتم اسم ، والختام مصدر ؛ ومنه قول الفرزدق :

فَبِـتْنَ بِجانِبَيَّ مُصَرَّعاتٍ　　وَبِتُّ أَفُضُّ أَغْلاقَ الخِتامِ[1]

ونظير ذلك قولهم : هو كريم الطبائع والطباع .

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوى ٨٣٦) من قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك . روى الفراء فى معانى القرآن عند قوله تعالى « ختامه مسك » بإسناد له إلى على بن أبي طالب ، أنه قرأ « خاتمه مسك » . وبإسناد آخر له عن علقمة وقيس : خاتمه مسك . وقال أما رأيت المرأة تقول للعطار : اجعل لى خاتمه مسكا تريد آخره . والخاتم والختام : متقاربان فى المعنى ، إلا أن الخاتم الاسم ، والختام : المصدر . وقال الفرزدق : « فبتن . . . . البيت » . ومثل الخاتم قولك للرجل : هو كريم الطابع والطباع . وتفسير ذلك أن أحدهم إذا شرب ، وجد آخر كأسه ريح المسك . اهـ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٥) مختوم : له ختام . اهـ .

وقوله (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) يقول تعالى ذكره : وفى هذا النعيم الذى وصف جلّ ثناؤه أنه أعطى هؤلاء الأبرار فى القيامة ، فليتنافس المتنافسون . والتنافس : أن ينفس الرجل على الرجل بالشيء يكون له ، ويتمنى أن يكون له دونه ، وهو مأخوذ من الشيء النفيس ، وهو الذى تحرص عليه نفوس الناس ، وتطلبه وتشتهيه ؛ وكان معناه فى ذلك : فليجدّ الناس فيه ، وإليه فليستبقوا فى طلبه ؛ ولتحرص عليه نفوسهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره : ومزاج هذا الرحيق من تسنيم ؛ والتسنيم : التفعيل من قول القائل : سنمتهم العين تسنيما : إذا أجريتها عليهم من فوقهم ، فكان معناه فى هذا الموضع : ومزاجه من ماء ينزل عليهم من فوقهم فينحدر عليهم . وقد كان مجاهد والكلبيّ يقولان فى ذلك كذلك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَسْنِيمٍ) قال : تسنيم : يعلو .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبيّ ، فى قوله (تَسْنِيمٍ) قال : تسنيم ينصب عليهم من فوقهم ، وهو شراب المقرّبين . وأما سائر أهل التأويل ، فقالوا : هو عين يمزج بها الرحيق لأصحاب اليمين ، وأما المقرّبون ، فيشربونها صِرْفا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مُرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله فى قوله (مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : عين فى الجنة يشربها المقرّبون ، وتُمزج لأصحاب اليمين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مُرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : يشربه المقرّبون صِرفا ، ويمزج لأصحاب اليمين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مالك بن الحارث ، عن مسروق (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : عين فى الجنة يشربها المقرّبون صرفا ، وتُمزج لأصحاب اليمين .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) قال : يشرب بها المقرّبون صرفا ، وتمزج لأصحاب اليمين .

حدثنى طلحة بن يحيى اليربوعيّ ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مالك بن الحارث ، فى قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : فى الجنة عين يشرب منها المقرّبون صرفا ، وتمزج لسائر أهل الجنة .

حدثنا ابن‌حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبوحمزة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) صرفا ، ويمزج فيها لمن دونهم .

حدثنا ابن‌حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مالك بن الحارث ، فى قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : التسنيم : عين فى الجنة يشربها المقرّبون صرفا ، وتمزج لسائر أهل الجنة .

حدثنا ابن‌حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبوحمزة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : عين يشرب بها المقرّبون ، ويمزج فيها لمن دونهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) عينا من ماء الجنة ، تُمزج به الخمر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : خفايا أخفاها الله لأهل الجنة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، فى قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : هو أشرف شراب فى الجنة ، هو للمقرّبين صِرف ، وهو لأهل الجنة مِزاج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) شراب شريف ، عين فى الجنة يشربها المقرّبون صِرفا ، وتُمزج لسائر أهل الجنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) قال : بلغنا أنها عين تخرج من تحت العرش ، وهى مِزاج هذه الخمر : يعنى مِزاج الرحيق .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مِنْ تَسْنِيمٍ) شراب اسمه تسنيم ، وهو من أشرف الشراب ، فتأويل الكلام : ومزاج الرحيق من عين تُسَنَّم عليهم من فوقهم ، فتنصب عليهم (يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) من الله صرفا ، وتمزج لأهل الجنة .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله (عَيْنًا) فقال بعض نحوِيّى البصرة : إن شئت جعلت نصبه على يُسْقَون عينا ، وإن شئت جعلته مدحا ، فيُقطع من أوّل الكلام ، فكأنك تقول : أعنى عينا .

وقال بعض نحوِيّى الكوفة : نصب العين على وجهين : أحدهما : أن يَنْوِى من تسنيم عَيْنٍ ، فإذا نوّنت نصبت ، كما قال (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا) ، وكما قال (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً) . والوجه الآخر : أن ينوى من ماء سُنِّم عينا ، كقولك : رفع عينا يشرب بها . قال : وإن لم يكن التسنيم اسما للماء ، فالعين نكرة ، والتسنيم معرفة ، وإن كان اسما للماء ، فالعين نكرة[1] فخرجت نصبا . وقال آخر من البصريين : (مِنْ تَسْنِيمٍ) معرفة ، ثم قال (عَيْنًا) فجاءت نكرة ، فنصبتها صفة لها . وقال آخر نُصبت بمعنى : من ماء يَتَسَنَّم عينا .

(١) عبارة الفراء : وإن لم يكن التسنيم اسما للماء ، فالعين نكرة والتسنيم معرفة أن كان اسما للماء والعين الخ .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن التسنيم اسم معرفة ، والعين نكرة ، فنصبت لذلك إذ كانت صفة له .

وإنما قلنا : ذلك هو الصواب لما قد قدّمنا من الرواية عن أهل التأويل ، أن التسنيم هو العين ، فكان معلوما بذلك أن العين إذ كانت منصوبة وهى نكرة ، أن التسنيم معرفة .

وقوله (إنَّ الَّذِينَ أجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الذين اكتسبوا المآثم ، فكفروا بالله فى الدنيا ، كانوا فيها من الذين أقرّوا بوحدانية الله ، وصدّقوا به ، يضحكون ، استهزاء منهم بهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الَّذِينَ أجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) فى الدنيا ، يقولون : والله إن هؤلاء لكذبة ، وما هم على شىء ، استهزاء بهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۝ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۝

❊ يقول تعالى ذكره : وكان هؤلاء الذين أجرموا إذا مرّ الذين آمنوا بهم يتغامزون ؛ يقول : كان بعضهم يغمز بعضا بالمؤمن ، استهزاء به وسخرية .

وقوله (وَإذَا انْقَلَبُوا إلى أهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فاكِهِينَ) يقول : وكان هؤلاء المجرمون إذا انصرفوا إلى أهلهم من مجالسهم انصرفوا ناعمين معجبين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (انْقَلَبُوا فاكِهِينَ) قال : معجبين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإذَا انْقَلَبُوا إلى أهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فاكِهِينَ) قال : انقلب ناعما ، قال : هذا فى الدنيا ، ثم أعقب النار فى الآخرة .

وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يفرّق بين معنى فاكهين وفكهين ، فيقول : معنى فاكهين ناعمين ، وفكهين : مرحين . وكان غيره يقول : ذلك بمعنى واحد ، وإنما هو بمنزلة طامع وطمع ، وباخل وبخل .

وقوله (وَإذَا رأَوْهُمْ قالُوا إنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ) يقول تعالى ذكره : وإذا رأى المجرمون المؤمنين

قالوا لهم: إن هؤلاء لضالون ، عن محجة الحقّ ، وسبيل القصد (وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) يقول جل ثناؤه : وما بعث هؤلاء الكفار القائلون للمؤمنين إن هؤلاء لضالون ، حافظين عليهم أعمالهم يقول : إنما كُلِّفوا الإيمان بالله،والعمل بطاعته ، ولم يُجعلوا رُقباء على غيرهم يحفظون عليهم ، أعمالهم ويتفقدونها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝

يقول تعالى ذكره : (فَالْيَوْمَ) وذلك يوم القيامة (الَّذِينَ آمَنُوا) بالله فى الدنيا (مِنَ الْكُفَّارِ) فيها (يَضْحَكُونَ على الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) يقول : على سررهم التى فى الحجال ينظرون إليهم ، وهم فى الجنة ، والكفار فى النار يُعَذَّبون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ، عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) قال : يعنى السُّرر المرفوعة عليها الحجال . وكان ابن عباس يقول : إن السور الذى بين الجنة والنار يُفتح لهم فيه أبواب ، فينظر المؤمنون إلى أهل النار ، والمؤمنون على السرر ينظرون كيف يعذّبون ، فيضحكون منهم ، فيكون ذلك مما أقرّ الله به أعينهم ، كيف ينتقم الله منهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) ذُكر لنا أن كعبا كان يقول : إن بين الجنة والنار كُوًى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوّ كان له فى الدنيا ، اطلع من بعض الكُوى ، قال الله جلّ ثناؤه (فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) : أى فى وسط النار . وذُكر لنا أنه رأى جماجم القوم تغلى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال كعب : إن بين أهل الجنة وبين أهل النار كُوًى ، لايشاء رجل من أهل الجنة أن ينظر إلى غيره من أهل النار إلا فعل .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) كان ابن عباس يقول : السُّور بين أهل الجنة والنار ، فيفتح لأهل الجنة أبواب ، فينظرون وهم على السُّرر إلى أهل النار كيف يعذّبون ، فيضحكون منهم ، ويكون ذلك مما يقرّ الله به أعينهم أن ينظروا إلى عدوّهم كيف ينتقم الله منهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) قال : يُجاء بالكفار ، حتى ينظروا إلى أهل الجنة فى الجنة ، على سُرر ، فحين ينظرون إليهم تغلق دونهم

الأبواب ، ويضحك أهل الجنة منهم ، فهو قوله (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) .

وقوله (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره : هل أثيب الكفار وجُزُوا ثواب ما كانوا فى الدنيا يفعلون بالمؤمنين من سخريتهم منهم ، وضحكهم بهم ، بضحك المؤمنين منهم فى الآخرة ، والمؤمنون على الأرائك ينظرون ، وهم فى النار يعذّبون .

و (ثُوِّبَ) فعل من الثواب والجزاء ، يقال منه : ثوّب فلان فلانا على صنيعه ، وأثابه منه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) قال : جرى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان : (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) حين كانوا يسخرون .

آخر تفسير سورة ويل للمطففين

(٨٤) سورة الانشقاق مكية وآياتها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : إذا السماء تصدّعت وتقطّعت فكانت أبوابا .

وقوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) يقول : وسمعت السموات فى تصدّعها وتشققها لربها ، وأطاعت له فى أمره إياها ، والعرب تقول : أذِنَ لك فى هذا الأمر أذَنا بمعنى : استمع لك ، ومنه الخبر الذى رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « ما أَذِنَ اللهُ لِشَىْءٍ كَأَذَنِهِ لِنَبِىٍّ يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ » يعنى بذلك : ما استمع الله لشىء كاستماعه لنبىّ يتغنى بالقرآن ؛ ومنه قول الشاعر :

صُمٌّ إذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ وإنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا[1]

(١) البيت لقعنب بن أم صاحب (اللسان : أذن) وأورد قبله بيتا آخر ، وهو :

إنْ يَسْمَعُوا رِيبَةً طَارُوا بها فَرَحاً مِنِّى وَمَا عَلِمُوا من صَالِحٍ دَفَنُوا

وأذن له أذنا : استمع ، والشاهد عليه بيت قعنب . وفى الحديث : « ما أذن الله لشىء كاستماعه لنبى يتغنى بالقرآن » : أى يتلوه يجهر به . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٦) وأذنت لربها : أذنت : استمعت .

وأصل قولهم فى الطاعة : سمع له من الاستماع ، يقال منه : سمعت لك ، بمعنى سمعت قولك وأطعت ، فيما قلتَ وأمرت .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّها) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ) قال : سمعت لربها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ) قال : سمعت وأطاعت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ) قال : سمعت .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ) قال : سمعت وأطاعت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وحُقَّتْ) : أى سمعت وأطاعت .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ) قال : سمعت وأطاعت .

وقوله (وحُقَّتْ) يقول : وحقّق الله عليها الاستماع بالانشقاق ، والانتهاء إلى طاعته فى ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَحُقَّتْ) قال : حَقَّقَت لطاعة ربها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبير (وَحُقَّتْ) وحُقّ لها .

وقوله (وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ) يقول تعالى ذكره : وإذا الأرض بُسِطت ، فزيد فى سعتها :

كالذى حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، عن علىّ بن حسين ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ مَدَّ اللهُ الأَرْضَ حَتى لا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ ، فأَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى ، وَجِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، وَاللهِ

ما رآه قبلها ، فأقول يارب إن هذا أخبرنى أنك أرسلته إلىّ ، فيقول : صدق ، ثم أشفع فأقول : يا رب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض ، قال : وهو المقام المحمود » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مُدَّتْ) قال : يوم القيامة .

وقوله (وَأَلْقَتْ ما فِيها وَتَخَلَّتْ) يقول جلّ ثناؤه : وألقت الأرض ما فى بطنها من الموتى إلى ظهرها وتخلت منهم إلى الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَلْقَتْ ما فِيها وَتَخَلَّتْ) قال : أخرجت ما فيها من الموتى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَلْقَتْ ما فِيها وَتَخَلَّتْ) قال : أخرجت أثقالها وما فيها .

وقوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ) يقول : وسمعت الأرض فى لقائها ما فى بطنها من الموتى إلى ظهرها أحياء ، أمرَ ربها وأطاعت (وحُقَّتْ) يقول : وحقّقها الله للاستماع لأمره فى ذلك ، والانتهاء إلى طاعته .

واختلف أهل العربية فى موقع جواب قوله (إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ) ، وقوله (وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ) ، فقال بعض نحويّى البصرة : (إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ) على معنى قوله (يا أَيُّها الإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ) إذا السماء انشقت ، على التقديم والتأخير .

وقال بعض نحويّى الكوفة : قال بعض المفسرين : جواب (إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ) قوله (وَأَذِنَتْ) قال : ونرى أنه رأى ارتآه المفسر ، وشبّهه بقول الله تعالى (حَتَّى إِذا جاءُوها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها) لأنا لم نسمع جوابا بالواو فى إذا مبتدأة ، ولا كلام قبلها ، ولا فى إذا ، إذا ابتدئت ؛ قال : وإنما تجيب العرب بالواو فى قوله : حتى إذا كان ، وفلما أن كان ، لم يجاوزوا ذلك ؛ قال : والجواب فى (إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ) وفى (إِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ) كالمتروك ، لأن المعنى معروف قد تردّد فى القرآن معناه ، فعُرف وإن شئت كان جوابه : يا أيها الإنسان ، كقول القائل : إذا كان كذا وكذا ، فيا أيها الناس ترون ما عملتم من خير أو شرّ ، تجعل يا أيها الإنسان هو الجواب ، وتضمر فيه الفاء ، وقد فسّر جواب (إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ) فيما يلقى الإنسان من ثواب وعقاب ، فكأن المعنى : ترى الثواب والعقاب إذا السماء انشقت .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن جوابه محذوف ، ترك استغناء بمعرفة المخاطبين به بمعناه . ومعنى الكلام : إذا السماء انشقت رأى الإنسان ما قدّم من خير أو شرّ ، وقد بين ذلك قوله (يا أَيُّها الإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ) والآياتُ بعدها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الإنسان إنك عامل إلى ربك عملا فلاقيه به : خيرا كان عملُك ذلك أو شرًّا ؛ يقول : فليكن عملُك مما يُنجيك من سُخْطه ، ويوجب لك رضاه ، ولا يكن مما يُسخطه عليك فتهلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يا أيُّها الإنْسانُ إنَّكَ كادحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيه) يقول : تعمل عملا تلقى الله به خيرا كان أو شرًّا.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الإنْسانُ إنَّكَ كادحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحا فَمُلاقِيه) إن كدحك يا بن آدم لضعيف ، فمن استطاع أن يكون كدحه فى طاعة الله فليفعل ، ولا قوّة إلا بالله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إنَّكَ كادحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحا) قال : عامل له عملا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسمعته يقول فى ذلك (إنَّكَ كادحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحا) قال : عامل إلى ربك عملاً ، قال : كدحا : العمل .

وقوله (فَأمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتابَهُ بِيَمِينِه) يقول تعالى ذكره : فأما من أُعطى كتاب أعماله بيمينه : (فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيرًا) بأن ينظر فى أعماله ، فيغفر له سيِّها ، ويُجازَى على حَسَنها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وجاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الواحد بن حمزة ، عن عباد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن عائشة ، قالت : سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : « اللَّهُمَّ حاسِبْنِى حِساباً يَسِيرًا » ، قلت : يا رسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال : أنْ يَنْظُرَ فِى سَيِّئاتِهِ فَيَتَجاوَزُ عَنْهُ ، إنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله ابن الزبير ، عن عباد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن عائشة ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بعض صلاته : « اللَّهُمَّ حاسِبْنِى حِساباً يَسِيرًا » ، فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، ما الحساب اليسير ؟ قال : يَنْظُرُ فِى كِتابِهِ ، وَيَتَجاوَزُ لَهُ عَنْهُ ، إنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ يَوْمَئِذٍ يا عائِشَةُ هَلَكَ » .

حدثنا نصر بن عليّ الجَهْضَميّ ، قال : ثنا مسلم ، عن الحريش بن الخرّيت أخي الزبير ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، قالت : من نُوقش الحساب ، أو من حوسب عذّب ، قال: ثم قالت : إنما الحساب اليسير : عَرْض على الله وهو يراهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ،وحدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيامَةِ عُذّبَ » ، فقلت أليس الله يقول (فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيرًا) قال: لَيْسَ ذلكِ الْحِسابُ ، إنّمَا ذلك العَرْضُ ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ يَوْمَ الْقِيامَةِ عُذّبَ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا أبوعامر الخزاز، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّهُ لَيْسَ أحَدٌ يُحاسَبُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إلاّ مُعَذّبا ، فقلت : أليس يقول الله : (فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابا يَسِيرًا) قال : ذَلكِ الْعَرْضُ ، إنّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ عُذّبَ ، وقال بيده على أصبعه كأنه ينكته » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيرًا) قال : الحساب اليسير : الذى يغفر ذنوبه ، ويتقبّل حسناته ، ويسير الحساب : الذى يعفى عنه ، وقرأ (وَيَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ) ، وقرأ (أُولَئِكَ الّذِينَ نَتَقَبّلُ عَنْهُمْ أحْسَنَ ما عَمِلُوا ، وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيّئاتِهِمْ فِي أصحابِ الجَنّةِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن عثمان بن الأسود ، قال : ثنى ابن أبى مليكة ، عن عائشة ؛ قالت : يا رسول الله (فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيرًا) قال : ذَلكِ الْعَرْضُ يا عائِشَةُ ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ هَلَكَ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عثمان بن عمرو وأبوداود ، قالا : ثنا أبو عامر الخزاز ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ حُوسِبَ عُذّبَ » ، قالت : فقلت : أليس الله يقول : (فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيرًا) قال : ذَلكِ الْعَرْضُ يا عائِشَةُ ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ عُذّبَ » .

إن قال قائل : وكيف قيل : (فَسَوْفَ يُحاسَبُ) والمحاسبة لاتكون إلا من اثنين ، والله القائم بأعمالهم ، ولا أحد له قِبَل ربه طَلِبة فيحاسبه ؟ قيل : إن ذلك تقرير من الله للعبد بذنوبه ، وإقرار من العبد بها ، وبما أحصاه كتاب عمله ، فذلك المحاسبة على ما وصفنا ، ولذلك قيل : يحاسَب .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن أبي يونس القشيرى ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة قالت : قال رسول لله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ أحَدٌ يُحاسَبُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إلاّ هَلَكَ) قالت : فقلت : يا رسول الله (فأمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيرًا) فقال : ذَلكِ الْعَرْضُ ، لَيْسَ أحَدٌ يُحاسَبُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إلاّ هَلَكَ » .

وقوله (وَيَنْقَلِبُ إلى أهْلِهِ مَسْرُورًا) يقول : وينصرف هذا المحاسَبُ حسابا يسيرا إلى أهله فى الجنة مسرورا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَنْقَلِبُ إلى أهْلِهِ مَسْرُورًا) قال : إلى أهل أعدّ الله لهم الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : وأما من أعطى كتابه منكم أيها الناس يومئذ وراء ظهره ، وذلك أن جعل يده اليمنى إلى عنقه ، وجعل الشمال من يديه وراء ظهره ، فيتناول كتابه بشماله من وراء ظهره ، ولذلك وصفهم جلّ ثناؤه أحيانا ، أنهم يُؤتَوْن كتُبَهُم بشمائلهم ، وأحيانا أنهم يُؤتَوْنَها من وراء ظهورهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ) قال : يجعل يده من وراء ظهره .

وقوله (فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا) يقول : فسوف ينادى بالهلاك ، وهو أن يقول : واثبوراه ، واويلاه ، وهو من قولهم : دعا فلان لهفه : إذا قال : والهفاه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

وقد ذكرنا معنى الثبور فيما مضى بشواهده ، وما فيه من الرواية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَدْعُو ثُبُورًا) قال : يدعو بالهلاك .

وقوله (وَيَصْلَى سَعِيرًا) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ؛ فقرأته عامة قرّاء مكة والمدينة والشام : (وَيُصَلَّى) بضم الياء وتشديد اللام ، بمعنى : أن الله يصليهم تصلية بعد تصلية ، وإنضاجة بعد إنضاجة ، كما قال تعالى : (كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُودًا غَيْرَها) ، واستشهدوا لتصحيح قراءتهم ذلك كذلك ، بقوله (ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ) وقرأ ذلك بعض المدنيين وعامة قرّاء الكوفة والبصرة :

(وَيَصْلَى) بفتح الياء وتخفيف اللام ، بمعنى : أنهم يَصْلونها ويَردونها ، فيحترقون فيها ، واستشهدوا لتصحيح قراءتهم ذلك كذلك ، بقول الله (يَصْلَوْنها) و(إلاَّ مَنْ هُوَ صالِ الجَحِيم) .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (إنَّهُ كانَ فِى أهْلِهِ مَسْرُورًا) يقول تعالى ذكره : إنه كان فى أهله فى الدنيا مسرورا ، لما فيه من خلافه أمرَ الله ، وركوبه معاصيَه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّهُ كانَ فِى أهْلِهِ مَسْرُورًا) : أى فى الدنيا .

وقوله (إنَّهُ ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى) يقول تعالى ذكره : إن هذا الذى أُوتى كتابه وراء ظهره يوم القيامة . ظنَّ فى الدنيا أن لن يرجع إلينا ، ولن يُبعث بعد مماته ، فلم يكن يبالى ما ركب من المآثم ، لأنه لم يكن يرجو ثوابا ، ولم يكن يخشى عقابا ، يقال منه : حار فلان عن هذا الأمر : إذا رجع عنه ، ومنه الخبر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى دعائه : « اللَّهُمَّ إنِّى أعُوذُ بِكَ مِنَ الحَوَرِ بَعْدَ الكَوْرِ) يعنى بذلك : من الرجوع إلى الكفر ، بعد الإيمان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّهُ ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُورَ) يقول : يُبعث .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنَّهُ ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى) قال : أن لا يرجع إلينا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّهُ ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُورَ) : أن لا مَعادَ له ولا رجعة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أنْ لَنْ يَحُورَ) قال : أن لن ينقلب : يقول : أن لن يبعث .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، (ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُورَ) قال : يرجع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أنْ لَنْ يَحُورَ) قال : أن لن ينقلب .

وقوله (بَلَى) يقول تعالى ذكره : بلى لَيَحُورَنَّ ولَيَرْجِعَنَّ إلى ربه حيا ، كما كان قبل مماته .

وقوله (إنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيرًا) يقول جلّ ثناؤه : إن ربّ هذا الذى ظنّ أن لن يحور ، كان به بصيرا ، إذ هو فى الدنيا ، بما كان يعمل فيها من المعاصى ، وما إليه يصير أمره فى الآخرة ، عالم بذلك كلّه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝ وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۝ ﴾

وهذا قَسَم أقسم ربنا بالشفق ، والشفق : الحمرة فى الأفق من ناحية المغرب من الشمس فى قول بعضهم.

واختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : هو الحمرة كما قلنا ، وممن قال ذلك جماعة من أهل العراق

وقال آخرون : هو النهار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن إسماعيل الأحمسىّ ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا العوّام بن حَوْشَب ، قال : قلت لمجاهد : الشفق ، قال : لاتقل الشفق ، إنّ الشفق من الشمس ، ولكن قل : حمرة الأفق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : الشَّفَق ، قال : النهار كله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ) قال : النهار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : الشفَق : هو اسم للحمرة والبياض ، وقالوا : هو من الأضداد .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الله أقسم بالنهار مدبرا ، والليل مقبلا . وأما الشفَق الذى تحُلّ به صلاة العشاء ، فإنه للحمرة عندنا ، للعلة التى قد بيّنّاها فى كتابنا كتاب الصلاة .

وقوله (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) يقول : والليل وما جمع ، مما سكن وهدأ فيه من ذى روح كان يطير ، أو يَدِب نهارا ، يقال منه : وسَقْتُه أسِقُه وَسْقا ، ومنه : طعام موسُوق ، وهو المجموع فى غرائر أو وعاء ، ومنه الوَسْق ، وهو الطعام المجتمع الكثير ، مما يُكال أو يُوزن ، يقال : هو ستون صاعا ، وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا وَسَقَ) يقول : وما جمع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى هذه الآية (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : وما جَمَع . وقال ابن عباس :

مُسْتَوْسِقاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سائِقَا

حدثنى يعقوب قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سأل حفص الحسن عن قوله (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : وما جمع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : وما جمع ، يقول : ما آوى فيه من دابّة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) : وما لفّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : وما أظلم عليه ، وما أدخل فيه . وقال ابن عباس :

مُسْتَوْسِقاتٍ لَوْ يَجِدْنَ حاديا

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) يقول : وما جمع من نجم أو دابة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا وَسَق) قال : وما جمع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : وما جمع ، مجتمع فيه الأشياء التى يجمعها الله ، التى تأوى إليه ، وأشياء تكون فى الليل لا تكون فى النهار ، ما جمع مما فيه ما يأوى إليه ، فهو مما جمع .

---

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ، أنشده أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٦) قال : « وما وسق » : ما علاه لم يمتنع منه شىء ؛ فإذا جلل الليل الجبال والأشجار والبحار والأرض ، فاجتمعت له ، فقد وسقها ؛ قال الشاعر : « مستوسقات لو وجدن سائقا » وفى الكامل للمبرد (طبعة الحلبى ٩٥٧) حدث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى النسابة ، عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، قال : رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الأزرق وهو يسأله ، ويطلب منه الاحتجاج باللغة ، فسأله عن قول الله جل ثناؤه : « والليل وما وسق » ، فقال ابن عباس : وما جمع ، فقال : أتعرف ذلك العرب ؟ قال ابن عباس : أما سمعت قول الراجز :

إنّ لنا قلائصًا حقائقا مُسْتَوْسِقاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سائِقَا

قال المبرد : هذا قول ابن عباس ، وهو الحق الذى لا يقدح فيه قادح . قلت : وبناء عليه يكون هذان البيتان معروفين فى عصر ابن عباس ونافع بن الأزرق . وتكون نسبتهما إلى العجاج فى ملحق ديوانه ، وفى إحدى روايات (اللسان : وسق) غير صحيحة . والنون فى يجدن أو وجد : راجعة إلى الإبل ، وأن من الخطأ أن يقال : تجدن بالتاء فى أول الفعل إلا إذا كان لجمع مؤنث المخاطبات ، وقد وقع خطأ تجدن فى اللسان : وفى ديوان العجاج ٨٤ وخلاصة ما تقدم أن هذا الرجز عرفه ابن عباس وأنشده احتجاجا على ما سأله عنه نافع . ولا بد إذن من حمل عبارة : وقال ابن عباس « مستوسقات » التى وردت فى ثلاثة مواضع فى الطبرى على إرادة : وأنشد ابن عباس : لأن ما ورد فى التفسير مسوق ضمن روايات لبعض المفسرين ، وفيه تسمح فى التعبير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) يقول : ما لُفَّ عليه .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : وما دخل فيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) : وما جمع .

قال : ثنا وكيع ، عن نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس (وَمَا وَسَقَ) : وما جمع ، ألم تسمع قول الشاعر :

مُسْتَوْسِقاتٍ لَمْ يَجِدْنَ سائقا

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : ما حاز إذا جاء الليل .

وقال آخرون : معنى ذلك : وما ساق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن أحمد المَرْوَزِىّ ، قال : ثنا علىّ بن الحسن ، قال : ثنا حسين ، قال : سمعت عكرمة وسئل (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : ما ساق من ظلمة ، فإذا كان الليل ، ذهب كلّ شيء إلى مأواه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسن ، عن عكرمة (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) يقول : ما ساق من ظلمة ، إذا جاء الليل ساق كلّ شيء إلى مأواه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : ما ساق معه من ظلمة إذا أقبل .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) يعنى : وما ساق الليل من شيء جمعه النجوم ، ويقال : والليل وما جمع .

وقوله (والقَمَرِ إذَا اتَّسَقَ) يقول : وبالقمر إذا تمّ واستوى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْقَمَرِ إذَا اتَّسَقَ) يقول : إذا استوى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَالْقَمَرِ إذَا اتَّسَقَ) قال : إذا اجتمع واستوى .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة (والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) قال : إذا استوى .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سأل حفص الحسن ، عن قوله (والقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) قال : إذا اجتمع ، إذا امتلأ .

حدثني أبو كدينة ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد ، في قوله (والقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) قال : لثلاث عشْرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِذَا اتَّسَقَ) قال : إذا استوى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير (والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) : إذا استوى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِذَا اتَّسَقَ) : إذا استدار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) : إذا استوى .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) قال : إذا اجتمع فاستوى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) قال : إذا استوى .

وقوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) اختلفت القرّاء في قراءته ، فقرأه عمر بن الخطاب وابن مسعود وأصحابه ، وابن عباس وعامة قرّاء مكة والكوفة (لَتَرْكَبَنَّ) بفتح التاء والباء . واختلف قارئو ذلك كذلك في معناه ، فقال بعضهم : لتركَبَنّ يا محمد أنت حالا بعد حال ، وأمرا بعد أمر من الشدائد .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، أن ابن عباس كان يقرأ : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) يعني نبيكم صلى الله عليه وسلم حالا بعد حال .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن رجل حدّثه ، عن ابن عباس في (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : منزلا بعد منزل .

حدثني علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) يقول : حالا بعد حال .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) يعنى : منزلا بعد منزل ، ويقال : أمرا بعد أمر ، وحالا بعد حال .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، قال : سمعت مجاهدا ، عن ابن عباس (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : حالا بعد حال .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هَوْذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : حالا بعد حال .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، قال : سأل حفص الحسن عن قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : منزلا عن منزل ، وحالا عن حال .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شريك ، عن موسى بن أبى عائشة ، قال : سألت مرّة عن قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : حالا بعد حال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : حالا بعد حال .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : حالا عن حال .

قال : ثنا وكيع ، عن نصر ، عن عكرمة ، قال : حالا بعد حال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : لتركبُنّ الأمور حالا بعد حال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) يقول : حالا بعد حال ، ومنزلا عن منزل .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) منزلا بعد منزلا ، وحالا بعد حال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : أمرا بعد أمر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : أمرا بعد أمر .

وقال آخرون ممن قرأ هذه المقالة ، وقرأ هذه القراءة عُنِى بذلك : لتركبنّ أنت يامحمد سماء بعد سماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن وأبوالعالية (لَتَرْكَبُنَّ) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) السموات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : أنت يامحمد سماء عن سماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن الشعبىّ ، قال : سماء بعد سماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : سماء فوق سماء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لتركَبُنّ الآخرة بعد الأولى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : الآخرة بعد الأولى .

وقال آخرون ممن قرأ هذه القراءة : إنما عُنِى بذلك أنها تتغير ضروبا من التغيير ، وتُشَقَّقُ بالغمام مرّة ، وتحمرّ أخرى ، فتصير وَرْدة كالدهان ، وتكون أخرى كالمهل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن وهب ، عن مرّة ، عن ابن مسعود (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : السماء مرّة كالدّهان ، ومرّة تَشَقَّق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : سمعت أبا الزرقاء الهَمْدانى ، وليس بأبى الزرقاء ، الذى يحدّث فى المسح على الجوربين ، قال : سمعت مُرّة الهمدانى ، قال : سمعت عبد الله يقول فى هذه الآية : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : السماء .

حدثنى علىّ بن سعيد الكندىّ ، قال : ثنا علىّ بن غراب ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله فى قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : هى السماء تغبرّ وتحمرّ وتَشَقَّق .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنى أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، فى قوله : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : هى السماء تَشَقَّق ، ثم تحمرّ ، ثم تنفطر ؛ قال : وقال ابن عباس : حالا بعد حال .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودىّ ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن إبراهيم

قال : قرأ عبد الله هذا الحرف (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ) قال : السماء حالا بعد حال ، ومنزلة بعد منزلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ) قال : هي السماء .

حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي فروة، عن مرّة ، عن ابن مسعود أنه قرأها نصبا، قال : هي السماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : هي السماء تغير لونا بعد لون .

وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين : (لَتَرْكَبُنَّ) بالتاء، وبضمّ الباء، على وجه الخطاب للناس كافة، أنهم يركبون أحوال الشدة حالا بعد حال . وقد ذكر بعضهم أنه قرأ ذلك بالياء، وبضم الباء، على وجه الخبر عن الناس كافة ، أنهم يفعلون ذلك .

وأولى القراءات فى ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأ بالتاء وبفتح الباء ، لأن تأويل أهل التأويل من جميعهم بذلك ورد وإن كان للقراءات الأُخَر وجوه مفهومة . وإذا كان الصواب من القراءة فى ذلك ما ذكرنا ، فالصواب من التأويل قول من قال : (لَتَرْكَبَنَّ) أنت يا محمد حالا بعد حال ، وأمرا بعد أمر من الشدائد . والمراد بذلك وإن كان الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موجها جميع الناس ، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالا .

وإنما قلنا : عُنِى بذلك ماذكرنا ، أن الكلام قبل قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقا عَنْ طَبَقٍ) جرى بخطاب الجميع ، وكذلك بعده ، فكان أشبه أن يكون ذلك نظير ما قبله وما بعده .

وقوله (طَبَقا عَنْ طَبَقٍ) من قول العرب : وقع فُلان فى بنات طَبَق : إذا وقع فى أمر شديد .

وقوله (فَمَا لَهُمْ لايُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : فما لهؤلاء المشركين لايصدّقون بتوحيد الله ، ولا يقرّون بالبعث بعد الموت ، وقد أقسم لهم ربهم بأنهم راكبون طبقا عن طبق ، مع ماقد عاينوا من حججه بحقيقة توحيده .

وقد حدثنى يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَمَا لَهُمْ لايُؤْمِنُونَ) : قال : بهذا الحديث ، وبهذا الأمر .

وقوله (وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ القُرْآنُ لايَسْجُدُونَ) يقول تعالى ذكره : وإذا قُرئ عليهم كتاب ربهم لايخضعون ولا يستكينون ، وقد بيّنا معنى السجود قبلُ بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

قولهُ (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ) يقول تعالى ذكره : بل الذين كفروا يكذّبون بآيات الله وتنزيله .

وقوله (وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ) يقول تعالى ذكره : والله أعلم بما تُوعيه صدور هؤلاء المشركين ، من التكذيب بكتاب الله ورسوله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُوعُون) قال : يكتمون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ) قال : المرء يُوعِى متاعه وماله هذا فى هذا ، وهذا فى هذا ، هكذا يعرف الله مايوعون من الأعمال ، والأعمال السيئة مما تُوعيه قلوبهم ، ويجتمع فيها من هذه الأعمال الخير والشرّ ، فالقلوب وِعاء هذه الأعمال كلها ، الخير والشرّ ، يعلم ما يسرّون ومايعلنون ، ولقد وَعَى لكم ما لايدرى أحد ما هو من القرآن وغير ذلك ، فاتقوا الله وإياكم أن تدخلوا على مكارم هذه الأعمال ، بعضَ هذه الخبث ما يفسدها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يُوعُونَ) قال فى صدورهم .

وقوله (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) : يقول جلّ ثناؤه : فبشر يامحمد هؤلاء المكذّبين بآيات الله ، بعذاب أليم لهم عند الله موجع (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : إلا الذين تابوا منهم وصدّقوا ، وأقرّوا بتوحيده ، ونبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالبعث بعد الممات . وعملوا الصالحات : يقول : وأدّوا فرائض الله ، واجتنبوا ركوب ما حرّم الله عليهم ركوبه .

وقوله (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يقول تعالى ذكره : لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ثواب غير محسوب ولا منقوص .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس قوله (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٌ) يقول : غير منقوص .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يعنى : غير محسوب .

آخر تفسير سورة إذا السماء انشقّت

(٨٥) سورة البروج مكية
وآياتها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝

❁ قال أبو جعفر رحمه الله : قوله (والسَّماءِ ذَاتِ البُرُوجِ) أقسم الله جلّ ثناؤه بالسماء ذات البروج .

واختلف أهل التأويل فى معنى البروج فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عُنى بذلك : والسماء ذات القصور. قالوا : والبروج : القصور .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (والسَّماءِ ذَاتِ البُرُوجِ) قال ابن عباس : قصور فى السماء ، قال غيره : بل هى الكواكب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (البُرُوجِ) يزعمون أنها قصور فى السماء ، ويقال : هى الكواكب .

وقال آخرون : عنى بذلك : والسماء ذات النجوم ، وقالوا : نجومها : بروجها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (ذَاتِ البُرُوجِ) قال : البروج : النجوم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح (والسَّماءِ ذَاتِ البُرُوجِ) قال : النجوم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والسَّماءِ ذَاتِ البُرُوجِ) وبروجها : نجومها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والسماء ذات الرمل والماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحسن بن قزعة ، قال : ثنا حصين بن نمير ، عن سفيان بن حسين ، فى قوله (والسَّماءِ ذَاتِ البُرُوجِ) قال : ذات الرمل والماء .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : معنى ذلك : والسماء ذات منازل الشمس والقمر ، وذلك

أن البروج : جمع برج ، وهى منازل تتخذ عالية عن الأرض مرتفعة ، ومن ذلك قول الله (وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)، وهى منازل مرتفعة عالية فى السماء، وهى اثنا عشر برجا ، فمسير القمر فى كلّ برج منها يومان وثلث ، فذلك ثمانية وعشرون منزلا ، ثم يستسرّ ليلتين ، ومسير الشمس فى كلّ برج منها شهر.

وقوله (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) يقول تعالى ذكره : وأقسم باليوم الذى وعدته عبادى ، لفصل القضاء بينهم ، وذلك يوم القيامة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وجاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن نمير وإسحاق الرازى ، عن موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ : يَوْمُ الْقِيامَةِ » .

قال : ثنا وكيع ، عن موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا يونس ، قال أنبأنى عمار ، قال قال : أبوهريرة : « الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ : يَوْمُ الْقِيامَةِ » . قال يونس ، وكذلك الحسن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) يعنى : يوم القيامة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) قال : القيامة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن يونس بن عبيد ، عن عمار بن أبى عمار ، مولى بنى هاشم ، عن أبى هريرة (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : « الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ : يَوْمُ الْقِيامَةِ » .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبى مالك الأشعرىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ) يوم القيامة .

وقوله (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) : اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأقسم بشاهد ، قالوا : وهو يوم الجمعة ، ومشهود ، قالوا : وهو يوم عرفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : أخبرنا ابن علية ، قال : أخبرنا يونس ، قال : أنبأنى عمار ، قال : قال أبوهريرة : الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة ؛ قال يونس ، وكذلك قال الحسن .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت حارثة ابن مضرب ، يحدّث عن عليّ رضى الله عنه ، أنه قال فى هذه الآية (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : يوم الجمعة ، ويوم عرفة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة ؛ ويقال : الشاهد : الإنسان ، والمشهود : يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) : يومان عظيمان من أيام الدنيا ، كنا نحدّث أن الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليّ رضى الله عنه : (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَشاهِدٍ) يوم الجمعة ، (وَمَشْهُودٍ) : يوم عرفة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَشاهِدٍ : يَوْمُ الجُمُعَةِ ، وَمَشْهُودٍ : يَوْمَ عَرَفَةَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن نمير وإسحاق الرازى ، عن موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المَشْهُودُ : يَوْمُ عَرَفَةَ ، والشَّاهِدُ : يَوْمُ الجُمُعَةِ » .

حدثنا سهل بن موسى ، قال : ثنا ابن أبي فديك ، عن ابن حرملة ، عن سعيد : أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ سَيِّدَ الأيَّامِ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ ، وَالمَشْهُودُ : يَوْمُ عَرَفَةَ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن موسى بن عبيد ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « المَشْهُودُ : يَوْمُ عَرَفَةَ ، والشَّاهِدُ : يَوْمُ الجُمُعَةِ ، فِيهِ ساعَةٌ لا يُوَافِقُها مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللهَ بِخَيْرٍ إلاَّ اسْتَجابَ لَهُ ، وَلا يَسْتَعِيذُهُ مِنْ شَرٍّ إلاَّ أعاذَهُ » .

حدثني محمد بن عوف ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل ، قال : ثني أبي ، قال : ثني ضمضم بن زُرْعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعريّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الشَّاهِدَ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، وَإنَّ المَشْهُودَ يَوْمُ عَرَفَةَ ، فَيَوْمُ الجُمُعَةِ خِيرَةُ اللهِ لَنا » .

حدثنى سعيد بن الربيع الرازى ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سيد الأيام يوم الجمعة ، وهو شاهد .

وقال آخرون : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف المكىّ ، عن ابن عباس قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة ، ثم قرأ (ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شباك ، قال : سأل رجل الحسن بن علىّ ، عن (وشاهِدٍ ومَشْهُودٍ) قال : سألت أحدا قبلى ، قال : نعم سألت ابن عمر وابن الزبير ، فقالا : يوم الذبح ويوم الجمعة ؛ قال : لا ، ولكن الشاهد : محمد ، ثم قرأ (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا) والمشهود : يوم القيامة ، ثم قرأ (ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى الضحى ، عن الحسن بن علىّ ، قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة .

حدثنى سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن حَرْملة ، عن سعيد بن المسيب : (وَمَشْهُودٍ) : يوم القيامة .

وقال آخرون : الشاهد : الإنسان ، والمشهود : يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا أسباط ، عن عبد الملك ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : الشاهد : ابن آدم ، والمشهود يوم القيامة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : الإنسان ، وقوله (وَمَشْهُودٍ) قال : يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، قال : الشاهد : الإنسان ، والمشهود : يوم القيامة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن خالد الحذّاء ، عن عكرمة ، فى قوله (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : شاهد ابن آدم ، ومشهود : يوم القيامة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَشاهِدٍ) يعنى الإنسان (وَمَشْهُودٍ) يوم القيامة ، قال الله : (وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) .

وقال آخرون : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم الجمعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم الجمعة ، فذلك قوله (فَكَيْفَ إذَا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا) .

وقال آخرون : الشاهد الله ، والمشهود : يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَشاهِدٍ) يقول الله (وَمَشْهُودٍ) يقول : يوم القيامة .

وقال آخرون : الشاهد : يوم الأضحى ، والمشهود : يوم الجمعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شباك ، قال : سأل رجل الحسن بن عليّ ، عن (شاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : سألتَ أحدا قبلي ؟ قال : نعم ، سألت ابن عمر وابن الزبير ، فقالا : يوم الذبح ، ويوم الجمعة .

وقال آخرون : الشاهد : يوم الأضحى ، والمشهود : يوم عَرَفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : الشاهد : يوم عرفة ، والمشهود : يوم القيامة .

وقال آخرون : المشهود : يوم الجمعة ، ورَوَوْا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثني عمي عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عبادة بن نسيّ ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكْثِرُوا عَلَيَّ الصَّلاةَ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، فإنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ المَلائِكَةُ » .

❁ والصواب من القول في ذلك عندنا : أن يقال : إن الله أقسم بشاهد شهد ، ومشهود شهد ، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أيّ شاهد وأيّ مشهود أراد ، وكلّ الذى ذكرنا أن العلماء قالوا : هو المعنيّ مما يستحقّ أن يُقال له (شاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) .

وقوله (قُتِلَ أصحَابُ الأُخْدُودِ) يقول : لعن أصحاب الأخدود . وكان بعضهم يقول : معنى قوله (قُتِلَ أصحَابُ الأُخْدُودِ) خبر من الله عن النار أنها قتلتهم .

وقد اختلف أهل العلم في أصحاب الأخدود من هم ؟ فقال بعضهم : قوم كانوا أهل كتاب من بقايا المجوس.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن جعفر عن ابن أبزى ، قال : لما رجع المهاجرون من بعض غزواتهم ، بلغهم نعي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال بعضهم لبعض : أيّ الأحكام تجرى فى المجوس ، وإنهم ليسوا بأهل كتاب ، وليسوا من مشركي العرب ، فقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : قد كانوا أهل كتاب . وقد كانت الخمر أحلّت لهم ، فشربها ملك من ملوكهم ، حتى ثمل منها ، فتناول أخته فوقع عليها ، فلما ذهب عنه السكر قال لها : ويحك ! فما المخرج مما ابتليتُ به ؟ فقالت : اخطب الناس ، فقل : يا أيها الناس إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات ، فقام خطيبا ، فقال : يا أيها الناس إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات ، فقال الناس : إنا نبرأ إلى الله من هذا القول ، ما أتانا به نبيّ ، ولا وجدناه فى كتاب الله ، فرجع إليها نادما ، فقال لها : ويحك ! إن الناس قد أبَوا عليّ أن يقرّوا بذلك ، فقالت : ابسط عليهم السّياط ، ففعل ، فبسط عليهم السياط ، فأبَوا أن يقرّوا ، فرجع إليها نادما ، فقال : إنهم أبَوا أن يقرّوا ، فقالت : اخطبهم فإن أبوا فجرّد فيهم السيف ، ففعل ، فأبى عليه الناس ، فقال لها : قد أبى عليّ الناس ، فقالت : خدّ لهم الأخدود ، ثم اعرض عليها أهل مملكتك ، فمن أقرّ ، وإلا فاقذفه فى النار ، ففعل ، ثم عرض عليها أهل مملكته ، فمن لم يقرّ منهم قذفه فى النار ، فأنزل الله فيهم (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ) إلى (أَنْ يُؤْمِنُوا باللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ، إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ) حرّقوهم (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) فلم يزالوا منذ ذلك يستحلون نكاح الأخوات والبنات والأمهات .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ) قال : حدثنا أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان يقول : هم ناس بمذارع اليمن ، اقتتل مؤمنوها وكفارها ، فظهر مؤمنوها على كفارها ، ثم اقتتلوا الثانية ، فظهر مؤمنوها على كفارها ، ثم أخذ بعضهم على بعض عهدا ومواثيق أن لا يغدر بعضهم ببعض ، فغدر بهم الكفار فأخذوهم أخذا ؛ ثم إن رجلا من المؤمنين قال لهم : هل لكم إلى خير ، توقدون نارا ثم تعرضوننا عليها ، فمن تابعكم على دينكم فذلك الذى تشتهون ، ومن لا ، اقتحم النار فاسترحتم منه ؛ قال : فأجّجوا نارا وعرضوا عليها ، فجعلوا يقتحمونها صناديدهم ، ثم بقيت منهم عجوز كأنها نكصت ، فقال لها طفل فى حجرها : يا أماه ، امضي ولا تنافقي ، قصّ الله عليكم نبأهم وحديثهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ) قال : يعني القاتلين الذين قتلوهم يوم قتلوا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ) قال : هم ناس من بني إسرائيل ، خدّوا أخدودا

فى الأرض ، ثم أوقدوا فيه نارا ، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالا ونساء ، فعرضوا عليها ، وزعموا أنه دانيال وأصحابه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قُتِلَ أَصحَابُ الأُخْدُودِ) قال : كان شقوق فى الأرض بنَجْران ، كانوا يعذّبون فيها الناس .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (قُتِلَ أَصحَابُ الأُخْدُودِ) يزعمون أن أصحاب الأخدود من بنى إسرائيل ، أخذوا رجالا ونساء ، فخدّوا لهم أخدودا ، ثم أوقدوا فيها النيران ، فأقاموا المؤمنين عليها ، فقالوا : تكفرون أو نقذفكم فى النار .

حدثنى محمد بن معمر ، قال : ثنى حرمى بن عمارة ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، قال : ثنا ثابت البُنانىّ ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن صهيب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كان فِيمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ ، وكانَ لَهُ ساحِرٌ ، فأتى السَّاحِرُ المَلِكَ ، فَقَالَ : قَدْ كَبِرَتْ سِنِّى ، وَدَنا أجَلِى ، فادْفَعْ لى غُلاما أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ ؛ قالَ : فَدَفَعَ إلَيْهِ غُلاما يُعَلِّمُهُ السِّحْرَ ، قالَ : فَكانَ الغُلامُ يَخْتَلِفُ إلى السَّاحِرِ ، وكانَ بَيْنَ السَّاحِرِ وبَيْنَ المَلِكِ رَاهِبٌ ؛ قال : فَكانَ الغُلامُ إذَا مَرَّ بالرَّاهِبِ قَعَدَ إلَيْهِ ، فَسَمِعَ مِنْ كَلامِهِ ، فأُعْجِبَ بكَلامِهِ ، فَكان الغُلامُ إذَا أتَى السَّاحِرُ ضَرَبَهُ وَقالَ : ما حَبَسَكَ ؟ وَإذَا أتَى أهْلَه قَعَدَ عِنْدَ الرَّاهِبِ يَسْمَعُ كَلامَهُ ، فإذَا رَجَعَ إلى أهْلِهِ ضَرَبُوهُ وَقالُوا : ما حَبَسَكَ ؟ فَشَكا ذلك إلى الرَّاهِبِ ، فَقالَ لَهُ الرَّاهِبُ : إذَا قالَ لكَ السَّاحِرُ : ما حَبَسَكَ ؟ قُلْ حَبَسَنِى أهْلِى ، وَإذَا قالَ أهْلُكَ : ما حَبَسَكَ ؟ فَقُلْ حَبَسَنِى السَّاحِرُ . فَبَيْنَما هُوَ كَذَلكَ إذْ مَرَّ فى طَرِيقٍ وَإذَا دَابَّةٌ عَظِيمَةٌ فى الطَّرِيقِ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ لاتَدَعُهُمْ يَجُوزُونَ ؛ فَقالَ الغُلامُ : الآنَ أعْلَمُ أمْرُ السَّاحِرِ أرْضَى عِنْدَ اللهِ أمْ أمْرُ الرَّاهِبِ ؟ قال : فأخَذَ حَجَرًا ، قال : فَقَالَ : اللَّهُمَّ إنْ كانَ أمْرُ الرَّاهِبِ أحَبَّ إلَيْكَ مِنْ أمْرِ السَّاحِرِ فإنِّى أرْمى بِحَجَرِى هَذَا فَيَقْتُلُهُ وَيَمُرُّ النَّاسُ ، قالَ : فَرَمَاها فَقَتَلَها ، وَجازَ النَّاسُ ؛ فَبَلَغَ ذلكَ الرَّاهِبَ ؛ قال : وأتاهُ الغُلام فَقالَ الرَّاهِبُ لِلْغُلامِ : إنَّكَ خَيْرٌ مِنِّى ، وَإنِ ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّنَّ عَلَيَّ ؛ قال : وكانَ الغُلامُ يُبْرِئُ الأكْمَهَ والأبْرَصَ ، وَسائِرَ الأدْوَاءِ ؛ وكانَ لِلْمَلِكِ جَلِيسٌ ، قال : فَعَمِيَ ؛ قال : فَقِيلَ له : إنَّ هاهُنا غُلاما يُبْرِئُ الأكْمَهَ والأبْرَصَ ، وَسائِرَ الأدْوَاءِ ، فَلَوْ أتَيْتَهُ ؟ قال : فاتَّخَذَ لَهُ هَدَايا ؛ قال : ثُمَّ أتاهُ فَقالَ : يا غُلامُ إنْ أبْرَأْتَنِى فَهَذِهِ الهَدَايا كُلُّها لَكَ ، فَقَالَ : ما أنا بِطَبِيبٍ يَشْفِيكَ ، وَلَكِنَّ اللهَ يَشْفِى ، فإذَا آمَنْتَ دَعَوْتُ اللهَ أنْ يَشْفِيَكَ ؛ قال : فآمَنَ الأعْمَى ، فَدَعا اللهُ فَشَفاهُ ، فَقَعَدَ الأعْمَى إلى المَلِكِ كَمَا كانَ يَقْعُدُ ، فَقالَ لَهُ المَلِكُ : ألَيْسَ كُنْتَ أعْمَى ؟ قالَ : نَعَمْ ؛ قال : فَمَنْ شَفَاكَ ؟ قال : رَبِّى ؛ قال : وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِى ؟ قال : نَعَمْ ، رَبِّى وَرَبُّكَ اللهُ ؛ قال : فَأخَذَهُ

بالْعَذَابِ فقَالَ : لَتَدُلَّنِّي عَلى مَنْ عَلَّمَكَ هَذا ، قال: فَدَلَّ عَلى الغُلامِ ، فَدَعا الغُلامَ فقالَ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، قال : فأَبى الغُلامُ ؛ قال : فأَخَذَهُ بالعَذَابِ ؛ قال : فَدَلَّ عَلى الرَّاهِبِ ، فأخَذَ الرَّاهِبَ،فقَالَ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فأَبَى ؛ قال: فَوَضَعَ المِنْشارَ عَلى هامَتِهِ فَشَقَّهُ حتى بَلَغَ الأرْضَ ، قال : وأخَذَ الأعْمَى فقَال : لَتَرْجِعَنَّ أوْ لأَقْتُلَنَّكَ ؛ قال : فأَبَى الأعْمَى ، فَوَضَعَ المِنْشارَ عَلى هامَتِهِ ، فَشَقَّهُ حتى بَلَغَ الأرْضَ ، ثُمَّ قالَ للْغُلامِ : لَتَرْجِعَنَّ أوْ لأَقْتُلَنَّكَ ؛ قال : فأَبَى ؛ قال: فقال : اذْهَبُوا بِهِ حتى تَبْلُغُوا بِهِ ذِرْوَةَ الجَبَلِ ، فإنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ ، وَإلاَّ فَدَهْدِهُوهُ ، فَلَمَّا بَلَغُوا به ذِرْوَةَ الجَبَلِ فَوَقَعُوا فَماتُوا كُلُّهُمْ . وَجاءَ الغُلامُ يَتَلَمَّسُ حتى دَخَلَ عَلى المَلِكِ ، فقَال : أيْنَ أصحابُكَ ؟ قال : كَفانِيهُمُ اللهُ قال : فاذْهَبُوا بِهِ فاحْمِلُوهُ فى قُرْقُورٍ ، فتَوَسَّطُوا بِهِ البَحْرَ ، فإنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإلاَّ فَغَرِّقُوهُ قال : فَذَهَبُوا بِهِ ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بِهِ البَحْرَ قالَ الغُلامُ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ ، فانْكَفأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ . وَجاءَ الغُلامُ يَتَلَمَّسُ حتى دَخَلَ على المَلِكِ فقَالَ المَلِكُ : أيْنَ أصحابُكَ ؟ فقال : دَعَوْتُ اللهَ فَكَفانِيهِمْ ، قال : لأَقْتُلَنَّكَ ، قال : ما أنْتَ بقاتِلِي حتى تَصْنَعَ ما آمُرُكَ ، قال : فقَال الغُلامُ للْمَلِكِ : اجْمَعِ النَّاسَ فى صَعِيدٍ واحِدٍ ، ثُمَّ اصْلُبْنِى ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنانَتى فارْمِنى وَقُلْ : باسْمِ رَبِّ الغُلامِ ، فإنَّكَ سَتَقْتُلُنِى ؛ قال: فَجَمَعَ النَّاسَ فى صَعِيدٍ واحِدٍ ؛ قال: وَصَلَبَهُ وأخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنانَتِه ، فَوَضَعَهُ فى كَبِدِ القَوْسِ ، ثُمَّ رَمَى ؛ فقال : باسْمِ رَبِّ الغُلامِ ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فى صُدْغِ الغُلامِ ، فوَضَعَ يَدَهُ هَكَذا عَلى صُدْغِهِ ، وَماتَ الغُلامُ ، فقَالَ النَّاسُ : آمَنَّا بِرَبِّ الغُلامِ ، فقَالُوا للْمَلِكِ : ما صَنَعْتَ ، الَّذِى كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَقَعَ ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ ، فأمَرَ بأفْوَاهِ السِّكَكِ فأُخِذَتْ ، وخَدَّ الأُخْدُودَ وضَرَّمَ فيهِ النِّيرانَ ، وأخَذَهُمْ وَقالَ : إنْ رَجَعُوا وَإلاَّ فألْقُوهُمْ فى النَّارِ ؛ قال : فَكانُوا يُلْقُونَهُمْ فى النَّارِ ؛ قال : فَجاءَتِ امْرأةٌ مَعَها صَبِيٌّ لَهَا ، قالَ : فَلَمَّا ذَهَبَتْ تَقْتَحِمُ وَجَدَتْ حَرَّ النَّارِ ، فَنَكَصَتْ ، قال : فقَالَ لَهَا صَبِيُّها يا أُمَّاهُ ، امْضِى فإنَّكِ عَلى الحَقِّ ، فاقْتَحَمَتْ فى النارِ » .

وقال آخرون : بل الذين أحرقتهم النار هم الكفار الذين فتنوا المؤمنين .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن عمار ، عن عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال: « كان أصحاب الأخدود قوما مؤمنين ، اعتزلوا الناس فى الفتر ، وإنّ جبّارا من عبدة الأوثان أرسل إليهم ، فعرض عليهم الدخول فى دينه ، فأبوا ، فخدّ أخدودا ، وأوقد فيه نارا ، ثم خيرهم بين الدخول فى دينه ، وبين إلقائهم فى النار ، فاختاروا إلقاءهم فى النار ، على الرجوع عن دينهم ، فألقوا فى النار ، فنجّى الله المؤمنين الذين أُلْقُوا فى النار من الحريق ، بأن قبض أرواحهم ، قبل أن تمسهم النار ، وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود

من الكفار فأحرقهم ، فذلك قول الله (فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ) فى الآخرة (وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) فى الدنيا .

❁ واختُلف فى موضع جواب القسم بقوله (والسَّماءِ ذَاتِ البُرُوجِ) فقال بعضهم : جوابه (إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : وقع القسم هاهنا (إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) وقال بعض نحويِّى البصرة : موضع قسمها والله أعلم ، على قتل أصحاب الأخدود ، أضمر اللام كما قال (والشَّمْسِ وضُحاها ، قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَكَّاها) يريد : إن شاء الله لقد أفلح من زكّاها ، فألقى اللام ، وإن شئت قلت على التقديم ، كأنه قال : قتل أصحاب الأخدود ، والسماء ذات البروج .

وقال بعض نحويى الكوفة : يقال فى التفسير : إن جواب القسم فى قوله (قُتِلَ) كما كان قسم (والشَّمْسِ وَضُحاها) فى قوله (قَدْ أفْلَحَ) هذا فى التفسير قالوا : ولم نجد العرب تدع القسم بغير لام يستقبل بها أو « لا » أو « إن » أو « ما » ، فإن يكن ذلك كذلك ، فكأنه مما ترك فيه الجواب . ثم استؤنف موضع الجواب بالخبر ، كما قيل : يا أيها الإنسان ، فى كثير من الكلام .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : جواب القسم فى ذلك متروك ، والخبر مستأنف لأن علامة جواب القسم لا تحذفها العرب من الكلام إذا أجابته .

وأولى التأويلين بقوله (قُتِلَ أصْحابُ الأُخْدُودِ) لُعِن أصحاب الأخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات فى الأخدود .

وإنما قلت : ذلك أولى التأويلين بالصواب للذى ذكرنا عن الربيع من العلة ، وهو أن الله أخبر أن لهم عذاب الحريق مع عذاب جهنم ، ولو لم يكونوا أحرقوا فى الدنيا لم يكن لقوله (وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) معنى مفهوم ، مع إخباره أن لهم عذاب جهنم ، لأن عذابَ جهنم هو عذاب الحريق مع سائر أنواع عذابها فى الآخرة ، والأخدود : الحفرة تحفر فى الأرض .

وقوله (النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ) فقوله النار : ردّ على الأخدود ، ولذلك خفضت ، وإنما جاز ردّها عليه وهى غيره ، لأنها كانت فيه ، فكأنها إذ كانت فيه هو ، فجرى الكلام عليه لمعرفة المخاطبين به بمعناه وكأنه قيل : قتل أصحاب النار ذَاتِ الوَقُودِ ويعنى بقوله (ذَاتِ الوَقُودِ) ذات الحطب الجزل ، وذلك إذا فتحت الواو ، فأما الوقود بضم الواو ، فهو الاتقاد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝

﴿ يقول تعالى ذكره : النار ذات الوقود، إذ هؤلاء الكفار من أصحاب الأخدود عليها، يعنى على النار ، فقال عليها ، والمعنى أنهم قعود على حافة الأخدود ، فقيل : على النار ، والمعنى : لشفير الأخدود لمعرفة السامعين معناه .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ ، إذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ) يعنى بذلك المؤمنين ، وهذا التأويل الذى تأوّله قتادة على مذهب من قال : قُتِل أصحاب الأخدود من أهل الإيمان .

وقد دللنا على أن الصواب من تأويل ذلك غير هذا القول الذى وجه تأويله قتادة قبل .

وقوله (وَهُمْ عَلَى ما يَفْعَلُونَ بالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ) يعنى : حضور .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُمْ عَلَى ما يَفْعَلُونَ بالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ) يعنى بذلك الكفار .

وقوله (وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إلاَّ أنْ يُؤْمِنُوا باللهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ) يقول تعالى ذكره : وما وجد هؤلاء الكفار الذين فتنوا المؤمنين على المؤمنين والمؤمنات بالنار فى شىء ، ولا فعلوا بهم ما فعلوا بسبب إلا من أجل أنهم آمنوا بالله ، وقال : إلا أن يؤمنوا بالله ، لأن المعنى إلا إيمانهم بالله ، فلذلك حسن فى موضعه يؤمنوا ، إذ كان الإيمان لهم صفة (العَزِيزِ) يقول : الشديد فى انتقامه ممن انتقم منه (الحَمِيدِ) يقول : المحمود بإحسانه إلى خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۞ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : الذى له سلطان السموات السبع والأرضين وما فيهنّ (وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) يقول تعالى ذكره : والله على فعل هؤلاء الكفار من أصحاب الأخدود بالمؤمنين الذين فتنوهم شاهد، وعلى غير ذلك من أفعالهم وأفعال جميع خلقه ، وهو مجازيهم جزاءهم .

وقوله (إنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ) يقول : إن الذين ابتلَوا المؤمنين والمؤمنات بالله بتعذيبهم ، وإحراقهم بالنار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) : حرّقوا المؤمنين والمؤمنات .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا) قال : عذّبوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) قال : حرّقوهم بالنار .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) يقول : حرّقوهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) حرّقوهم .

وقوله (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا) يقول : ثم لم يتوبوا من كفرهم وفعلهم ، الذي فعلوا بالمؤمنين والمؤمنات من أجل إيمانهم بالله (فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ) في الآخرة (وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) في الدنيا .

كما حدثت عن عمار ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ في الآخرةِ ، وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾

❁ يقول تعالى ذكره : إن الذين أقرّوا بتوحيد الله ، وهم هؤلاء القوم الذين حرّقهم أصحاب الأخدود وغيرهم من سائر أهل التوحيد (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : وعملوا بطاعة الله ، وأْتمروا لأمره ، وانتهوا عما نهاهم عنه (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يقول : لهم في الآخرة عند الله بساتين تجرى من تحتها الأنهار والخمر واللبن والعسل (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ) يقول : هذا الذي هو لهؤلاء المؤمنين في الآخرة ، هو الظفر الكبير بما طلبوا والتمسوا بإيمانهم بالله في الدنيا ، وعملهم بما أمرهم الله به فيها ورضيه منهم .

وقوله (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن بطش ربك يامحمد لمن بطش به من خلقه ، وهو انتقامه ممن انتقم منه لشديد ، وهو تحذير من الله لقوم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يُحِلّ بهم من عذابه ونقمته ، نظير الذي حلّ بأصحاب الأخدود على كفرهم به ، وتكذيبهم رسوله ، وفتنتهم المؤمنين والمؤمنات منهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝ ﴾

اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) فقال بعضهم : معنى ذلك : إن الله أبدى خلقه . فهو يبتدئ ، بمعنى : يحدث خلقه ابتداء ، ثم يميتهم ، ثم يعيدهم أحياء بعد مماتهم ، كهيئتهم قبل مماتهم .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) يعنى : الخلق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) قال : يُبدئ الخلق حين خلقه ، ويعيده يوم القيامة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه هو يبدئ العذاب ويعيده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) قال : يبدئ العذاب ويعيده .

وأولى التأويلين فى ذلك عندى بالصواب ، وأشبههما بظاهر ما دلّ عليه التنزيل : القول الذى ذكرناه عن ابن عباس ، وهو أنه يُبدئ العذاب لأهل الكفر به ويعيد ، كما قال جلّ ثناؤه (فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) فى الدنيا ، فأبدأ ذلك لهم فى الدنيا ، وهو يعيده لهم فى الآخرة .

وإنما قلت : هذا أولى التأويلين بالصواب ، لأن الله أتبع ذلك قوله (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) فكان للبيان عن معنى شدة بطشه الذى قد ذكره قبله ، أشبه به بالبيان عما لم يجر له ذكر ، ومما يؤيد ما قلنا من ذلك وضوحا وصحة ، قوله (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ) فبين ذلك عن أن الذى قبله من ذكر خبره عن عذابه وشدة عقابه .

وقوله (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ) يقول تعالى ذكره : وهو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه ، وذو المحبة له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الْغَفُورُ الْوَدُودُ) يقول : الحبيب .

حدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (الْغَفُورُ الْوَدُودُ) قال الرحيم .

وقوله (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ) يقول تعالى ذكره : ذو العرش الكريم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ذُوالعَرْشِ المَجِيدُ) يقول : الكريم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله(المَجِيدُ)فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة وبعض الكوفيين رفعا، ردّا على قوله (ذُو الْعَرْشِ) على أنه من صفة الله تعالى ذكره . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة خفضا، على أنه من صفة العرش .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) يقول : هو غفار لذنوب من شاء من عباده إذا تاب وأناب منها ، معاقب من أصرّ عليها وأقام ، لايمنعه مانع من فعل أراد أن يفعله ، ولا يحول بينه وبين ذلك حائل ، لأن له مُلك السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم .

وقوله (هَلْ أتاكَ حَدِيثُ الجُنُودِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هل جاءك يا محمد حديث الجنود، الذين تجندوا على الله ورسوله بأذاهم ومكروههم ؛ يقول: قد أتاك ذلك وعلمته ، فاصبر لأذى قومك إياك، لما نالوك به من مكروه، كما صبر الذين تجند هؤلاء الجنود عليهم من رسلى، ولا يثنيك عن تبليغهم رسالتى ، كما لم يثنِ الذين أرسلوا إلى هؤلاء، فإن عاقبة من لم يصدّقك ويؤمن بك منهم إلى عطب وهلاك ، كالذى كان من هؤلاء الجنود ، ثم بين جلّ ثناؤه عن الجنود من هم؟فقال: (فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ) يقول: فرعون، فاجتزى بذكره، إذ كان رئيس جنده، من ذكر جنده وتُبّاعه . وإنما معنى الكلام هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وقومه وثمود ، وخفض فرعون ردّا على الجنود، على الترجمة عنهم، وإنما فتح لأنه لايجرى وثمود .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء القوم الذين يكذّبون بوعيد الله،أنهم لم يأتهم أنباء من قبلهم من الأمم المكذّبة رسل الله، كفرعون وقومه، وثمود وأشكالهم،وما أحلّ الله بهم من النقم، بتكذيبهم الرسل ، ولكنهم

فى تكذيب بوحى الله وتنزيله، إيثارا منهم لأهوائهم، واتباعا منهم لسنن آبائهم (وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ) بأعمالهم، مُحْصٍ لها، لايخفى عليه منها شيء، وهو مجازيهم على جميعها.

وقوله (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) يقول: تكذيبا منه جلّ ثناوه للقائلين للقرآن هوشعر وسجع: ماذلك كذلك، بل هو قرآن كريم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) يقول: قرآن كريم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث بن إسحاق، عن جعفر، عن سعيد، فى قوله (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) قال: كريم.

وقوله (فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) يقول تعالى ذكره: هو قرآن كريم، مثبت فى لوح محفوظ.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مَحْفُوظٍ) فقرأ ذلك من قرأه من أهل الحجاز، أبوجعفر القارئ، وابن كثير، ومن قرأه من قرّاء الكوفة عاصم والأعمش وحمزة والكسائى، ومن البصريين أبو عمرو (محفوظٍ) خفضا على معنى أن اللوح هو المنعوت بالحفظ. وإذا كان ذلك كذلك كان التأويل فى لوح محفوظ من الزيادة فيه، والنقصان منه، عما أثبته الله فيه. وقرأ ذلك من المكّيين ابن مُحَيْصِن، ومن المدنيين نافع (مَحْفُوظٌ) رفعا، ردّا على القرآن، على أنه من نعته وصفته. وكان معنى ذلك على قراءتهما: بل هو قرآن مجيد، محفوظ من التغيير والتبديل فى لوح.

والصواب من القول فى ذلك عندنا: أنهما قراءتان معروفتان فى قرأة الأمصار، صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وإذ كان ذلك كذلك، فبأيّ القراءتين قرأ القارئ فتأويل القراءة التى يقرؤها على ما بيّنا.

وقد حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد (فِى لَوْحٍ) قال: فى أمّ الكتاب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) عند الله

وقال آخرون: إنما قيل محفوظ، لأنه فى جبهة إسرافيل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علىّ، قال: سمعت قرة بن سليمان، قال: ثنا حرب بن سريج، قال: ثنا عبد العزيز ابن صهيب، عن أنس بن مالك، فى قوله (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ، فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) قال: إن اللوح المحفوظ الذى ذكر الله، (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مجيد فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) فى جَبْهة إسرافيل.

آخر تفسير سورة البروج

---

(٨٦) سورة الطارق مكية
وآياتها سبع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝ ﴾

أقسم ربنا بالسماء وبالطارق الذى يطرق ليلا من النجوم المضيئة ، ويخفى نهارا ، وكلّ ما جاء ليلا فقد طرق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (والسَّماءِ والطَّارِقِ) قال : السماء وما يطرق فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والسَّماءِ والطَّارِقِ وَما أدْرَاكَ ما الطَّارِقُ) قال : طارق يطرق بليل ، ويخفى بالنهار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (والطَّارِقِ) قال : ظهور النجوم ، يقول : يطرقك ليلا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الطَّارِق) النجم .

(وَما أدْرَاكَ ما الطَّارِقُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أشعرك يامحمد ما الطارق الذى أقسمت به ؟ ثم بين ذلك جلّ ثناؤه ، فقال : هو النجم الثاقب ، يعنى : يتوقد ضياؤه ويتوهّج .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) يعنى : المضىء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (النَّجْمُ الثاقِبُ) قال : هي الكواكب المضيئة ، وثقوبه : إذا أضاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) قال : الذي يثقب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (الثَّاقِبُ) قال : الذي يتوهّج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ثقوبه : ضوءه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) : المضيء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) قال : كانت العرب تسمى الثُّريا النجم ، ويقال : إن الثاقب النجم الذي يقال له زُحَل . والثاقب أيضا : الذي قد ارتفع على النجوم ، والعرب تقول للطائر : إذا هو لحق ببطن السماء ارتفاعا : قد ثَقَب ، والعرب تقول : أثقِب نارك : أي أضئها .

وقوله (إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ) اختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأه من قرّاء المدينة أبو جعفر ، ومن قرّاء الكوفة حمزة (لَمَّا عَلَيْها) بتشديد الميم . وذُكِر عن الحسن أنه قرأ ذلك كذلك .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبوعبيد ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن الحسن أنه كان يقرؤها (إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ) مشدّدة ، ويقول : إلاّ عليها حافظ ، وهكذا كلّ شيء في القرآن بالتثقيل . وقرأ ذلك من أهل المدينة نافع ، ومن أهل البصرة أبوعمرو : (لَمَا) بالتخفيف ، بمعنى : إن كلّ نفس لعليها حافظ . وعلى أن اللام جواب « إن » و « ما » التي بعدها صلة . وإذا كان ذلك كذلك لم يكن فيه تشديد .

والقراءة التي لا أختار غيرها في ذلك : التخفيف ، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب ، وقد أنكر التشديد جماعة من أهل المعرفة بكلام العرب ، أن يكون معروفا من كلام العرب ، غير أن الفرّاء كان يقول : لانعرف جهة التثقيل في ذلك ، ونرى أنها لغة في هُذَيل ، يجعلون إلا مع إنِ المخففة لَمّا ، ولا يجاوزون ذلك ، كأنه قال : ماكلّ نفس إلاّ عليها حافظ ، فإن كان صحيحا ما ذكر الفرّاء ، من أنها لغة هُذَيل ، فالقراءة بها جائزة صحيحة ، وإن كان الاختيار أيضا إذا صحّ ذلك عندنا : القراءة الأخرى ، وهي التخفيف ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، ولا ينبغي أن يترك الأعرف إلى الأنكر .

وقد حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبوعبيد ، قال : ثنا معاذ ، عن ابن عون ، قال : قرأت عند ابن سيرين (إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْها حافِظٌ) فأنكره ، وقال سبحان الله ، سبحان الله .

فتأويل الكلام إذن : إن كلّ نفس لَعَلَيها حافظ من ربها ، يحفظ عملها ، ويُحصِي عليها ماتكسب من خير أو شرّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حافِظٌ) قال : كلّ نفس عليها حفظة من الملائكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حافِظٌ) : حفظة يحفظون عملك ورزقك وأجلك إذا توفيته يا بن آدم قبضت إلى ربك .

وقوله (فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ مِمَّ خُلِقَ ؟) يقول تعالى ذكره : فلينظر الإنسان المكذّب بالبعث بعد الممات ، المُنكر قُدرة الله على إحيائه بعد مماته ، (مِمَّ خُلِقَ ؟) يقول : من أىّ شىء خلقه ربه ؟ ثم أخبر جلّ ثناؤه عما خلقه منه ، فقال : (خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ) يعنى : من ماء مدفوق ، وهو مما أخرجته العرب بلفظ فاعل ، وهو بمعنى المفعول ، ويقال : إن أكثر من يستعمل ذلك من أحياء العرب ، سكان الحجاز إذا كان فى مذهب النعت ، كقولهم : هذا سرّ كاتم ، وهم ناصب ، ونحو ذلك .

وقوله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ) يقول : يخرج من بين ذلك ، ومعنى الكلام منهما ، كما يقال : سيخرج من بين هذين الشيئين خير كثير ، بمعنى : يخرج منهما .

واختلف أهل التأويل فى معنى الترائب وموضعها ، فقال بعضهم : الترائب : موضع القلادة من صدر المرأة

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطُّفاوىّ ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، عن سَلَمة بن سابور ، عن عطية العَوْفىّ ، عن ابن عباس (الصُّلْبِ والتَّرائِبِ) قال : الترائب : موضع القِلادة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ) يقول : من بين ثدى المرأة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، قال : سُئل عكرمة عن الترائب ، فقال : هذه ، ووضع يده على صدره بين ثدييه .

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنى سلم بن قتيبة ، قال : ثنى عبد الله بن النُّعمان الُحدّانىّ أنه سمع عكرمة يقول : (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ) قال : صُلْب الرجل ، وترائب المرأة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبير ، قال : الترائب : الصدر .

قال : ثنا ابن يمان ، عن مِسْعر ، عن الحكم ، عن أبى عياض ، قال : التَّرائِب : الصدر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ) قال : الترائب : الصدر ، وهذا الصلب ، وأشار إلى ظهره .

وقال آخرون : الترائب : ما بين المَنْكِبين والصدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن ثُوَيْر ، عن مجاهد ، قال (التَّرَائِبِ) ما بين المنكبين والصدر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (التَّرَائِبِ) قال : أسفل من التراقي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : الصُّلْب للرجل ، والترائب للمرأة ، والترائب فوق الثديين .

وقال آخرون : هو اليدان والرجلان والعينان .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني ابي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ) قال : فالترائب أطراف الرجل واليدان والرجلان والعينان ، فتلك الترائب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ) قال : الترائب : اليدان والرجلان .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال غيره : الترائب : ماء المرأة وصلب الرجل .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيدٌ ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ) : عيناه ويداه ورجلاه .

وقال آخرون : معنى ذلك ، أنه يخرج من بين صلب الرجل ونحره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ) يقول : يخرج من بين صُلْب الرجل ونحره .

وقال آخرون : هي الأضلاع التي أسفل الصلب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ) قال : الترائب : الأضلاع التي أسفل الصلب .

وقال آخرون : هي عصارة القلب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني الليث أن معمر بن أبي حَبِيبة المَدِيني حدّثه ، أنه بلغه في قول الله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ) قال : هو عُصارة القلب ، ومنه يكون الولد .

❁ والصواب من القول في ذلك عندنا : قول من قال : هو موضع القِلادة من المرأة ، حيث تقع عليه من صدرها ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، وبه جاءت أشعارهم ، قال المثقّب العبدى :

ومِنْ ذَهَبٍ يُسَنُّ على تَرِيبٍ ... كَلَوْنِ العاجِ ليسَ بذِي غُضُونِ[١]

وقال آخر :

والزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا ... شَرِقًا بِهِ اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ[٢]

وقوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) يقول تعالى ذكره : إن هذا الذى خلقكم أيها الناس من هذا الماء الدافق ، فجعلكم بشرا سويًّا ، بعد أن كنتم ماء مدفوفا ، على رجعه لقادر .

❁ واختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله (عَلَى رَجْعِهِ) على ما هي عائدة ، فقال بعضهم : هي عائدة على الماء . وقالوا : معنى الكلام : إن الله على ردّ النطفة في الموضع التي خرجت منه (لَقَادِرٌ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبي رجاء ، عن عكرِمة ، في قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) قال : إنه على ردّه في صُلْبه لقادر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، عن عكرِمة في قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) قال : للصُّلب .

حدثني عُبيد بن إسماعيل الهبارىّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) قال : على أن يرد الماء في الإحليل .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأَوْدِىّ الوشاء ، قال : ثنا أبو قَطَن عمرو بن الهيثم ، عن ورقاء ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن مجاهد ، في قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) قال : على ردّ النطفة في الإحليل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) قال : في الإحليل

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) قال : ردّه في الإحليل .

(١) هذا البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٦) قال : الترائب : معلق الحلي على الصدر ؛ قال المثقب العبدى : « ومن ذهب يسن على تريب » ، ولم ينشد عجزه . اه . ويسن : أي يصقل أو يلمع . والتريب كالترائب ، واحدها : تريبة ؛ قال (في اللسان : ترب) : وقال أهل اللغة أجمعون : الترائب : موضع القلادة من الصدر ؛ وقيل : التريبتان : الضلعان اللتان تليان الترقوتين ، وأنشد :

ومِنْ ذَهَبٍ يَلُوحُ عَلَى تَرِيبٍ ... كَلَوْنِ العاجِ ليسَ لهُ غُضُونُ

ثم قال : وفي الحديث ذكر التريبة ، وهي أعلى صدر الإنسان تحت الذقن . وجمعه : الترائب . اه .

(٢) تقدم الاستشهاد بالبيت في الجزء (٢٨ : ٥١) على مثل ما استشهد به عليه هنا ، فراجعه ثمة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه على ردّ الإنسان ماء كما كان قبل أن يخلقه منه .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) إن شئتُ رددتُه كما خلقته من ماء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه على حبس ذلك الماء لقادر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) قال : على رجع ذلك الماء لقادر ، حتى لايخرج ، كما قدر على أن يخلق منه ما خلق ، قادر على أن يرجعه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه قادر على رجع الإنسان من حال الكبر إلى حال الصغر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن مقاتل بن حيّان ، عن الضحاك قال : سمعته يقول فى قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) يقول : إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ، ومن الشباب إلى الصِّبا ، ومن الصبا إلى النطفة . وعلى هذا التأويل تكون الهاء فى قوله (عَلَى رَجْعِهِ) من ذكر الإنسان .

وقال آخرون ممن زعم أن الهاء للإنسان معنى ذلك أنه على إحيائه بعد مماته لقادر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لقادِرٌ) إن الله تعالى ذكره على بعثه وإعادته قادر .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال معنى ذلك : إن الله على ردّ الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حيا ، كهيئته قبل مماته لقادر .

وإنما قلت هذا أولى الأقوال فى ذلك بالصواب : لقوله (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) فكان فى إتباعه قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقادِرٌ) نبأ من أنباء القيامة ، دلالة على أن السابق قبلها أيضا منه ، ومنه (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) يقول تعالى ذكره : إنه على إحيائه بعد مماته لقادر ، يوم تُبلى السرائر ؛ فاليوم من صفة الرجع ، لأن المعنى : إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر .

وعُنِى بقوله : (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) يوم تُختَبَرُ سرائر العباد ، فيظهر منها يومئذ ما كان فى الدنيا مستخفيا عن أعين العباد ، من الفرائض التى كان الله ألزمه إياها ، وكلّفه العمل بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن عبد الله بن صالح ، عن يحيى بن أيوب ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبى رباح ،

فى قوله (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) قال : ذلك الصوم والصلاة وغُسْل الجنابة ، وهن السرائر ؛ ولو شاء أن يقول : قد صُمْتُ وليس بصائم ، وقد صلّيتُ ولم يصلّ ، وقد اغتسلت ولم يغتسل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) إن هذه السرائر مختبرة ، فأسِرّوا خيرا وأعلنوه إن استطعتم ، ولا قوّة إلا بالله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) قال : تُخْتَبر .

وقوله (فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصِرٍ) يقول تعالى ذكره : فما للإنسان الكافر يومئذ من قوّة يمتنع بها من عذاب الله ، وأليم نكاله ، ولا ناصر ينصره، فيستنقذه ممن ناله بمكروه ، وقد كان فى الدنيا يرجع إلى قوّة من عشيرته ، يمتنع بهم ممن أراده بسوء ، وناصر من حليف ينصره على من ظلمه واضطهده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصِر) ينصره من الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلا ناصِرٍ) قال : من قوّة يمتنع بها ، ولا ناصر ينصره من الله .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن سفيان الثورىّ ، فى قوله (مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصِرٍ) قال : القوّة : العشيرة ، والناصر : الحليف .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : (وَالسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ) ترْجع بالغيوم وأرزاق العباد كلّ عام ؛ ومنه قول المتنخّل فى صفة سيف :

أبْيَضُ كالرَّجْعِ رَسُوبٌ إذَا ... ما ثاخَ فِى مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِى[1]

(١) هذا البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨٦) قال : « ذات الرجع » : الماء . قال المتنخل يصف السيف : « أبيض كالرجع . . . البيت » . وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٦٤) « وقوله « والسماء ذات الرجع » : تبتدئ بالمطر ، ثم ترجع به فى كل عام . وفى (اللسان : رجع) والرجع ، والرجيع ، والراجعة : الغدير يتردد فيه الماء ، قال المتنخل الهذلى يصف السيف : أبيض كالرجع . . . البيت . وفى التنزيل «والسماء ذات الرجع» ويقال : ذات النفع . وقال ثعلب : تبتدئ بالمطر ، ثم ترجع به كل عام . =

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) قال : السحاب فيه المطر .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) قال : ذات السحاب فيه المطر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) يعنى بالرجع : القطر والرزق كلّ عام .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) قال : ترجع بأرزاق الناس كلّ عام ؛ قال أبو رجاء : سُئل عنها عكرمة ، فقال : رجعت بالمطر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ذَاتِ الرَّجْعِ) قال : السحاب يمطر ، ثم يرجع بالمطر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) قال : ترجع بأرزاق العباد كلّ عام ، لولا ذلك هلكوا ، وهلكت مواشيهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) قال : ترجع بالغيث كلّ عام .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) يعنى : المطر .

وقال آخرون : يعنى بذلك : أن شمسها وقمرها يغيب ويطلُع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) قال : شمسها وقمرها ونجومها يأتين من هاهنا .

وقوله (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) يقول تعالى ذكره : والأرض ذات الصدع بالنبات .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

=وقال غيره : ذات المطر ، لأنه يجىء ويرجع ويتكرر . اه . وفى (اللسان : ثاخ) ثاخ الشىء ثوخا : ساخ . وثاخت قدمه فى الوحل تثوخ وتثيخ : خاضت وغابت فيه . قال المتنخل الهذلى يصف سيفا « أبيض . . . . البيت » . أراد بالأبيض : السيف . والرجع : الغدير ، شبه السيف به فى بياضه . والرسوب : الذى يرسب فى اللحم . والمحتفل : أعظم موضع فى الجسد . ويختلى : يقطع . وثاخ وساخ : ذهب فى الأرض سفلا . (وانظر ديوان الهذليين ٢ : ١٢ - ١٣) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) قال : ذات النبات .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) يقول : صدعها إخراج النبات فى كلّ عام .

حدثنى يعقوب ، قال: ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) قال: هذه تصدع عما تحتها ؛ قال أبو رجاء : وسُئِل عنها عكرِمة ، فقال : هذه تصدع عن الرزق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ابن أبى نجيح ، قال مجاهد (وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) مثل المأزم مأزم منى .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) قال : الصدع : مثل المأزم ، غير الأودية وغير الجُرُف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) تصدع عن الثمار وعن النبات ، كما رأيتم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) قال : تصدع عن النبات .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) وقرأ (ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا) إلى آخر الآية ، قال : صدعها للحرث .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) : النبات .

وقوله (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ) يقول تعالى ذكره : إن هذا القول وهذا الخبر لقول فصل : يقول : لقول يفصل بين الحقّ والباطل ببيانه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى العبارة عنه ، فقال بعضهم : لقول حقّ .
وقال بعضهم : لقول حُكْم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ) يقول : حقّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ) : أى حُكْم .
وقوله (وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) يقول : وما هو باللعب ولا الباطل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) يقول : بالباطل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث : قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) قال : باللعب .

وقوله (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا) يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء المكذّبين بالله ورسوله والوعد والوعيد يمكرون مكرا .

وقوله (وَأَكِيدُ كَيْدًا) يقول : وأمكر مكرا ؛ ومكره جلّ ثناؤه بهم : إملاؤه إياهم على معصيتهم وكفرهم به .

وقوله (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فمهّل يا محمد الكافرين ولا تعجلْ عليهم (أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) يقول : أمهلهم آنا قليلا ، وأنظرهم للموعد الذى هو وقت حلول النقمة بهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) يقول : قريبا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) الرويد : القليل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) قال : مهّلهم ، فلا تعجل عليهم تَرْكَهُمْ ، حتى لما أراد الانتصار منهم ، أمره بجهادهم وقتالهم ، والغلظة عليهم .

آخر تفسير سورة والسماء والطارق

(٨٧) سورة الأعلى مكية
وآياتها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۞ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۞ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۞ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۞ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ۞ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۞ ﴾

❁ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) فقال بعضهم : معناه : عظم ربك الأعلى ، لا ربّ أعلى منه وأعظم . وكان بعضهم إذا قرأ ذلك قال : سبحان ربى الأعلى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عمر أنه كان يقرأ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) : سبحان ربى الأعلى (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) قال : وهى فى قراءة أُبىّ بن كعب كذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السُّدىّ ، عن عبد خير ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه قرأ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) فقال : سبحان ربى الأعلى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبى إسحاق الهمْدانى ، أن ابن عباس كان إذا قرأ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) يقول : سبحان ربى الأعلى ، وإذا قرأ (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) فأتى على آخرها (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) ؟ يقول : سبحانك اللهمّ وبلَى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال : سبحان ربىّ الأعلى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن خارجة ، عن داود ، عن زياد بن عبد الله ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ فى صلاة المغرب (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) سبحان ربى الأعلى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : نزّه يامحمد اسم ربك الأعلى ، أن تسمى به شيئا سواه ، ينهاه بذلك أن يفعل ما فعل من ذلك المشركون ، من تسميتهم آلهتهم بعضها اللات ، وبعضها العزّى .

وقال غيرهم : بل معنى ذلك : نزّه الله عما يقول فيه المشركون كما قال : (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ . وقالوا : معنى ذلك : سبح ربك الأعلى ؛ قالوا : وليس الاسم معنى :

وقال آخرون : نزّه تسميتك يامحمد ربك الأعلى وذكرك إياه، أن تذكره إلا وأنت له خاشع متذلل؛ قالوا : وإنما عُنِي بالاسم : التسمية ، ولكن وُضع الاسم مكان المصدر .

وقال آخرون : معنى قوله (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى) : صلّ بذكر ربك يامحمد ، يعني بذلك : صلّ وأنت له ذاكر ، ومنه وَجِل خائف .

❁ وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب : قول من قال : معناه : نزّه اسم ربك أن تدعو به الآلهة والأوثان ، لما ذكرت من الأخبار ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة أنهم كانوا إذا قرءوا ذلك قالوا : سبحان ربيَ الأعلى ، فبيّن بذلك أن معناه كان عندهم معلوما : عظم اسم ربك ، ونزّهه .

وقوله (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) يقول : الذى خلق الأشياء فسوّى خلقها ، وعدّلها ، والتسوية التعديل

وقوله (وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) يقول تعالى ذكره : والذى قدّر خلقه فهدى .

❁ واختلف أهل التأويل في المعنى الذى عُني بقوله (فَهَدَى) ، فقال بعضهم : هدى الإنسان لسبيل الخير والشرّ ، والبهائم للمراتع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَدَّرَ فَهَدَى) قال : هدى الإنسان للشقوة والسعادة ، وهَدى الأنعام لمراتعها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : هدى الذكور لمأتى الإناث . وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى .

❁ والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الله عمّ بقوله (فَهَدَى) الخبر عن هدايته خلقه ، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى ، وقد هداهم لسبيل الخير والشرّ ، وهدى الذكور لمأتى الإناث ، فالخبر على عمومه ، حتى يأتي خبر تقوم به الحجة ، دالّ على خصوصه . واجتمعت قرّاء الأمصار على تشديد الدال من قَدَّر ، غير الكسائي فإنه خفّفها .

والصواب في ذلك التشديد ، لإجماع الحجة عليه .

وقوله (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى) يقول : والذى أخرج من الأرض مرعَى الأنعام ، من صنوف النبات وأنواع الحشيش .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن مكرم ، قال : ثنا الحفريّ ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي رَزين (أَخْرَجَ الْمَرْعَى) قال : النبات .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى) . . . الآية ، نبت كما رأيتم ، بين أصفر وأحمر وأبيض .

وقوله (فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى) يقول تعالى ذكره : فجعل ذلك المرعَى غُثاء ، وهو ما جفّ من النبات ويبس ، فطارت به الريح ، وإنما عُنِى به هاهنا أنه جعله هشيما يابسا متغيرا إلى الحُوَّة ، وهى السواد ، من بعد البياض أو الخُضرة ، من شدّة اليبس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (غُثَاءً أَحْوَى) يقول : هَشِيما متغيرا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (غُثَاءً أَحْوَى) قال : غُثاء السيل أحوى ، قال : أسود .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (غُثَاءً أَحْوَى) قال : يعود يبسا بعد خُضرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى) قال : كان بقلا ونباتا أخضر ، ثم هاج فيبُس ، فصار غُثاء أحوى ، تذهب به الرياح والسيول . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخَّر الذى معناه التقديم ، وأن معنى الكلام : والذى أخرج المرعى أحوى : أى أخضر إلى السواد ، فجعله غثاء بعد ذلك ، ويعتلّ لقوله ذلك بقول ذى الرُّمة :

حَوَّاءُ قَرْحاءُ أَشْراطِيَّةٌ وكَفَتْ فِيها الذِّهابُ وحَفَّتْها البَرَاعِيمُ[1]

وهذا القول وإن كان غير مدفوع أن يكون ما اشتدّت خضرته من النبات ، قد تسميه العرب أسود ، غير صواب عندى بخلافه تأويل أهل التأويل فى أن الحرف إنما يحتال لمعناه المخرج بالتقديم والتأخير إذا لم يكن له وجه مفهوم إلا بتقديمه عن موضعه ، أو تأخيره ، فأما وله فى موضعه وجه صحيح فلا وجه لطلب الاحتيال لمعناه بالتقديم والتأخير .

(١) البيت لذى الرمة (ديوانه : ٥٧٣) وأنشده أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٦) قال : « فجعله غثاء أحوى » : هيجه حتى يبس ، فجعله أسود من احتراقه . غثاء : هشيما . وهو فى موضع آخر : من شدة خضرته وكثرة مائه يقال له أحوى ؛ قال ذو الرمة «قرحاء حواء . . . البيت » . وفى (اللسان : قرح) : روضة قرحاء : فى وسطها نورا أبيض . قال ذو الرمة يصف روضة : « حواء قرحاء . . . البيت » . وقيل القرحاء : التى بدا نبتها : وفى (اللسان : شرط) : وروضة أشراطية : مطرت بالشرطين ، قال ذوالرمة يصف روضة « قرحاء حواء أشراطية . . . يعنى روضة مطرت بنوء الشرطين (وهما نجمان من برج الحمل ، يقال لهما قرن الحمل — اللسان : شرط) . قال : وإنما قال : قرحاء ، لأن فى وسطها نوارة بيضاء ، وقال حواء : لخضرة نباتها . وفى (اللسان : ذهب) : والذهبة ، بالكسر : المطرة . وقيل : المطرة الضعيفة . وقيل : الجود (بالفتح) . والجمع : ذهاب . قال ذوالرمة يصف روضة « حواء قرحاء . . . . » البيت . اه . وفى (اللسان : برعم) : البرعم والبرعوم والبرعمة والبرعومة (بضم أولها) كله كم ثمر الشجر والنور . وقيل زهرة الشجرة ، ونور النبت ، قبل أن يتفتح . وبرعمت الشجرة فهى مبرعمة ، وتبرعمت : أخرجت برعمها . قال : وفسر مؤرج قول ذى الرمة « فيها الذهاب وحفتها البراعيم » فقال : هى رمال فيها دارات تنبت البقل . اه .

وقوله (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى إلاَّ ما شاءَ اللهُ) يقول تعالى ذكره : سنقرئك يامحمد هذا القرآن فلا تنساه ، إلا ما شاء الله .

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (فلا تَنْسَى إلاَّ ما شاءَ اللهُ) فقال بعضهم : هذا إخبار من الله نبيه عليه الصلاة والسلام أنه يعلمه هذا القرآن ، ويحفظه عليه ، ونهى منه أن يعجل بقراءته ، كما قال جلَّ ثناؤه (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرآنَهُ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى) قال : كان يتذكر القرآن فى نفسه مخافة أن ينسى ، فقال قائلو هذه المقالة : معنى الاستثناء فى هذا الموضع على النسيان ، ومعنى الكلام : فلا تنسى ، إلا ما شاء الله أن تنساه ، ولا تذكُرَه ، قالوا : ذلك هو ما نسخه الله من القرآن ، فرفع حكمه وتلاوته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى) كان صلى الله عليه وسلم لاينسى شيئا (إلاَّ ما شاءَ اللهُ) .

وقال آخرون : معنى النسيان فى هذا الموضع : الترك ؛ وقالوا : معنى الكلام : سنقرئك يامحمد فلا تترك العمل بشيء منه ، إلا ما شاء الله أن تترك العمل به ، مما ننسخه .

وكان بعض أهل العربية يقول فى ذلك : لم يشأ الله أن تنسى شيئا ، وهو كقوله (خالِدِينَ فِيها مادامَتِ السَّمَوَاتُ والأرْضُ ، إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) ولا يشاء . قال : وأنت قائل فى الكلام : لأعطينك كلَّ ما سألت إلا ما شئت ، وإلا أن أشاء أن أمنعك ، والنية أن لاتمنعه ، ولا تشاء شيئا . قال : وعلى هذا مجاري الإيمان ، يستثنى فيها ، ونية الحالف : اللمام .

❊ والقول الذى هو أولى بالصواب عندى : قول من قال : معنى ذلك : فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن نُنسيكه بنسخه ورفعه .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن ذلك أظهر معانيه .

وقوله (إنَّهُ يَعْلَمُ الجَهْرَ وَما يَخْفَى) يقول تعالى ذكره : إن الله يعلم الجهر يا محمد من عملك ، ما أظهرته وأعلنته (وَما يَخْفَى) يقول : وما يخفى منه فلم تظهره ، مما كتمته ، يقول : هو يعلم جميع أعمالك ، سرَّها وعلانيتها ؛ يقول : فاحذره أن يطلع عليك وأنت عامل فى حال من أحوالك بغير الذى أذن لك به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى ۝

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝﴾

يقول تعالى ذكره : ونسهلك يامحمد لعمل الخير وهو اليُسرَى ، واليُسرَى : هو الفُعلى من اليسر .

وقوله (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى) يقول تعالى ذكره : فذكّر عباد الله يامحمد عظمته ، وعظْهم ، وحذّرهم عقوبته (إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى) يقول : إن نفعت الذكرى الذين قد آيستك من إيمانهم ، فلا تنفعهم الذكرى . وقوله (فَذَكِّرْ) أمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بتذكير جميع الناس ، ثم قال : إن نفعت الذكرى هؤلاء الذين قد آيستك من إيمانهم .

وقوله (سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى) يقول جلّ ثناؤه : سيذّكّر يامحمد إذا ذكّرت الذين أمرتك بتذكيرهم من يخشى الله ، ويخاف عقابه (وَيَتَجَنَّبُهَا) يقول : ويتجنّب الذكرى (الْأَشْقَى) يعنى : أشقى الفريقين (الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى) وهم الذين لم تنفعهم الذكرى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ؛ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى) فاتقوا الله ، ما خشِي الله عبد قطّ إلا ذكره (وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى) فلا والله لايتنكّب عبد هذا الذكر زهدا فيه وبغضا لأهله ، إلا شقيّ بيّن الشقاء .

وقوله (الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى) يقول : الذى يرِد نار جهنم ، وهى النار الكبرى ، ويعنى بالكبرى لشدّة الحرّ والألم .

وقوله (ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا) يقول : ثم لايموت فى النار الكُبرى ولا يحيا ؛ وذلك أن نفس أحدهم تصير فيها فى حلقه ، فلا تخرج فتفارقه فيموت ، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا . وقيل : لايموت فيها فيستريح ، ولا يحيا حياة تنفعه .

وقال آخرون : قيل ذلك ، لأن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوع فى شدة شديدة ، قالوا : لاهو حيّ ، ولا هو ميت ، فخاطبهم الله بالذى جرى به ذلك من كلامهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝﴾

يقول تعالى ذكره : قد نجح وأدرك طلبته من تطهّر من الكفر ومعاصى الله ، وعمل بما أمره الله به ، فأدّى فرائضه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) يقول : من تزكَّى من الشرك .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، قال : ثنا هشام ، عن الحسن ، فى قوله (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) قال : من كان عمله زاكيا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) قال : يعمل وَرِعا .

حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عُمر العَدَنىّ ، عن الحكم ، عن عكرمة ، فى قوله (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) من قال : لاإله إلا الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قد أفلح من أدّى زكاة ماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن علىّ بن الأقمر ، عن أبى الأحوص (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) قال : من استطاع أن يرضَخَ فليفعل ، ثم ليقم فليصلّ .

حدثنا محمد بن عمارة الرازى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن علىّ بن الأقمر ، عن أبى الأحوص (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) قال : من رَضَخ[١] .

حدثنا محمد بن عمارة ، قال : ثنا عثمان بن سعيد بن مرّة ، قال : ثنا زهير ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، قال : إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة ، فليقدّم بين يدى صلاته زكاته ، فإن الله يقول : (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) فمن استطاع أن يقدّم بين يدى صلاته زكاةً فليفعل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) تزكى رجل من ماله ، وأرضى خالقه .

وقال آخرون : بل عنى بذلك زكاة الفطر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن أبى خلدة ، قال : دخلت على أبى العالية ، فقال لى : إذا غدَوت غدا إلى العيد فمرّ بى ، قال : فمررت به ، فقال : هل طَعِمت شيئا ؟ قلت : نعم ، قال : أَفَضْتَ على نفسك من الماء ؟ قلت : نعم ، قال : فأخبرنى ما فعلت بزكاتك ؟ قلت : قد وجّهتها ، قال : إنما أردتك لهذا ، ثم قرأ (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) وقال : إن أهل المدينة لايرَوْن صدقة أفضل منها ، ومن سِقاية الماء .

(١) يقال : رضخ له بشىء من ماله : إذا أعطاه شيئا يسيرا .

وقوله (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) فقال بعضهم : معنى ذلك : وحّد الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) يقول : وحّد الله سبحانه وتعالى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وذكر الله ودعاه ورغب إليه .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : وذكر الله فوحّده ، ودعاه ورغب إليه ، لأن كلّ ذلك من ذكر الله ، ولم يخصُص الله تعالى من ذكره نوعا دون نوع .

وقوله (فَصَلَّى) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : عُنِى به : فصلّى الصلوات الخمس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَصَلَّى) يقول : صلّى الصلوات الخمس .

وقال آخرون : عنى به : صلاة العيد يوم الفطر .

وقال آخرون : بل عُنِى به : وذكر اسم ربه فدعا ، وقالوا : الصلاة هاهنا : الدعاء .

والصواب من القول أن يقال : عُنِى بقوله (فَصَلَّى) : الصلوات ، وذكر الله فيها بالتحميد والتمجيد والدعاء .

وقوله (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) يقول للناس : بل تؤثرون أيها الناس زينة الحياة الدنيا على الآخرة (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَبْقَى) يقول : وزينة الآخرة خير لكم أيها الناس وأبقى بقاء ، لأن الحياة الدنيا فانية ، والآخرة باقية ، لا تنفَدُ ولا تفنى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) فاختار الناس العاجلة إلا من عصم الله . وقوله (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ) فى الخير (وَأَبْقَى) فى البقاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن عطاء ، عن عَرْفَجَة الثقفىّ ، قال : استقرأت ابن مسعود (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) ، فلما بلغ (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) ترك القراءة ، وأقبل على أصحابه ، وقال : آثرنا الدنيا على الآخرة ، فسكت القوم ، فقال : آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها ، وزُوِيت عنا الآخرة ، فاخترنا هذا العاجل ، وتركنا الآجل .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) فقرأ ذلك عامّة قرّاء الأمصار (بَلْ تُؤْثِرُونَ) بالتاء ، إلا أبا عمرو ، فإنه قرأه بالياء ، وقال : يعنى الأشقياء .

والذى لاأوثر عليه فى قراءة ذلك التاء ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . وذُكر أن ذلك فى قراءة أُبىّ : (بَلْ أَنْتُمْ تُؤْثِرُونَ) فذلك أيضا شاهد لصحة القراءة بالتاء .

وقوله (إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ) اختلف أهل التأويل فى الذى أشير إليه بقوله هذا ، فقال بعضهم : أُشير به إلى الآيات التى فى « سبح اسم ربك الأعلى » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ) يقول : الآيات التى فى سبح اسم ربك الأعلى .

وقال آخرون : قصة هذه السورة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ) قال : قصة هذه السورة لفى الصحف الأولى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن هذا الذى قصّ الله تعالى فى هذه السورة (لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ) قال : إن هذا الذى قصّ الله فى هذه السورة ، لفى الصحف الأولى (صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ)

وقال آخرون : بل عُنى بذلك أن قوله (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) فى الصحف الأولى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ) قال : تتابعت كتب الله كما تسمعون ، أن الآخرة خير وأبقى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ) قال : فى الصحف التى أنزلها الله على إبراهيم وموسى : أن الآخرة خير من الأولى .

☼ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : إن قوله (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ، بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) : لفى الصحف الأولى ، صحف إبراهيم خليل الرحمن ، وصحف موسى بن عمران .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصحة من غيره ، لأن هذا إشارة إلى حاضر ، فلأن يكون إشارة إلى ما قرب منها ، أولى من أن يكون إشارة إلى غيره . وأما الصحف : فإنها جمع صحيفة ، وإنما عُنى بها : كتب إبراهيم وموسى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى الخلد ، قال : نزلت صحف إبراهيم فى أوّل ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لستّ ليال خلون من رمضان ، وأنزل الزبور لاثنتى عشرة ليلة ، وأنزل الإنجيل لثمانى عشرة ، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين .

آخر تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى

(٨٨) سورة الغاشية مكية وآياتها ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (هَلْ أَتَاكَ) يامحمد (حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) يعنى : قصتها وخبرها .

واختلف أهل التأويل فى معنى الغاشية ، فقال بعضهم : هى القيامة تغشى الناس بالأهوال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (الْغَاشِيَةُ) من أسماء يوم القيامة ، عظّمه الله ، وحذّره عباده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) قال : الغاشية : الساعة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) قال : الساعة .

وقال آخرون : بل الغاشية : النار تغشّى وجوه الكفرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن سعيد ، فى قوله (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) قال : غاشية النار .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ

الْغاشِيَةِ) ولم يخبرنا أنه عنى غاشية القيامة،ولا أنه عنى غاشية النار ، وكلتاهما غاشية ، هذه تغشى الناس بالبلاء والأهوال والكروب ، وهذه تغشى الكفار باللفْح فى الوجوه ،والشُّواظ والنُّحاس، فلا قول فى ذلك أصحّ من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه : ويعمّ الخبر بذلك كما عمه .

وقوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ) يقول تعالى ذكره : وجوه يومئذ،وهى وجوه أهل الكفر به . خاشعة : يقول : ذليلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ) : أى ذليلة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (خاشِعَةٌ) قال : خاشعة فى النار .

وقوله (عامِلَةٌ) يعنى : عاملة فى النار . وقوله (ناصِبَةٌ) يقول : ناصبة فيها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ) فإنها تعمل وتَنْصَب فى النار .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، قال : سمعت الحسن ، قرأ (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ) قال : لم تعمل لله فى الدنيا ، فأعملها فى النار .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ) تكَـبَّرت فى الدنيا عن طاعة الله ، فأعملها وأنصبها فى النار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ) قال : عاملة ناصبة فى النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ) قال : لاأحد أنصَبُ ولا أشدّ من أهل النار .

وقوله (تَصْلَى نارًا حامِيَةً) يقول تعالى ذكره : ترد هذه الوجوه نارا حامية قد حَميت واشتدّ حرّها .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الكوفة (تَصْلَى) بفتح التاء، بمعنى : تَصْـلَى الوجوه . وقرأ ذلك أبوعمرو (تُصْلَى) بضم التاء اعتبارا بقوله (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) ، والقول فى ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) يقول : تُسْـقَى أصحاب هذه الوجوه من شَراب عين قد أَنَى حرّها، فبلغ غايته فى شدّة الحرّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) قال : هى التى قد أطال أنْيُها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) قال : أنَى طبخها منذ يوم خلق الله الدنيا .

حدثنى به يعقوب مرّة أخرى ، فقال : منذ يوم خلق الله السموات والأرض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) قال : قد بلغت إناها ، وحان شربها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) يقول : قد أنَى طبخها منذ خلق الله السموات والأرض .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) قال : من عين أنَى حرّها : يقول : قد بلغ حرّها .

وقال بعضهم : عُنِى بقوله (مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) من عين حاضرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) قال : آنية : حاضرة .

وقوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) يقول : ليس لهؤلاء الذين هم أصحاب الخاشعة العاملة الناصبة يوم القيامة ، طعام إلا ما يطعمونه من ضَرِيع . والضريع عند العرب : نبت يُقال له الشِّبْرِق ، وتسميه أهل الحجاز الضَّرِيع إذا يبس ، ويسميه غيرهم : الشِّبْرِق ، وهو سمّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : الضريع : الشِّبْرِق .

حدثنى محمد بن عُبيد المحاربىّ ، قال : ثنا عباد بن يعقوب الأسدىّ ، قال محمد : ثنا ، وقال عباد : أخبرنا محمد بن سليمان ، عن عبد الرحمن الأصبهانىّ ، عن عكرمة فى قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : الشِّبرق .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا إسماعيل بن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، قال : ثنى نجدة ، رجل من عبد القيس

عن عكرمة . فى قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : هى شجرة ذات شوك ، لاطئة بالأرض ، فإذا كان الربيع سمّتها قريش الشّبرق ، فإذا هاج العود سمّتها الضّريع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : الشبرق .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مِهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ضَرِيع) قال : الشّبرق اليابس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن قتادة (إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : هو الشبرق إذا يبس يسمى الضريع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) يقول : من شرّ الطعام ، وأبشعه وأخبثه .

حدثنى محمد بن عبيد ، قال : ثنا شريك بن عبد الله ، فى قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : الشّبرق .

وقال آخرون : الضّريع : الحجارة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : الحجارة .

وقال آخرون : الضّريع : شجر من نار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) يقول : شجر من نار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : الضريع : الشّوك من النار . قال : وأما فى الدنيا فإن الضريع : الشوك اليابس الذى ليس له ورق ، تدعوه العرب الضريع ، وهو فى الآخرة شوك من نار .

وقوله (لاَيُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِى مِنْ جُوعٍ) يقول : لايُسمن هذا الضريع يوم القيامة أَكَلَتَه من أهل النار ، ولا يُغنى من جوع : يقول : ولا يُشْبِعهم من جوع يصيبهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾

فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ) يعنى : يوم القيامة (نَاعِمَةٌ) يقول : هى ناعمة بتنعيم الله أهلها فى جناته . وهم أهل الإيمان بالله .

وقوله (لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ) يقول : لعملها الذى عملت فى الدنيا من طاعة ربها راضية . وقيل : (لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ) والمعنى : لثواب سعيها فى الآخرة راضية .

وقوله (فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) وهى بستان . عالية : يعنى رفيعة .

وقوله (لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً) يقول : لاتسمع هذه الوجوه ، المعنى لأهلها فيها فى الجنة العالية لاغية : يعنى باللاغية : كلمة لغو . واللغو : الباطل ، فقيل للكلمة التى هى لغو لاغية ، كما قيل لصاحب الدرع : دارع ؛ ولصاحب الفرس : فارس ، ولقائل الشعر شاعر ؛ وكما قال الحطيئة :

أَغَرَرْتَنِى وَزَعَمْتَ أَنَّـ ... ـكَ لَابِنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرْ[1]

يعنى : صاحب لبن ، وصاحب تمر . وزعم بعض الكوفيين أن معنى ذلك : لاتسمع فيها حالفة على الكذب ولذلك قيل لاغية ، ولهذا الذى قاله مذهب ووجه ، لولا أن أهل التأويل من الصحابة والتابعين على خلافه ، وغير جائز لأحد خلافهم فيما كانوا عليه مجمعين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً) يقول : لاتسمع أذًى ولا باطلا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً) قال : شتما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً) : لاتسمع فيها باطلا ، ولا شاتما .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن قتادة ، مثله .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض قرّاء المدينة وهو أبو جعفر (لَا تَسْمَعُ) بفتح التاء ، بمعنى : لاتسمع الوجوهُ . وقرأ ذلك ابن كثير ونافع وأبوعمرو (لَا تُسْمَعُ) بضم التاء ، بمعنى ما لم يسمّ فاعله ؛ ويؤنّث تسمع ، لتأنيث لاغية . وقرأ ابن محيصن بالضم أيضا ، غير أنه كان يقرؤها بالياء ، على وجه التذكير .

(١) البيت للحطيئة . وقد سبق استشهاد المؤلف به فى الجزأين (٢٣ : ١٩ ، ٢٧ : ٢٣) فارجع إليهما .

والصواب من القول فى ذلك عندى ، أن كلّ ذلك قراءات معروفات صحيحات المعانى ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ) يقول : فى الجنة العالية عين جارية فى غير أُخدود .

وقوله (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) والسرر : جمع سرير ، مرفوعة ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ماخوّله ربه من النعيم والملك فيها ، ويلحق جميع ذلك بصره .

وقيل : عُنى بقوله مرفوعة : موضونة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) يعنى : موضونة ، كقوله : سُرر مصفوفة ، بعضها فوق بعض .

وقوله (وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ) وهى جمع كوب ، وهى الأباريق التى لا آذان لها . وقد بيّنا ذلك فيما مضى ، وذكرنا ما فيه من الرواية ، بما أغنى عن إعادته . وعُنِى بقوله (مَوْضُوعَةٌ) : أنها موضوعة على حافة العين الجارية ، كلما أرادوا الشرب ، وجدوها ملأى من الشراب .

وقوله (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ) يعنى بالنمارق : الوسائد والمرافق ؛ والنمارق : واحدها نُمْرُقة ، بضم النون . وقد حُكى عن بعض كلب سماعا نِمْرِقة ، بكسر النون والراء . وقيل : مصفوفة لأن بعضها بجنب بعض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ) يقول : المرافق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ) يعنى بالنمّارق : المجالس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ) والنمارق : الوسائد .

وقوله (وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ) يقول تعالى ذكره : وفيها طنافس وبُسط كثيرة مبثوثة مفروشة ، والواحدة : زِرْبية ، وهى الطّنفسة التى لها خمل رقيق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن سفيان ، قال : ثنا توبة العنبرىّ ، عن عكرمة بن خالد ، عن عبد الله بن عمار ، قال : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يصلّى على عبقرىّ ، وهو الزرابىّ .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ) : المبسوطة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره لمُنكرى قدرته على ماوصف فى هذه السورة ،من العقاب والنكال الذى أعدّه لأهل عداوته ، والنعيم والكرامة التى أعدّها لأهل ولايته ، أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قُدرة الله على هذه الأمور ، إلى الإبل كيف خلَقها ،وسخرها لهم وذلّلها ،وجعلها تحمل حملها باركة ، ثم تنهض به ، والذى خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ماوصف من هذه الأمور فى الجنة والنار . يقول جلّ ثناؤه : أفلا ينظرون إلى الإبل ، فيعتبرون بها ، ويعلمون أن القُدرة التى قدَر بها على خلقها ، لن يُعجزه خلق ما شابهها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما نعت الله ما فى الجنة ، عَجِبَ من ذلك أهل الضلالة ، فأنزل الله (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) فكانت الإبل من عيش العرب ومن خوَلهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شُعبة ، عن أبى إسحاق ،عمن سمع شريحا يقول : اخرجوا بنا ننظر إلى الإبل كيف خُلقت .

وقوله (وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ) يقول جلّ ثناؤه : أفلا ينظرون أيضا إلى السماء كيف رفعها الذى أخبركم أنه مُعِدٌّ لأوليائه ما وصف ، ولأعدائه ما ذكر ، فيعلموا أن قُدرته القدرة التى لايُعجزه فعل شىء أراد فعله .

وقوله (وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ) يقول : وإلى الجبال كيف أقيمت منتصبة لاتسقط ، فتنبسط فى الأرض ، ولكنها جعلها بقدرته منتصبة جامدة ، لاتبرح مكانها ، ولا تزول عن موضعها .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ) تصاعد إلى الجبل الصَّيخود عامة يومك ، فإذا أفضيت إلى أعلاه ، أفضيت إلى عيون متفجرة ، وثمار متهدلة ثم لم تحرثه الأيدى ولم تعمله ، نعمة من الله ، وبُلغة الأجل .

وقوله (وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) يقول : وإلى الأرض كيف بُسطت ، يقال : جبل مُسطَّح : إذا كان فى أعلاه استواء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) : أى بُسطت ، يقول : أليس الذى خلق هذا بقادر على أن يخلق ما أراد فى الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۝ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَذَكِّرْ) يا محمد عبادى بآياتى ، وعظهم بحججى ، وبلِّغهم رسالتى (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ) يقول : إنما أرسلتك إليهم مذكرا ، لتذكرهم نعمتى عندهم ، وتعرّفهم اللازم لهم ، وتعظهم .

وقوله (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) يقول : لست عليهم بمسلَّط ، ولا أنت بجبار ، تحملهم على ماتريد . يقول : كِلهم إلىّ ، ودعهم وحكمى فيهم ؛ يقال : قد تسيطر فلان على قومه : إذا تسلط عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) يقول : لست عليهم بجبار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) : أى كل إلىّ عبادى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِمُسَيْطِرٍ) قال : جبار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) قال : لست عليهم بمسلط أن تُكرههم على الإيمان ، قال : ثم جاء بعد هذا (جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) وقال (اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) وارصدوهم لايخرجوا فى البِلادِ (فإنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ ، وآتَوُا الزَّكاةَ ، فخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ، إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قال : فنسخت (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) قال : جاء اقتله أو يُسْلِمَ ؛ قال : والتذكرة كما هى لم تنسخ . وقرأ (وَذَكِّرْ فإنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حَتى يَقُولُوا : لاإلَهَ إلاَّ اللهُ ،

فإذَا قالُوا : لاإلَهَ إلاَّ اللهُ ، عَصَمُوا مِنِّى دِماءَهُمْ وأمْوَالَهُمْ ، إلاَّ بِحَقِّها ، وحِسابُهُمْ على اللهِ » ثم قرأ (إنَّمَا أنْتَ مُذَكِّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي الزبير محمد بن مسلم ، قال : سمعت جابر ابن عبد الله ، يقول : سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول ، فذكر مثله ، إلا أنه قال : قال أبو الزّبير : ثم قرأ (إنَّمَا أنْتَ مُذَكِّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) .

حدثنا يوسف بن موسى القطان ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي الزّبير ، عن جابر : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .

وقوله (إلاَّ مَنْ تَوَلَّى وكَفَرَ) يتوجّه لوجهين : أحدهما : فذكّر قومك يامحمد ، إلا من تولّى منهم عنك ، وأعرض عن آيات الله فكفر ، فيكون قوله « إلا » استثناء من الذين كان التذكير عليهم . وإن لم يذكروا ، كما يقال : مضى فلان ، فدعا إلا من لاتُرْجَى إجابته ، بمعنى : فدعا الناس إلا من لاتُرْجَى إجابته . والوجه الثانى : أن يجعل قوله (إلاَّ مَنْ تَوَلَّى وكَفَرَ) منقطعا عما قبله ، فيكون معنى الكلام حينئذ لست عليهم بمسيطر ، إلا من تولى وكفر ، يعذّبه الله ، وكذلك الاستثناء المنقطع يمتحن بأن يحسن معه إن ، فإذا حسنت معه كان منقطعا ، وإذا لم تحسن كان استثناء متصلا صحيحا . كقول القائل : سار القوم إلا زيدا ، ولا يصلح دخول إن هاهنا لأنه استثناء صحيح .

وقوله (فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الأكْبَرَ) : هو عذاب جهنم ، يقول : فيعذّبه الله العذاب الأكبر على كفره فى الدنيا ، وعذاب جهنم فى الآخرة .

وقوله (إنَّ إلَيْنا إيابَهُمْ) يقول: إن إلينا رجوع من كفر ومعادهم (ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ) يقول: ثم إن على الله حسابه، وهو يجازيه بما سلف منه من معصية ربه، يُعْلِمُ بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه المتولى عقوبته دونه ، وهو المجازى والمعاقِب ، وأنه الذى إليه التذكير وتبليغ الرسالة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلاَّ مَنْ تَوَلَّى وكَفَرَ) قال : حسابه على الله .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ إلَيْنا إيابَهُمْ ، ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ) يقول : إن إلى الله الإياب ، وعليه الحساب .

آخر تفسير سورة الغاشية

(٨٩) سورة الفجر مكية
وآياتها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝ ﴾

هذا قسم أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالفجر ، وهو فجر الصبح .

واختلف أهل التأويل فى الذى عُنِى بذلك ، فقال بعضهم : عُنِى به النهار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأغرّ المِنقرىّ ، عن خليفة بن الحصين ، عن أبى نصر ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْفَجْرِ) قال : النهار .

وقال آخرون : عُنِى به صلاة الصبح .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والْفَجْرِ) يعنى : صلاة الفجر .

وقال آخرون : هو فجر الصبح .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا عاصم الأحول ، عن عكرِمة ، فى قوله : (والْفَجْرِ) قال : الفجر : فجر الصبح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمر بن قيس ، عن محمد بن المرتفع ، عن عبد الله بن الزبير أنه قال : (والْفَجْرِ) قال : الفجر : قسم أقسم الله به .

وقوله (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) اختلف أهل التأويل فى هذه الليالى العشر أىّ ليال هى؟ فقال بعضهم : هى ليالى عشر ذى الحجة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، وعبد الوهاب ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن زرارة ، عن ابن عباس ، قال : إن الليالىَ العشر التى أقسم الله بها ، هى ليالى العشر الأول من ذى الحجة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) : عشر الأضحى ؛ قال : ويقال : العشر : أولَ السنة من المحرم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وَهب ، قال : أخبرني عمر بن قيس ، عن محمد بن المرتفع ، عن عبد الله بن الزّبير (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) : أوّل ذى الحجة إلى يوم النحر .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا عوف ، قال : ثنا زرارة بن أوفى ، قال : قال ابن عباس : إن الليالى العشر اللاتى أقسم الله بهنّ : هن الليالى الأُوَل من ذى الحجة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) قال : عشر ذى الحجة ، وهى التى وعد الله موسى صلى الله عليه وسلم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا عاصم الأحول ، عن عكرمة (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) قال : عشر ذى الحجة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأغرّ المنقرىّ ، عن خليفة بن حصين ، عن أبي نصر ، عن ابن عباس (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) قال : عشر الأضحى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) قال : عشر ذى الحجة.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) قال : كنا نحدّث أنها عشر الأضحى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثَور ، عن معمر ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، قال : ليس عمل فى ليال من ليالى السنة أفضل منه فى ليالى العشر ، وهى عشر موسى التى أتمّها الله له .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق ، قال : ليال العشر ، قال : هى أفضل أيام السنة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) يعنى : عشر الأضحى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) قال : أوّل ذي الحجة ؛ وقال : هى عشر المحرّم من أوّله .

۞ والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنها عشر الأضحى ، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه ، وأن عبد الله بن أبي زياد القَطْوانىّ ، حدثنى قال : ثنى زيد بن حباب ، قال : أخبرنى عياش بن عقبة ، قال : ثنى جُبير بن نعيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وَالفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ، قال : عَشْرُ الأَضْحَى » .

وقوله (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ، وَاللَّيْلِ إذَا يَسْرِ ، هَلْ فِى ذلكَ قَسَمٌ) اختلف أهل التأويل فى الذى عُنِى به من الوتر بقوله (وَالْوَتْرِ) فقال بعضهم : الشفع : يوم النحر ، والوتر : يوم عرفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ وعبد الوهاب ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن زُرارة بن أوفى ، عن ابن عباس ، قال : الوتر : يوم عرفة ، والشفع : يوم الذبح .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُليّة ، قال : أخبرنا عوف ، قال : ثنا زرارة بن أوفى ، قال : قال ابن عباس : الشفع : يوم النحر ، والوَتر : يوم عرفة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، قال : قال عكرِمة ، عن ابن عباس : الشفع : يوم النحر ، والوَتر : يوم عرفة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، عن عكرِمة (والشَّفْعِ والْوَتْرِ) قال : الشفع : يوم النحر ، والوتر : يوم عرفة .

وحدثنا به مرّة أخرى ، فقال : الشفع : أيام النحر . وسائر الحديث مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُليّة ، قال : أخبرنا عاصم الأحول ، عن عكرِمة في قوله (والشَّفْعِ) قال : يوم النحر (والْوَتْرِ) قال : يوم عرفة .

حدثنا ابن حُميد ، قال : مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرِمة ، قال : الشفع : يوم النحر ، والوتر : يوم عرفة .

قال : ثنا مهران ، عن أبي سنان ، عن الضحاك (وَلَيالٍ عَشْرٍ ، والشَّفْعِ والْوَتْرِ) قال : أقسم الله بهن لما يعلم من فضلهن على سائر الأيام ، وخير هذين اليومين لما يُعلَم من فضلهما على سائر هذه الليالي . (والشَّفْعِ والْوَتْرِ) قال : الشفع : يوم النحر ، والوَتر : يوم عرفة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان عكرِمة يقول : الشفع : يوم الأضحى ، والوتر : يوم عرفة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال عكرِمة : عرفة وَتْر ، والنحر شفع ، عرفة يوم التاسع ، والنحر يوم العاشر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَالشَّفْعِ) يوم النحر (والْوَتْرِ) يوم عرفة .

وقال آخرون : الشفع : اليومان بعد يوم النحر ، والوَتر : اليوم الثالث .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (والشَّفْعِ والْوَتْرِ) قال : الشفع : يومان بعد يوم النحر ، والوتر : يوم النَّفْر الآخِر ، يقول الله : (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ) .

وقال آخرون : الشفع : الخلق كله ، والوتر : الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : الله وتر وأنتم شفع ، ويقال الشفع صلاة الغداة ، والوتر صلاة المغرب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : كلّ خلق الله شفع ، السماء والأرض ، والبرّ والبحر ، والجنّ والإنس ، والشمس والقمر ، والله الوتر وحده .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا ابن جُريج ، قال : قال مجاهد ، في قوله (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) قال : الكفر والإيمان ، والسعادة والشقاوة ، والهدى والضلالة ، والليل والنهار ، والسماء والأرض ، والجنّ والإنس ، والوَتْر : الله ؛ قال : وقال في الشفع والوتر مثل ذلك .

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : خلق الله من كلّ شيء زوجين ، والله وَتْر واحد صَمَد .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : الشفع : الزوج ، والوتر : الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : الوتر : الله ، وما خلق الله من شيء فهو شفع .

وقال آخرون : عُنِي بذلك الخلق ، وذلك أن الخلق كله شفع ووتر .

قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : الخلق كله شفع ووتر ، وأقسم بالخلق .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن في ذلك : الخلق كله شفع (والشَّفْعِ والْوَتْرِ) قال : كان أبي يقول : كلّ شيء خلق الله شفع ووتر ، فأقسم بما خلق ، وأقسم بما تبصرون وبما لاتبصرون.

وقال آخرون : بل ذلك : الصلاة المكتوبة ، منها الشفع كصلاة الفجر والظهر ، ومنها الوتر كصلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان عمران بن حصين يقول : (الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) : الصلاة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال عمران : هي الصلاة المكتوبة فيها الشفع والوتر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : ذلك صلاة المغرب ، الشفع : الركعتان ، والوتر : الركعة الثالثة ، وقد رفع حديث عمران بن حُصين بعضهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن عليّ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن عمران بن حصين ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى الشفع والوتر ، قال : « هِيَ الصَّلاةُ مِنْها شَفْعٌ ، وَمِنْها وَتْرٌ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، أنه سُئل عن الشفع والوتر ، فقال : أخبرنى عمران بن عصام الضُّبَعى ، عن شيخ من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « هِيَ الصَّلاةُ مِنْها شَفْعٌ ، وَمِنْها وَتْرٌ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا همام بن يحيى ، عن عمران بن عصام ، عن شيخ من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : هِيَ الصَّلاةِ مِنْها شَفْعٌ ، وَمِنْها وَتْرٌ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) إن من الصلاة شفعا ، وإن منها وترا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، أنه سُئل عن الشفع والوتر ، فقال : قال الحسن : هو العدد . ورُوى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم خبر يؤيد القول الذى ذكرنا عن أبى الزُّبير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن أبى زياد القَطَوَانىّ ، قال : ثنا زيد بن حُباب ، قال : أخبرنى عيّاش بن عقبة ، قال : ثنى جبير بن نعيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الشَّفْعُ : الْيَوْمانِ ، والْوَتْرُ : الْيَوْمُ الْواحِدُ » .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر ، ولم يخصص نوعا من الشفع ولا من الوتر دون نوع بخبر ولا عقل ، وكلّ شفع ووتر فهو مما أقسم به ، مما قال أهل التأويل إنه داخل فى قسمه هذا ، لعموم قسمه بذلك .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَالْوَتْرِ) فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة بكسر الواو .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان مستفيضتان معروفتان فى قَرَأَة الأمصار ، ولغتان مشهورتان فى العرب ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) يقول : والليل إذا سار فذهب ، يقال منه : سرى فلان ليلا يَسْرِى : إذا سار .

وقال بعضهم : عُنِى بقوله (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) ليلة جَمْع ، وهى ليلة المزدلفة

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمر بن قيس ، عن محمد بن المرتفع ، عن عبد الله بن الزبير (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) حتى يُذْهِب بعضه بعضا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) يقول : إذا ذهب .

حدثنى محمد بن عُمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) قال : إذا سار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) قال : والليل إذا سار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) يقول : إذا سار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) قال : إذا سار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) قال : الليل إذا يسير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرمة (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) قال : ليلة جمع .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الشام والعراق (يَسْرِ) بغير ياء . وقرأ ذلك جماعة من القرّاء بإثبات الياء ، وحذف الياء فى ذلك أعجب إلينا ، ليوفق بين رءوس الآى إذ كانت بالراء . والعرب ربما أسقطت الياء فى موضع الرفع مثل هذا ، اكتفاء بكسرة ما قبلها منها ، من ذلك قول الشاعر :

لَيْسَ تَخْفَى يَسارَتِى قَدْرَ يَوْمٍ وَلَقَدْ تُخْفِ شِيمَتِى إعْسارِى[1]

وقوله (هَلْ فِى ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) يقول تعالى ذكره : هل فيما أقسمت به من هذه الأمور مَقْنع لذى حِجر . وإنما عُنِى بذلك : إن فى هذا القسم مكتفًى لمن عقل عن ربه ، مما هو أغلظ منه فى الأقسام. فأما معنى قوله (لِذِى حِجْرٍ) : فإنه لذى حِجًى وذى عقل ؛ يقال للرجل إذا كان مالكا نفسه قاهرا لها ضابطا : إنه لذو حَجْر ، ومنه قولهم : حَجَر الحاكم على فلان .

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (٣٦٥) قال : وقوله : « والليل إذا يسر » : ذكروا أنها ليلة المزدلفة . وقد قرأ القراء « يسرى » بإثبات الياء ، و « يسر » بحذفها . وحذفها أحب إلى ، لمشاكلتها رءوس الآيات ، ولأن العرب قد تحذف الياء وتكتفى بكسر ما قبلها ، أنشدنى بعضهم :

كَفَّاكَ : كَفٌّ ما تُلِيقُ دِرْهمًا جُودًا ، وأُخرَى تُعْطِ بالسَّيْفِ الدَّما

وأنشدنى آخر : « ليس تخفى يسارتى . . . البيت » .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا قابوس بن أبى ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى النُّهَى والعقل .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (لِذِى حِجْرٍ) قال : لأولى النُّهَى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (هَلْ فِى ذلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : ذو الحِجْر والنُّهى والعقل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قابوس بن أبى ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس (قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى عقل ، لذى نُهًى .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأغرّ المِنقرىّ ، عن خليفة بن الحصين ، عن أبى نصر ، عن ابن عباس (قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى لُبّ ، لذى حِجًى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَلْ فِى ذلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى عقل .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : لذى عقل ؛ لذى رأى .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (هَلْ فِى ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى لبّ ، أو نُهًى .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن هلال بن خبّاب ، عن مجاهد ، فى قوله (قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى عقل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (هَلْ فِى ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى حِلْم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى حِجًى ؛ وقال الحسن : لذى لُبّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (هَلْ فِى ذلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) لذى حِجًى ، لذى عقل ولُبّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَلْ فِى ذلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى عقل ، وقرأ (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) ولأولى الألباب ، وهم الذين عاتبهم الله ، وقال : العقل واللُّبّ واحد ، إلا أنه يفترق فى كلام العرب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ ﴾

وقوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إِرَمَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر يا محمد بعين قلبك ، فترى كيف فعل ربك بعاد ؟

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (إِرَمَ) فقال بعضهم : هي اسم بلدة . ثم اختلف الذين قالوا ذلك في البلدة التي عُنِيت بذلك ، فقال بعضهم : عُنِيت به الإسكندرية .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري ، عن أبي صخر ، عن القُرَظي ، أنه سمعه يقول : (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمادِ) الإسكندرية .

قال أبو جعفر ، وقال آخرون : هي دِمَشْق .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله الهلاليّ من أهل البصرة ، قال : ثنا عُبيد الله بن عبد المجيد . قال : ثنا ابن أبي ذئب ، عن المقبُري (بِعادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمادِ) قال : دمشق .

وقال آخرون : عُنِي بقوله (إِرَمَ) : أمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد قوله (إِرَمَ) قال : أمة .

وقال آخرون : معنى ذلك : القديمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِرَمَ) قال : القديمة .

وقال آخرون : تلك قبيلة من عاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمادِ) قال : كنا نحدّث أن إرم قبيلة من عاد ، بيت مملكة عاد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (إِرَمَ) قال : قبيلة من عاد ، كان يقال لهم : إرم ، جدّ عاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إِرَمَ) يقول الله : بعاد إرم ، إن عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح .

وقال آخرون (إِرَمَ) : الهالك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إِرَمَ) يعني بالإرم : الهالك ؛ [1] ألا ترى أنك تقول : أرم بنو فلان .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (بِعادٍ إِرَمَ) الهلاك ؛ ألا ترى أنك تقول : أُرِمَ بنو فلان : أي هلكوا .

❊ والصواب من القول في ذلكَ : أن يُقال : إن إرم إما بلدة كانت عاد تسكنها ، فلذلك ردّت على عاد للإتباع لها ، ولم يُجْرَ من أجل ذلك ، وإما اسم قبيلة فلم يُجْرَ أيضا ، كما لا يُجْرَى أسماء القبائل ، كتميم وبكر ، وما أشبه ذلك إذا أرادوا به القبيلة . وأما اسم عاد فلم يجر ، إذ كان أسما أعجميا .

فأما ما ذُكر عن مجاهد، أنه قال : عُني بذلك القديمة ، فقول لامعنى له ، لأن ذلك لو كان معناه لكان مخفوضا بالتنوين ، وفي ترك الإجراء الدليل على أنه ليس بنعت ولا صفة .

وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي : أنها اسم قبيلة من عاد، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها ، وترك إجرائها ، كما يقال : ألم تر ما فعل ربك بتميم نهشل ؟ فيترك إجراء نهشل ، وهي قبيلة ، فترك إجراؤها لذلك ، وهي في موضع خفض بالردّ على تميم ، ولو كانت إرم اسم بلدة أو اسْم جدّ لعاد لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها ، كما يقال : هذا عمرُو زبيدٍ وحاتمُ طيئٍ وأعشى همْدانَ ، ولكنها اسم قبيلة منها ، فيما أرى ، كما قال قتادة ، والله أعلم ، فلذلك أجمعت القرّاء فيها على ترك الإضافة ، وترك الإجراء .

وقوله (ذَاتِ الْعِمادِ) اختلف أهل التأويل في معنى قوله (ذَاتِ الْعِمادِ) في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : ذات الطول ، وذهبوا في ذلك إلى قول العرب للرجل الطويل : رجل مُعَمَّد ، وقالوا : كانوا طوال الأجسام .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ذَاتِ الْعِمادِ) يعني : طولهم مثل العماد .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد قوله (ذَاتِ الْعِمادِ) قال : كان لهم جسم في السماء .

(١) في (اللسان : أرم) : الأرم : القطع ، وأرمتهم السنة أرما : قطعتهم ، وبناء عليه يكون الفعل الذي عبر به المؤلف هنا مبنيا للمجهول . أي أبادهم الدهر .

وقال بعضهم : بل قيل لهم (ذَاتِ الْعِمادِ) لأنهم كانوا أهل عَمَد ، ينتجعون الغيوث ، وينتقلون إلى الكلإ حيث كان ، ثم يرجعون إلى منازلهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الْعِمادِ) قال : أهل عَمود لا يقيمون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَاتِ الْعِمادِ) قال : ذُكر لنا أنهم كانوا أهل عَمود لا يقيمون ، سيارة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذَاتِ الْعِمادِ) قال : كانوا أهل عَمود .

وقال آخرون : بل قيل ذلك لهم لبناء بناه بعضهم ، فشيَّد عَمَده ، ورفع بناءه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمادِ) قال : عاد قوم هود ، بنَوها وعملوها حين كانوا في الأحقاف ، قال (لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها) مثل تلك الأعمال في البلاد . قال : وكذلك في الأحقاف في حضرموت ، ثم كانت عاد ؛ قال : وثَمّ أحقاف الرمل كما قال الله بالأحقاف من الرمل ، رمال أمثال الجبال ، تكون مظلة مجوّفة .

وقال آخرون : قيل ذلك لهم لشدّة أبدانهم وقواهم .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (ذَاتِ الْعِمادِ) يعني : الشدّة والقوّة .

وأشبه الأقوال في ذلك بما دلّ عليه ظاهر التنزيل : قول من قال : عُني بذلك أنهم كانوا أهل عمود سيارة ، لأن المعروف في كلام العرب من العماد ، ما عُمد به الخيام من الخشب ، والسوارى التي يحمل عليها البناء ، ولا يعلم بناء كان لهم بالعماد بخبر صحيح ، بل وجّه أهل التأويل قوله (ذَاتِ الْعِمادِ) إلى أنه عُني به طول أجسامهم ، وبعضهم إلى أنه عُني به عماد خيامهم ، فأما عماد البنيان ، فلا يعلم كثير أحد من أهل التأويل وجهه إليه ، وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه ، ما وُجد إلى ذلك سبيل ، دون الأنكر .

وقوله (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ) يقول جلّ ثناؤه : ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم التي لم يخلق مثلها في البلاد ، يعني : مثل عاد ، والهاء عائدة على عاد . وجائز أن تكون عائدة على إرم ، لما قد بيّنا قبلُ أنها قبيلة . وإنما عُني بقوله : لم يُخلق مثلها في العِظَم والبطش والأيد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ) : ذكر أنهم كانوا اثني عشر ذراعا طولا في السماء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ذات العماد التي لم يُخلق مثلها في البلاد ، لم يخلق مثل الأعمدة في البلاد ، وقالوا : التي لم يخلق مثلها من صفة ذات العماد ، والهاء التي في مثلها إنما هي من ذكر ذات العماد.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ، فذكر نحوه . وهذا قول لاوجه له ؛ لأن العماد واحد مذكر ، والتي للأنثى ، ولا يوصف المذكر بالتي ، ولو كان ذلك من صفة العماد لقيل :الذي لم يخلق مثله في البلاد ، وإن جعلت التي لإرم ، وجعلت الهاء عائدة في قوله (مِثْلُها) عليها ؛ وقيل : هي دمشق أو إسكندرية ، فإن بلاد عاد هي التي وصفها الله في كتابه فقال : (وَاذْكُرْ أخا عَادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأحْقافِ) والأحقاف : هي جمع حِقْف ، وهو ما انعطف من الرمل والحنى ، وليست الإسكندرية ولا دمشق من بلاد الرمال . بل ذلك الشِّحْر من بلاد حضرموت ، وما والاها .

وقوله (وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) يقول: وبثمود الذى خرقوا الصخر ودخلوه ، فاتخذوه بيوتا . كما قال جلّ ثناؤه (وكانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا آمِنِينَ) والعرب تقول : جاب فلان الفلاة يجوبها جوبا : إذا دخلها وقطعها ؛ ومنه قول نابغة :

أتاكَ أبُولَيْلَى يجُوبُ بِهِ الدُّجَى ... دُجَى اللَّيلِ جَوَّابُ الفَلاةِ عَمِيمُ[1]

يعنى بقوله : يجوب : يدخل ويقطع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) يقول: فخرقوها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبىّ ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) يعنى : ثمود قوم صالح ، كانوا ينحتون من الجبال بيوتا .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد فى قوله (الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) قال : جابو الجبال ، فجعلوها بيوتا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) : جابوها ونحتوها بيوتا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : (جابُوا الصَّخْرَ) قال : نقبوا الصخر .

(١) البيت لابى ليلى النابغة الجعدى . وفى (اللسان : جوب) : وجاب الشيء جوبا واجتابه : خرقه ، وجاب الصخرة جوبا : نقبها . وفى التنزيل العزيز : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » : قال الفراء : جابوا : خرقوا الصخر فاتخذوه بيوتا . ونحو ذلك قال الزجاج ، واعتبره بقوله : « وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين » . وجاب يجوب جوبا : قطع وخرق . اهـ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (جابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) يقول : قَدُّوا الحجارة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) : ضربوا البيوت والمساكن فى الصخر فى الجبال ، حتى جعلوا فيها مساكن ، جابوا : جوّبوها ، تجوّبوا البيوت فى الجبال ؛ قال قائل :

ألا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللهَ بائِدٌ كَمَا بادَ حَيٌّ مِنْ شَنِيقٍ وَمارِدِ
هُمُ ضَرَبُوا فِي كُلِّ صَلاَّءَ صَعْدَةٍ بِأيْدٍ شِدَادٍ أَيِّدَاتِ السَّوَاعِدِ [1]

وقوله (وَفِرْعَوْنَ ذِى الأوْتادِ) يقول جلّ ثناؤه : ألم تر كيف فعل ربك أيضا بفرعون صاحب الأوتاد .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (ذِى الأوْتادِ) ولم قيل له ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ذى الجنود الذين يقوّون له أمره ، وقالوا : الأوتاد فى هذا الموضع : الجنود .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَفِرْعَوْنَ ذِى الأوْتادِ) قال : الأوتاد : الجنود الذين يشدّون له أمره ، ويقال : كان فرعون يُوتِد فى أيديهم وأرجلهم أوتادا من حديد ، يعلقهم بها .

وقال آخرون : بل قيل له ذلك لأنه كان يُوتِد الناس بالأتاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ذِى الأوْتادِ) قال : كان يوتد الناس بالأوتاد

وقال آخرون : كانت مظال وملاعب يلعب له تحتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفِرْعَوْنَ ذِى الأوْتادِ) ذُكر لنا أنها كانت مظال وملاعب يلعب له تحتها ، من أوتاد وحبال .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذِى الأوْتادِ) قال : ذى البناء كانت مظال يلعب له تحتها ، وأوتادا تضرب له .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ثابت البُنَانى ، عن أبى رافع ، قال : أوتد فرعون لامرأته أربعة أوتاد ، ثم جعل على ظهرها رحا عظيمة حتى ماتت .

وقال آخرون : بل ذلك لأنه كان يعذّب الناس بالأوتاد .

---

(١) هذان البيتان لا أعرف قائلهما ، ولست على ثقة من بعض ألفاظهما ، ولعل قوله : «صلاء صعدة» : محرف عن «صعداء صلة» : والصعداء : الأكمة يصعب ارتقاؤها . والصلة : الأرض اليابسة ، جمعها : صلال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن محمود ، عن سعيد بن جُبير (وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ) قال : كان يجعل رجلا هاهنا ، ورجلا هاهنا ، ويدا هاهنا ، ويدا هاهنا بالأوتاد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ذِي الأَوْتَادِ) قال : كان يُوتد الناس بالأوتاد.

وقال آخرون : إنما قيل ذلك لأنه كان له بنيان يعذّب الناس عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن سعيد بن جُبير (وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ) قال : كان له منارات يعذّبهم عليها .

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب ، قول من قال : عُني بذلك : الأوتاد التي تُوتَد ، من خشب كانت أو حديد ، لأن ذلك هو المعروف من معاني الأوتاد ، ووصف بذلك ؛ لأنه إما أن يكون كان يعذّب الناس بها ، كما قال أبو رافع وسعيد بن جُبير ، وإما أن يكون كان يُلْعب له بها .

وقوله (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ) يعني بقوله جلّ ثناؤه : الذين : عادا وثمود وفرعون وجنده . ويعني بقوله (طَغَوْا) : تجاوزوا ما أباحه لهم ربهم ، وعتوا على ربهم إلى ماحظره عليهم من الكفر به وقوله (فِي الْبِلَادِ) : التي كانوا فيها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : فأكثروا في البلاد المعاصي ، وركوب ما حرّم الله عليهم (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ) يقول تعالى ذكره : فأنزل بهم يامحمد ربك عذابه ، وأحلّ بهم نقمته ، بما أفسدوا في البلاد ، وطغوا على الله فيها . وقيل : فصبّ عليهم ربك سَوط عذاب . وإنما كانت نِقَما تنزل بهم ، إما ريحا تُدمّرهم ، وإما رَجفا يُدمّدم عليهم ، وإما غَرَقا يُهلكهم ، من غير ضرب بسوط ولا عصا ، لأنه كان من أليم عذاب القوم الذين خوطبوا بهذا القرآن ، الجلد بالسياط ، فكثر استعمال القوم الخبر عن شدّة العذاب الذي يعذّب به الرجل منهم ، أن يقولوا : ضُرب فلان حتى بالسِّياط ، إلى أن صار ذلك مثلا ، فاستعملوه في كلّ معذّب بنوع من العذاب شديد ، وقالوا : صبّ عليه سَوط عذاب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سَوْطَ عَذَابٍ) قال : ماعذّبوا به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ) قال : العذاب الذى عذّبهم به سماه : سوط عذاب .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربك يامحمد لهؤلاء الذين قصصت عليك قصصهم ، ولضربائهم من أهل الكفر به ، لبالمرصاد يرصدهم بأعمالهم فى الدنيا وفى الآخرة ، على قناطر جهنم ، ليكردسهم فيها إذا وردوها يوم القيامة .

واختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى قوله (لَبِالْمِرْصَادِ) بحيث يرى ويسمع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) يقول : يَرى ويسمع .

وقال آخرون : يعنى بذلك أنه بمَرصد لأهل الظلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن المبارك بن مجاهد ، عن جُوَيْبر ، عن الضحاك فى هذه الآية ، قال : إذا كان يوم القيامة ، يأمر الربّ بكرسيه ، فيوضع على النار ، فيستوى عليه ، ثم يقول : وعزّتى وجلالى ، لايتجاوزنى اليوم ذو مَظلمة ، فذلك قوله (لَبِالْمِرْصَادِ) .

قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، قال : بلغنى أن على جهنم ثلاث قناطر : قنطرة عليها الأمانة ، إذا مرّوا بها تقول : يا ربّ هذا أمين ، يا ربّ هذا خائن ؛ وقنطرة عليها الرحم ، إذا مرّوا بها تقول : يا ربّ هذا واصل ، يا ربّ هذا قاطع ؛ وقنطرة عليها الربّ (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) يعنى : جهنم عليها ثلاث قناطر : قنطرة فيها الرحمة ، وقنطرة فيها الأمانة ، وقنطرة فيها الربّ تبارك وتعالى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) قال : مِرْصاد عمل بنى آدم .

وقوله (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ) يقول تعالى ذكره : فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى (فَأَكْرَمَهُ) بالمال ، وأفضل عليه ، (وَنَعَّمَهُ) بما أوسع عليه من فضله (فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ) فيفرح بذلك ، ويسرّ به ويقول : ربى أكرمنى بهذه الكرامة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ) وحقّ له .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّآ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾

وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾

وقوله (وَأَمَّا إِذَا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) يقول : وأما إذا ما امتحنه ربه بالفقر (فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) يقول : فضيّق عليه رزقه وقتّره ، فلم يكثر ماله ، ولم يوسع عليه (فَيَقُولُ رَبِّي أَهانَنِ) يقول : فيقول ذلك الإنسان : ربى أهانني ، يقول : أذلني بالفقر ، ولم يشكر الله على ما وهب له من سلامة جوارحه ، ورزقه من العافية فى جسمه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَمَّا إِذَا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهانَنِي) ما أسرع كفرَ ابن آدم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) قال : ضيّقه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) فقرأت عامة قرّاء الأمصار ذلك بالتخفيف ، فقَدَرَ : بمعنى فقتّر ، خلا أبى جعفر القارئ ، فإنه قرأ ذلك بالتشديد (فَقَدَّرَ) . وذُكر عن أبى عمرو بن العلاء أنه كان يقول : قدّر ، بمعنى يعطيه ما يكفيه ، ويقول : لو فعل ذلك به ما قال ربى أهاننى .

والصواب من قراءة ذلك عندنا بالتخفيف ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (كَلَّا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (كَلَّا) فى هذا الموضع : وما الذى أنكر بذلك ، فقال بعضهم : أنكر جلّ ثناؤه أن يكون سبب كرامته من أكرم كثرة ماله ، وسبب إهانته من أهان قلة ماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَمَّا إِذَا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهانَنِي) ما أسرع ما كفر ابن آدم ؟ يقول الله جلّ ثناؤه : كلا إنى لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا ، ولا أهين من أهنت بقلتها ، ولكن إنما أُكرم من أكرمت بطاعتى ، وأُهين من أهنت بمعصيتى .

وقال آخرون : بل أنكر جلّ ثناؤه حمد الإنسان ربه على نعمه دون فقره ، وشكواه الفاقة . وقالوا : معنى الكلام : كلاّ ، أى لم يكن ينبغى أن يكون هكذا ، ولكن كان ينبغى أن يحمده على الأمرين جميعا : على الغنى والفقر .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب : القول الذى ذكرناه عن قتادة ، لدلالة قوله (بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) والآيات التى بعدها ، على أنه إنما أهان من أهان بأنه لا يكرم اليتيم ، ولا يحضّ على طعام المسكين ، وسائر المعانى التى عدّد ، وفى إبانته عن السبب الذى من أجله أهان من أهان ، الدلالة الواضحة على سبب تكريمه من أكرم ، وفى تبيينه ذلك عقيب قوله (فَأَمَّا الْإِنْسانُ إِذا ما ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ)

رَبِّي أَكْرَمَنِي . وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي) بيان واضح عن الذى أنكر من قوله ما وصفنا .

وقوله (بَلْ لَاتُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) يقول تعالى ذكره : بل إنما أهنت من أهنت من أجل أنه لايكرم اليتيم ، فأخرج الكلام على الخطاب ، فقال : بل لستم تكرمون اليتيم ، فلذلك أهنتكم (وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه من أهل المدينة أبو جعفر وعامة قرّاء الكوفة (بَلْ لَاتُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ) بالتاء أيضا وفتحها ، وإثبات الألف فيها ، بمعنى : ولا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين . وقرأ ذلك بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء المدينة ، بالتاء وفتحها وحذف الألف (وَلَا تَحُضُّونَ) بمعنى : ولا تأمرون بإطعام المسكين . وقرأ ذلك عامة قرّاء البصرة (يَحُضُّونَ) بالياء وحذف الألف ، بمعنى : ولا يكرم القائلون إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه ربى أكرمنى ، وإذا قدر عليه رزقه ربى أهاننى اليتيم ، (وَلَا يَحُضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) وكذلك يقرأ الذين ذكرنا من أهل البصرة (يُكْرِمُونَ) وسائر الحروف معها بالياء ، على وجه الخبر عن الذين ذكرت . وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ (تُحَاضُّونَ) بالتاء وضمها وإثبات الألف ، بمعنى : ولا تحافظون .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن هذه قراءات معروفات فى قراءة الأمصار ، أعنى القراءات الثلاث صحيحات المعانى ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا) يقول تعالى ذكره : وتأكلون أيها الناس الميراث أكلا لمّا ، يعنى : أكلا شديدا ، لاتتركون منه شيئا ، وهو من قولهم : لممت ما على الخوان أجمع ، فأنا ألمه لمًّا : إذا أكلت ما عليه ، فأتيت على جميعه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عمرو بن سعيد بن يسار القرشىّ ، قال : ثنا الأنصارىّ ، عن أشعث ، عن الحسن (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا) قال : الميراث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ) أى الميراث ، وكذلك فى قوله (أَكْلًا لَمًّا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا) يقول : تأكلون أكلا شديدا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُليّة ، عن يونس ، عن الحسن ، فى قوله (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا) قال : نصيبه ونصيب صاحبه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (أَكْلاً لَمًّا) قال : اللمّ : السفّ ، لفّ كل شيء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَكْلاً لَمًّا) : أي شديدا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أَكْلاً لَمًّا) يقول : أكلا شديدا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا) قال : الأكل اللمّ : الذي يأكل كلّ شيء يجده ولا يسأل ، فأكل الذي له ، والذي لصاحبه كانوا لا يُوَرِّثون النساء ، ولا يورّثون الصغار ، وقرأ (يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ، قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ، وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ، وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ) : أي لا تورّثونهنّ أيضا (أَكْلاً لَمًّا) يأكل ميراثه ، وكلّ شيء لا يسأل عنه ، ولا يدري أحلال أو حرام .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا) . يقول* : سَفًّا .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقيّ ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة البسيّ ، عن زُهير ، عن سالم ، قال : قد سمعت بكر بن عبد الله يقول في هذه الآية (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا) قال : اللمّ : الاعتداء في الميراث ، يأكل ميراثه وميراث غيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۝٢٣ ﴾

يعني تعالى ذكره بقوله (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) وتحبون جمع المال أيها الناس واقتناءه حبا كثيرا شديدا ، من قولهم : قد جمّ الماء في الحوض : إذا اجتمع ، ومنه قول زُهير بن أبي سلمى :

فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جِمَامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ [1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) يقول : شديدا .

---

(١) البيت من معلقة زهير (مختار الشعر الجاهلي ٢٢٩) قال شارحه : وردن الماء : أتينه وحللن عليه . وجمامه : جمع جم ، وهو ما تجمع وكثر . وزرقة الماء : من شدة صفاء لونه ، لأنه لم يورد قبلهن ولم يحرك . ووضع العصي : كناية عن النزول بالمكان ، والإقامة فيه . اهـ . وفي (اللسان : جم) : الجم والجمم (محركا) : الكثير من كل شيء . ومال جم كثير . وفي التنزيل العزيز : « ويحبون المال حبا جما » : أي كثيرا . وكذلك فسره أبو عبيدة . وقيل : الجم : الكثير المجتمع ؛ جم يجم كيجلس ويقعد والضم أعلى ، جموما . اهـ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) فيحبون كثرة المال .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حُبًّا جَمًّا) قال : الجم : الكثير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) : أي حبا شديدا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (حُبًّا جَمًّا) : يحبون كثرة المال .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) قال : الجم : الشديد .

ويعني جل ثناؤه بقوله (كَلَّا) : ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر . ثم أخبر جل ثناؤه عن ندمهم على أفعالهم السيئة في الدنيا ، وتلهفهم على ماسلف منهم حين لاينفعهم الندم ، فقال جل ثناؤه : (إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) يعني : إذا رجت وزلزلت زلزلة ، وحركت تحريكا بعد تحريك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) يقول : تحريكها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني حرملة بن عمران ، أنه سمع عمر مولى غُفْرة يقول : إذا سمعت الله يقول كلا ، فإنما يقول : كذبت .

وقوله (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) يقول تعالى ذكره : وإذا جاء ربك يامحمد وأملاكه صفوفا صفا بعد صف .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وعبد الوهاب ، قالا : ثنا عوف ، عن أبي المنهال ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم ، وزيد في سعتها كذا وكذا ، وجمع الخلائق بصعيد واحد ، جنهم وإنسهم . فإذا كان ذلك اليوم قيضت[1] هذه السماء الدنيا عن أهلها على وجه الأرض ، ولأهل السماء وحدهم أكثر من أهل الأرض جنهم وإنسهم بضعف فإذا نثروا على وجه الأرض فزعوا منهم ، فيقولون : أفيكم ربنا : فيفزعون من قولهم ، ويقولون : سبحان ربنا ! ليس فينا ، وهو آت ؛ ثم تقاض السماء الثانية ، ولأهل السماء الثانية وحدهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع أهل الأرض بضعف جنهم وإنسهم ، فإذا نثروا على وجه الأرض فزع إليهم أهل الأرض ، فيقولون : أفيكم ربنا ؟ فيفزعون من قولهم ويقولون : سبحان ربنا ! ليس فينا ، وهو آت ؛ ثم تقاض السموات

(١) (في اللسان : قيض) وذكر طرفا من حديث ابن عباس هذا ، قال : قيضت : أي نقضت . يقال : قضت البناء فانقاض . وقيل : معناه : شقت ، من قاض الفرخ البيض ، فانقاضت .

سماء سماء، كلما قبضت سماء عن أهلها كانت أكثر من أهل السموات التي تحتها؛ ومن جميع أهل الأرض بضعف، فإذا نثروا على وجه الأرض، فزع إليهم أهل الأرض، فيقولون لهم مثل ذلك، ويرجعون إليهم مثل ذلك. حتى تقاض السماء السابعة. فلأهل السماء السابعة أكثر من أهل ست سموات، ومن جميع أهل الأرض بضعف. فيجيء الله فيهم والأمم جثيّ صفوف، وينادي مناد: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم. ليقم الحمادون لله على كل حال؛ قال: فيقومون فيسرحون إلى الجنة؛ ثم ينادي الثانية: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم. أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً. ومما رزقناهم ينفقون؟ فيسرحون إلى الجنة؛ ثم ينادي الثالثة: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم: أين الذين لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب والأبصار فيقومون فيسرحون إلى الجنة؛ فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة خرج عُنُق من النار. فأشرف على الخلائق. له عينان تبصران. ولسان فصيح. فيقول: إني وُكّلت منكم بثلاثة: بكلّ جبار عنيد، فيلتقطهم من الصفوف لقط الطير حبّ السمسم، فيحبس بهم في جهنم. ثم يخرج ثانية فيقول: إني وكلت منكم بمن آذى الله ورسوله فيلتقطهم لقط الطير حبّ السمسم، فيحبس بهم في جهنم، ثم يخرج ثالثة. قال عوف. قال أبو المنهال: حسبت أنه يقول: وكلت بأصحاب التصاوير. فيلتقطهم من الصفوف لقط الطير حبّ السمسم. فيحبس بهم في جهنم. فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة، ومن هؤلاء ثلاثة. نُشرت الصحف، ووُضعت الموازين، ودُعي الخلائق للحساب.

حدثني موسى بن عبد الرحمن قال: ثنا أبو أُسامة، عن الأجلح، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول: إذا كان يوم القيامة، أمر الله السماء الدنيا بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، وأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فصفوا صفاً دون صفّ، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قول الله (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَالَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ)؛ وذلك قوله (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) وقوله (يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا، لاتَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ)، وذلك قول الله: (وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ، وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا).

حدثنا أبو كريب: قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ، عن إسماعيل بن رافع المدني. عن يزيد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تُوقَفُونَ مَوْقِفًا وَاحِدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِقْدَارَ سَبْعِينَ عاما لايُنْظَرُ إِلَيْكُمْ وَلا يُقْضَى بَيْنَكُمْ. قَدْ حُصِرَ عَلَيْكُمْ، فَتَبْكُونَ حَتَّى يَنْقَطِعَ الدَّمْعُ، ثُمَّ تَدْمَعُونَ دَمًا، وَتَبْكُونَ حَتَّى يَبْلُغَ ذلكَ مِنْكُمُ الأَذْقَانَ، أَوْ يُلْجِمَكُمْ فَتَضِجُّونَ؛ ثُمَّ تَقُولُونَ مَنْ يَشْفَعُ

لَنَا إلى رَبِّنا ، فَيَقْضِيَ بَيْنَنَا ، فَيَقُولُونَ مَنْ أَحَقُّ بِذلكَ مِنْ أَبِيكُمْ ؟ جَعَلَ اللهُ تُرْبَتَهُ ، وَخَلَقَهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، وكَلَّمَهُ قُبُلاً ، فَيُؤْتَى آدَمُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَيُطْلَبُ ذلكَ إلَيْهِ . فيأْبَى ، ثُمَّ يَسْتَقْرُونَ الأَنْبياءَ نَبِيًّا نَبِيًّا ، كُلَّما جاءُوا نَبِيًّا أَبَى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى يأْتُونِي ، فإذا جاءُونِي خَرَجْتُ حتى آتِيَ الفَحْصَ ، قال أبو هريرة : يا رسول الله ، ما الفحص ؟ قال : قُدَّامَ العَرْشِ ، فأَخِرُّ ساجِدًا ، فَلا أزالُ ساجِدًا حتى يَبْعَثَ اللهُ إليَّ مَلَكاً ، فَيأخُذُ بِعَضُدِي ، فَيرْفَعُنِي ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ لِي : مُحَمَّدُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ ، فأَقُولُ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : ما شأْنُكَ ؟ فأقول : يا رَبِّ وَعَدْتَنِي الشَّفاعَةَ ، شَفِّعْنِي في خَلْقِكَ فاقْضِ بَيْنَهُمْ ، فَيَقُولُ : قَدْ شَفَّعْتُكَ ، أنا آتِيكُمْ فأَقْضِي بَيْنَكُمْ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنْصَرِفُ حتى أَقِفَ مَعَ النَّاسِ ، فَبَيْنا نَحْنُ وُقُوفٌ ، سَمِعْنا حِسًّا مِنَ السَّماءِ شَدِيدًا ، فَهالَنا ، فَنَزَلَ أَهْلُ السَّماءِ الدُّنْيا بِمِثْلَيْ مَنْ في الأَرْضِ مِنَ الجِنِّ والإنْسِ ، حتى إذا دَنَوْا مِنَ الأَرْضِ ، أَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِهِمْ ، وأَخَذُوا مَصَافَّهُمْ ، وَقُلْنا لَهُمْ : أفِيكُمْ رَبُّنا ؟ قالُوا : لا ، وَهُوَ آتٍ . ثُمَّ يَنْزِلُ أَهْلُ السَّماءِ الثَّانِيَةِ بِمِثْلَيْ مَنْ نَزَلَ مِنَ المَلائِكَةِ ، وَبِمِثْلَيْ مَنْ فِيها مِنَ الجِنِّ والإنْسِ ، حتى إذا دَنَوْا مِنَ الأَرْضِ ، أَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِهِمْ ، وأَخَذُوا مَصَافَّهُمْ ، وَقُلْنا لَهُمْ : أفِيكُمْ رَبُّنا ؟ قالُوا : لا ، وَهُوَ آتٍ . ثُمَّ نَزَلَ أَهْلُ السَّمواتِ عَلَى قَدْرِ ذلكَ مِنَ الضِّعْفِ ، حتى نَزَلَ الجَبَّارُ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ والمَلائِكَةِ ، وَلَهُمْ زَجَلٌ مِنْ تَسْبِيحِهِمْ ، يَقُولُونَ : سُبْحانَ ذِي المُلْكِ والمَلَكُوتِ ! سُبْحانَ رَبِّ العَرْشِ ذِي الجَبَرُوتِ ! سُبْحانَ الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ! سُبْحانَ الَّذِي يُمِيتُ الخَلائِقَ وَلا يَمُوتُ ! سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلائِكَةِ والرُّوحِ ! قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ، سُبْحانَ رَبِّنا الأَعْلَى ! سُبْحانَ ذِي الجَبَرُوتِ والمَلَكُوتِ والكِبْرِياءِ والسُّلْطانِ والعَظَمَةِ ! سُبْحانَهُ أَبَدًا أَبَدًا ! يَحْمِلُ عَرْشَهُ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ . وَهُمُ اليَوْمَ أَرْبَعَةٌ ، أَقْدامُهُمْ على تُخُومِ الأَرْضِ السُّفْلَى والسَّمواتِ إلى حُجَزِهِمْ ، والعَرْشُ عَلَى مَناكِبِهِمْ . فَوَضَعَ اللهُ عَرْشَهُ حَيْثُ شاءَ مِنَ الأَرْضِ ، ثُمَّ يُنادِي بِنِداءٍ يُسْمِعُ الخَلائِقَ ، فَيَقُولُ : يامَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ ، إنِّي قَدْ أَنْصَتُّ مُنْذُ يَوْمِ خَلَقْتُكُمْ إلى يَوْمِكُمْ هَذَا ، أَسْمَعُ كَلامَكُمْ ، وأُبْصِرُ أَعمالَكُمْ ، فأَنْصِتُوا إلَيَّ ، فإنَّما هِيَ صُحُفُكُمْ وأَعمالُكُمْ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلكَ فَلا يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ . ثُمَّ يأْمُرُ اللهُ جَهَنَّمَ فَتُخْرِجُ مِنْها عُنُقًا ساطِعا مُظْلِما ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ (أَلَمْ أَعْهَدْ إلَيْكُمْ يابَنِي آدَمَ أنْ لاتَعْبُدُوا الشَّيْطانَ ... إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) إلى قوله (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ، وَامْتازُوا اليَوْمَ أيُّها المُجْرِمُونَ) فيتميز الناس وَيَجْثُونَ ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللهُ (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً ، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إلى كِتابِها ، اليَوْمَ)... الآية ، فَيَقْضِي اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ ، الجِنِّ والإنْسِ والبَهائِمِ ، فإنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ للجَمَّاءِ مِنْ

ذات القرون ، حتى إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرى ، قال الله : كونوا ترابا ، فعند ذلك يقول الكافر : يا ليتنى كنت ترابا ، ثم يقضى الله سبحانه بين الجن والإنس » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) : صفوف الملائكة .

وقوله (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) يقول تعالى ذكره : وجاء الله يومئذ بجهنم .

كما حدثنا الحسن بن عرفة قال : ثنا مروان الفزاري ، عن العلاء بن خالد الأسدى ، عن شقيق بن سلمة . قال : قال عبد الله بن مسعود ، فى قوله (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) قال : جىء بها تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يقودونها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبى وائل : (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) قال : يجاء بها يوم القيامة تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن قتادة ، قال : جنبتيه : الجنة والنار ، قال : هذا حين ينزل من عرشه إلى كرسيه ، لحساب خلقه ، وقرأ (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ)

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) قال : جىء بها مزمومة .

وقوله (يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ) يقول تعالى ذكره : يومئذ يتذكر الإنسان تفريطه فى الدنيا فى طاعة الله ، وفيما يقرب إليه من صالح الأعمال (وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) يقول : من أى وجه له التذكير .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ؟) يقول : وكيف له ؟

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

وقوله (يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) يقول تعالى ذكره مخبرا عن تلهف ابن آدم يوم القيامة ، وتندمه على تفريطه فى الصالحات من الأعمال فى الدنيا التى تورثه بقاء الأبد ، فى نعيم لاانقطاع له : يا ليتنى قدمت

لحياتى فى الدنيا من صالح الأعمال لحياتى هذه ، التى لاموت بعدها ، ما ينجينى من غضب الله ، ويوجب لى رضوانه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هَوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنْسانُ وأنَّى لَهُ الذِّكْرَى ، يَقُولُ يالَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى) قال : علم الله أنه صادق ، هناك حياة طويلة لاموت فيها آخر ماعليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى) : هُناكُم والله الحياة الطويلة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى) قال : الآخرة .

وقوله (فَيَوْمَئِذٍ لايُعَذِّبُ عَذَابَهُ أحَدٌ ، وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أحَدٌ) أجمعت القرّاء قرّاء الأمصار فى قراءة ذلك على كسر الذال من يعذّب ، والثاء من يوثق ، خلا الكسائى ، فإنه قرأ ذلك بفتح الذال والثاء، اعتلالا منه بخبر رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأه كذلك ، واهى الإسناد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن خارجة ، عن خالد الحذّاء ، عن أبى قلابة ، قال : ثنى من أقرأه النبىّ صلى الله عليه وسلم (فَيَوْمَئِذٍ لايُعَذَّبُ عَذَابَهُ أحَدٌ) .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : ماعليه قرّاء الأمصار ، وذلك كسر الذال والثاء، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام فيومئذ : لايعذّب بعذاب الله أحد فى الدنيا ، ولا يوثق كوثاقه يومئذ أحد فى الدنيا . وكذلك تأوّله قارئو ذلك كذلك من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَيَوْمَئِذٍ لايُعَذِّبُ عَذَابَهُ أحَدٌ) ولا يوثق كوثاق الله أحد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَيَوْمَئِذٍ لايُعَذِّبُ عَذَابَهُ أحَدٌ ، وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أحَدٌ) قال : قد علم الله أن فى الدنيا عذابا وَوَثاقا ، فقال : فيومئذ لايعذّب عذابه أحد فى الدنيا ، ولا يُوثِق وثاقه أحد فى الدنيا .

وأما الذى قرأ ذلك بالفتح ، فإنه وجّه تأويله إلى : فيومئذ لايعذّب أحد فى الدنيا كعذاب الله يومئذ ، ولا يوثّق أحد فى الدنيا كوثاقه يومئذ . وقد تأوّل ذلك بعض من قرأ ذلك كذلك بالفتح من المتأخرين ، فيومئذ لايعذّب عذاب الكافر أحَد ولا يُوثّق وَثاق الكافر أحد . وقال : كيف يجوز الكسر ، ولا معذّب يومئذ سوى الله ، وهذا من التأويل غلط ، لأن أهل التأويل تأوّلوه بخلاف ذلك ، مع إجماع الحجة من القرّاء

على قراءته بالمعنى الذى جاء به تأويل أهل التأويل ، وما أحسبه دعاه إلى قراءة ذلك كذلك ، إلا ذهابه عن وجه صحته فى التأويل .

وقوله (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة لأوليائه يوم القيامة : يا أيتها النفس المطمئنة ؛ يعنى بالمطمئنة : التى اطمأنت إلى وعد الله الذى وعد أهل الإيمان به ، فى الدنيا من الكرامة فى الآخرة ، فصدّقت بذلك .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) يقول : المصدّقة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن ، فى قوله (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) قال : المطمئنة إلى ما قال الله ، والمصدّقة بما قال .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : المصدّقة الموقنة بأن الله ربها ، المسلمة لأمره فيما هو فاعل بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) قال : النفس التى أيقنت أن الله ربها ، وضربت جأشا لأمره وطاعته .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) قال : أيقنت بأن الله ربها ، وضربت لأمره جأشا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) قال : المنيبة المخبتة التى قد أيقنت أن الله ربها ، وضربت لأمره جأشا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) قال : أيقنت بأن الله ربها ، وضربت لأمره جأشا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الْمُطْمَئِنَّةُ) قال : المخبتة والمطمئنة إلى الله .

حدثنا أبو كريب قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) قال : التى قد أيقنت بأن الله ربها ، وضربت لأمره جأشا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) قال : المخبتة .

حدثنى سعيد بن الربيع الرازى ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) قال : التى أيقنت بلقاء الله ، وضربت له جأشا .

وذُكر أن ذلك فى قراءة أُبىّ (يا أيَّتُها النَّفْسُ الآمِنَةُ) .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر ، عن هارون القارى ، قال : ثنى هلال ، عن أبى شيخ الهنائى فى قراءة أُبىّ (يا أيَّتُها النَّفْسُ الآمِنَةُ المُطْمَئِنَّةُ) وقال الكلبى : إن الآمنة فى هذا الموضع ، يعنى به المؤمنة .

وقيل : إن ذلك قول الملك للعبد عند خروج نفسه مبشره برضا ربه عنه ، وإعداده ما أعدّ له من الكرامة عنده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : قُرِئت (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِى إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) عند النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : إن هذا لحسن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنَّ المَلَكَ سَيَقُولُهَا لك عِنْدَ المَوْتِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح (ارْجِعِى إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) قال هذا عند الموت (فادْخُلِى فِى عِبادِى) قال هذا يوم القيامة .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أُسامة بن زيد ، عن أبيه ، فى قوله (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) قال : بُشِّرت بالجنة عند الموت ، ويوم الجمع ، وعند البعث .

وقوله (ارْجِعِى إلى رَبِّكِ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : هذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قيل الملائكة لنفس المؤمن عند البعث ، تأمرها أن ترجع فى جسد صاحبها ؛ قالوا : وعُنِى بالردّ هاهنا صاحبها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِى إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) قال : تردّ الأرواح المطمئنة يوم القيامة فى الأجساد .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فادْخُلِى فِى عِبادِى وَادْخُلِى جَنَّتِى) يأمر الله الأرواح يوم القيامة أن ترجع إلى الأجساد ، فيأتون الله كما خلقهم أوّل مرّة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن عكرمة فى هذه الآية (ارْجِعِى إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) إلى الجسد .

وقال آخرون : بل يقال ذلك لها عند الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) قال : هذا عند الموت (فادْخُلِي فِي عِبادِي) قال : هذا يوم القيامة .

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن عباس والضحاك ، أن ذلك إنما يقال لهم عند ردّ الأرواح في الأجساد يوم البعث لدلالة قوله (فادْخُلِي فِي عِبادِي وادْخُلِي جَنَّتِي) .

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فادخلي في عبادي الصالحين ، وادخلي جنتي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فادْخُلِي فِي عِبادِي) قال : ادخلي في عبادي الصالحين (وَادْخُلِي جَنَّتِي) .

وقال آخرون : معنى ذلك (فادْخُلِي فى طَاعَتِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن نعيم بن ضمضم ، عن محمد بن مزاحم أخي الضحاك بن مُزاحم : (فادْخُلِي فِي عِبادِي) قال : في طاعتي (وَادْخُلِي جَنَّتِي) قال : في رحمتي .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجّه معنى قوله (فادْخُلِي فِي عِبادي) إلى : فادخلي في حزبي .

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يتأوّل ذلك (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) بالإيمان ، والمصدّقة بالثواب والبعث ارجعي ، تقول لهم الملائكة : إذا أُعطوا كتبهم بأيمانهم (ارْجِعِي إلى رَبِّكِ) إلى ما أعدّ الله لك من الثواب ؛ قال : وقد يكون أن تقول لهم شِبْه هذا القول : ينوون ارجعوا من الدنيا إلى هذا المرجع ؛ قال : وأنت تقول للرجل ممن أنت ؟ فيقول : مُضَرِيٌّ ، فتقول : كن تميميا أو قيسيا ، أى أنت من أحد هذين ، فتكون كن صلة ، كذلك الرجوع يكون صلة ، لأنه قد صار إلى القيامة ، فكان الأمر بمعنى الخبر ، كأنه قال : أيتها النفس ، أنت راضية مرضية .

وقد رُوى عن بعض السلف أنه كان يقرأ ذلك (فادْخُلِي فِي عَبْدِي ، وَادْخُلِي جَنَّتِي) .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن أبان بن أبي عياش ، عن سليمان بن قتّة ، عن ابن عباس ، أنه قرأها (فادْخُلِي فِي عَبْدِي) على التوحيد .

حدثني خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، عن هارون القارى ، قال : ثني هلال ، عن أبي الشيخ الهنائي (فادْخُلِي فِي عَبْدِي) . وفى قول الكلبيّ : (فادْخُلِي فِي عَبْدِي ، وَادْخُلِي فِي جَنَّتِي) يعني : الروح ترجع في الجسد .

والصواب من القراءة فى ذلك (فادْخُلِى فِى عِبادِى) بمعنى : فادخلى فى عبادى الصالحين . لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

آخر تفسير سورة والفجر

(٩٠) سُورَةُ البَلَدِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ۝ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝

⁂ يقول تعالى ذكره : أقسم يامحمد بهذا البلد الحرام ، وهو مكة ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (لاأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) يعنى : مكة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (لاأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : مكة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (لاأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : الحرام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (لاأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : مكة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لاأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : البلد مكة .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، فى قوله (لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) يعنى : مكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (لاأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : مكة .

وقوله (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) يعني : بمكة ، يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأنت يامحمد حِلّ بهذا البلد ، يعني بمكة ؛ يقول : أنت به حلال تصنع فيه من قَتْلِ من أردت قتله ، وأَسْرِ من أردت أسره ، مُطْلَقٌ ذلك لك ، يقال منه : هو حِلّ ، وهو حلال ، وهو حِرْم ، وهو حرام ، وهو مُحِلّ ، وهو محرم ، وأحللنا ، وأحرمنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) يعني بذلك : نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، أحلّ الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء ، ويستحيي من شاء ؛ فقتل يومئذ ابن خَطَل صَبْرا وهو آخذ بأستار الكعبة ، فلم تحلّ لأحد من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل فيها حراما حرّمه الله ، فأحلّ الله له ماصنع بأهل مكة . ألم تسمع أن الله قال فى تحريم الحرم (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) يعنى بالناس أهل القبلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : ما صنعت فأنت فى حِلّ من أمر القتال .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : أُحِلّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع فيه ساعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : أحلّ له أن يصنع فيه ما شاء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : أُحِلَّت للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : اصنع فيها ما شئت .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حسين الجُعْفِيّ ، عن زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قول الله (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : أنت حِلّ مما صنعت فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : أحلّ الله لك يامحمد ما صنعت فى هذا البلد من شيء ، يعنى مكة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : لاتؤاخذ بما عملت فيه ، وليس عليك فيه ما على الناس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) يقول : بريء عن الحرج والإثم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) يقول : أنت به حلّ لست بآثم .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : لم يكن بها أحد حلا غير النبىّ صلى الله عليه وسلم ، كلّ من كان بها حراما ، لم يحلّ لهم أن يقاتلوا فيها ، ولا يستحلوا حرمه ، فأحله الله لرسوله ، فقاتل المشركين فيه .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الملك ، عن عطاء (وأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : إن الله حرّم مكة ، لم تحلّ لنبىّ إلا نبيكم ساعة من نهار .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) يعنى محمدا ، يقول : أنت حلّ بالحرم ، فاقتل إن شئت ، أو دع .

وقوله (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) يقول تعالى ذكره : فأقسم بوالد وبولده الذى ولد .

☼ ثم اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بذلك من الوالد وما ولد ، فقال بعضهم : عُنِى بالوالد : كلّ والد ، وما ولد : كلّ عاقر لم يلد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : الوالد : الذى يلد ، وما ولد : العاقر الذى لا يولد له .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : العاقر ، والتى تلد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن النضر بن عربى ، عن عكرمة (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : العاقر ، والتى تلد .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : هو الوالد وولده .

وقال آخرون : عُنِى بذلك : آدم وولده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : الوالد : آدم ، وما ولد : ولده .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : ولده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : آدم وما ولد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : آدم وما ولد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن ابن أبي خالد ، عن أبي صالح في قول الله (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : آدم وما ولد .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : الوالد : آدم ، وما ولد : ولده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قوله (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : آدم وما ولد .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : آدم وما ولد .

وقال آخرون : عُني بذلك : إبراهيم وما ولد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن موسى الحرشيّ ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، قال : سمعت أبا عمران الجَوْنيّ يقرأ (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : إبراهيم وما ولد .

والصواب من القول في ذلك : ماقاله الذين قالوا : إن الله أقسم بكلّ والد وولده ، لأن الله عمّ كلّ والد وما ولد . وغير جائز أن يخصّ ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر ، أو عقل ، ولا خبر بخصوص ذلك ، ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه ، فهو على عمومه كما عمه .

وقوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) وهذا هو جواب القسم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : وقع هاهنا القسم (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : لقد خلقنا ابن آدم في شدّة وعناء ونصب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) يقول : في نَصَب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا سعيد ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن ، أنه قال في هذه الآية (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) يقول : في شدّة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) حين خُلِق في مشقة لا يُلْقَى ابن آدم إلا مكابد أمر الدنيا والآخرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فِي كَبَدٍ) قال : يكابد أمر الدنيا والآخرة .

وقال بعضهم : خُلِق خلْقا لم يُخْلَق خلقَه شيئا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن علىّ بن رفاعة ، قال : سمعت الحسن يقول : لم يخلق الله خلقا يكابد ما يُكابد ابن آدم .

قال : ثنا وكيع ، عن علىّ بن رفاعة ، قال : سمعت سعيد بن أبى الحسن يقول : (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : يكابد مصائب الدنيا ، وشدائد الآخرة .

قال : ثنا وكيع ، عن النضر ، عن عكرمة قال : (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : فى شدّة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : فى شدّة .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : فى شدّة معيشته ، وحمله وحياته ، ونبات أسنانه .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال مجاهد (الإِنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : شدة خروج أسنانه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الإِنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : شدّة .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه خُلِق منتصبا معتدل القامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : فى انتصاب ، ويقال : فى شدّة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا حرمى بن عمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى عُمارة ، عن عكرمة ، فى قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : فى انتصاب ، يعنى القامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : منتصبا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع جميعا ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن شدّاد ، فى قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : معتدلا بالقامة ، قال أبو صالح : معتدلا فى القامة .

حدثنا يحيى بن داود الواسطىّ ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : قائما .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (فِى كَبَدٍ) خُلِق منتصبا على رجلين ، لم تخلق دابة على خلقه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن مجاهد (لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ) قال : في صَعَد.

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنه خُلق في السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي كَبَدٍ) قال : في السماء ، يسمى ذلك الكَبَد .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك أنه خلق يُكابد الأمور ويُعالجها ، فقوله (فِي كَبَدٍ) معناه : في شدّة .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب من معاني الكَبَد ؛ ومنه قول لبيد بن ربيعة .

عَيْنِ هَلاَّ بَكَيْتِ أرْبَدَ إذْ قُمْنا وَقامَ الخُصُوم فِي كَبَدِ [١]

وقوله (أَيَحْسَبُ أنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أحَدٌ) ذُكر أن ذلك نزل في رجل بعينه من بني جُمح ، كان يُدعى أبا الأشدّين ، وكان شديدا ، فقال جلّ ثناؤه : أيحسب هذا القويّ بجَلَده وقوّته ، أن لن يقهره أحد ويغلبه ، فالله غالبه وقاهره .

وقوله (يَقُولُ أهْلَكْتُ مالاً لُبَدًا) يقول هذا الجليد الشديد : أهلكت مالا كثيرا ، في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأنفقت ذلك فيه ، وهو كاذب في قوله ذلك ، وهو فعل من التلبد ، وهو الكثير ، بعضه على بعض ، يقال منه : لَبِد بالأرض يَلْبُد : إذا لصق بها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (مالاً لُبَدًا) يعني باللبد : المال الكثير .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مالاً لُبَدًا) قال : كثيرا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني مسلم ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أهْلَكْتُ مالاً لُبَدًا) . قال : مالا كثيرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أهْلَكْتُ مالاً لُبَدًا) : أي كثيرا.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

---

(١) البيت للبيد يرثي أخاه أربد وقد هلك على دين الجاهلية . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١٨٧) : « خلقنا الإنسان في كبد » : في شدة . قال لبيد : « عين هلا . . . البيت » . وفي (اللسان : كبد) : الرجل يكابد الليل : إذا ركب هوله وصعوبته . ويقال : كابدت ظلمة هذه الليلة مكابدة شديدة . وقال لبيد « عين هلا . . . البيت » أي في شدة وعناء . ويقال : تكبدت الأمر : قصدته . اهـ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مالاً لُبَدًا) قال : اللبد الكثير .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (مالاً لُبَدًا) بتخفيف الباء . وقرأه أبو جعفر بتشديدها .

والصواب بتخفيفها ، لإجماع الحجة عليه .

وقوله (أَيَحْسَبُ أنْ لَمْ يَرَهُ أحَدٌ) يقول تعالى ذكره : أيظنّ هذا القائل (أهْلَكْتُ مالاً لُبَدًا) أن لم يره أحد فى حال إنفاقه ما يزعم أنه أنفقه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَيَحْسَبُ أنْ لَمْ يَرَهُ أحَدٌ) ابن آدم إنك مسئول عن هذا المال ، من أين اكتسبته ، وأين أنفقته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝

☸ يقول تعالى ذكره : ألم نجعل لهذا القائل (أهْلَكْتُ مالاً لُبَدًا) عينين يبصر بهما حُجَجَ الله عليه ، ولسانا يعبر به عن نفسه ما أراد ، وشفتين ، نعمة منا بذلك عليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسانا وَشَفَتَيْنِ) نِعَم من الله متظاهرة ، يقررك بها كيما تشكره .

وقوله (وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ) يقول تعالى ذكره : وهديناه الطريقين ، ونجد : طريق فى ارتفاع .

☸ واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : عُنِي بذلك : نَجْد الخير ، ونَجْد الشرّ ، كما قال (إنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إمَّا شاكِرًا ، وإمَّا كَفُورًا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله (وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ) قال : الخير والشرّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن منذر ، عن أبيه ، عن الربيع بن خثيم ، قال : ليسا بالثديين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال :

ثنا عمران جميعا ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) قال : نجد الخير ، ونجد الشرّ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا هشام بن عبد الملك ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى عاصم ، قال : سمعت أبا وائل يقول : كان عبد الله يقول فى (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) قال : نجد الخير ، ونجد الشرّ .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) يقول : الهدى والضلالة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) يقول : سبيل الخير والشرّ .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) قال : الخير والشرّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن الربيع بن خثيم ، عن أبى بُردة ، قال : مرّ بنا الربيع بن خثيم ، فسألناه عن هذه الآية (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) فقال : أما إنهما ليسا بالثديين .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الخير والشرّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، (قوله وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) قال : سبيل الخير والشرّ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) نجد الخير ، ونجد الشرّ .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُمَا نَجْدَانِ : نَجْدُ خَيْرٍ ، وَنَجْدُ شَرٍّ ، فَمَا جُعِلَ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ » ؟

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا عطية أبو وهب ، قال : سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إِنَّمَا هُمَا نَجْدَانِ : نَجْدُ الخَيْرِ ، وَنَجْدُ الشَّرِّ ، فَمَا يَجْعَلُ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ » ؟

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا هشام بن عبد الملك ، قال : ثنا شعبة ، عن حبيب ، عن الحسن ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) قال : ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّمَا هُمَا النَّجْدَانِ : نَجْدُ الخَيْرِ ، وَنَجْدُ الشَّرِّ ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) : ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « أيُّها النَّاسُ إنَّمَا هُمَا النَّجْدَانِ ، نَجْدُ الخَيْرِ ، ونَجْدُ الشَّرِّ ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أحَبُّ إلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ » ؟ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّمَا هُمَا نَجْدَانِ ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أحَبُّ إلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ » ؟

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) قاطع طريق الخير والشرّ . وقرأ قول الله (إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهديناه الثَّديين : سبيلى اللبن الذى يتغذّى به ، وينبت عليه لحمه وجسمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا عيسى بن عقال ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) قال : هما الثديان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن المبارك بن مجاهد ، عن جُويبر ، عن الضحاك ، قال : الثديان .

❊ وأولى القولين بالصواب فى ذلك عندنا : قول من قال : عُنِى بذلك طريق الخير والشرّ ، وذلك أنه لا قول فى ذلك نعلمه غير القولين اللذين ذكرنا ، والثديان ، وإن كانا سبيلى اللبن ، فإن الله تعالى ذكْره إذ عدّد على العبد نِعَمه بقوله (إنَّا خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ، فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعا بَصِيرًا ، إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) إنما عدّد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نِعمه ، فكذلك قوله (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) .

وقوله (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) يقول تعالى ذكره : فلم يركب العقبة ، فيقطعها ويجوزها .

وذُكر أن العقبة : جبل فى جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن كثير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قول الله (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) قال : عَقَبَة فى جهنم .

حدثنى عمر بن إسماعيل بن مجالد ، قال : ثنا عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ، عن ابن عمر ، فى قوله (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) جبل من جهنم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (فَلا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ) قال : جهنم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) إنها قحمة شديدة ، فاقتحموها بطاعة الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) قال : للنار عقبة دون الجسر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا أبي ، قال : سمعت يحيى بن أيوب يحدّث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن شعيب بن زُرْعة ، عن حنش ، عن كعب ، أنه قال : (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) قال : هو سبعون درجة في جهنم .

وأفرد قوله (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) بذكر « لا » مرّة واحدة ، والعرب لاتكاد تفردها في كلام في مثل هذا الموضع ، حتى يكرّروها مع كلام آخر ، كما قال : (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) . وإنما فعل ذلك كذلك في هذا الموضع ، استغناء بدلالة آخر الكلام على معناه ، من إعادتها مرّة أخرى ، وذلك قوله إذ فسّر اقتحام العقبة ، فقال : (فَكُّ رَقَبَةٍ ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) ثم كان من الذين آمنوا ، ففسر ذلك بأشياء ثلاثة . فكان كأنه في أوّل الكلام ، قال : فلا فَعَلَ ذا ولا ذا ولا ذا . وتأوّل ذلك ابن زيد ، بمعنى : أفلا ، ومن تأوّله كذلك ، لم يكن به حاجة إلى أن يزعم أن في الكلام متروكا .

ذكر الخبر بذلك عن ابن زيد

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وقرأ قول الله (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) قال : أفلا سلك الطريق التي منها النجاة والخير ، ثم قال (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ) ؟

وقوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ؟) يقول تعالى ذكره : وأيّ شيء أشعرك يامحمد ما العقبة ؟

ثم بين جلّ ثناؤه له ، ما العقبة ، وما النجاة منها ، وما وجه اقتحامها ؟ فقال : اقتحامها وقطعها فكّ رقبة من الرقّ ، وأسر العبودة .

كما حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ، فَكُّ رَقَبَةٍ) قال : ذُكر لنا أنه ليس مسلم يعتق رقبة مسلمة ، إلا كانت فداءه من النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَدْرَاكَ ماالْعَقَبَةُ ؟ فَكُّ رَقَبَةٍ) ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الرقاب أيها أعظم أجرا ؟ قال : أكثرها ثمنا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثنا سالم بن أبي الجعد ، عن مَعْدان ابن أبي طلحة ، عن أبي نجيح ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلاً مُسْلِما ، فإنَّ اللهَ جاعِلُ وَفاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظامِهِ ، عَظْما مِنْ عِظامِ مُحَرِّرِهِ مِنَ النَّارِ ؛ وأَيُّمَا امْرأةٍ مُسْلِمَةٍ أعْتَقَتْ امْرأةً مُسْلِمَةً ، فإنَّ اللهَ جاعِلُ وَفاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظامِها ، عَظْما مِنْ عِظامِ مُحَرِّرِها مِنَ النَّارِ » .

قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن قيس الجُذاميّ ، عن عقبة بن عامر الجُهَنيّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً ، فَهِيَ فِداؤُهُ مِنَ النَّارِ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ) ثم أخبر عن اقتحامها فقال : (فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء البصرة ، عن ابن أبى إسحاق ، ومن الكوفيين : الكسائى (فَكَّ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ) . وكان أبو عمرو بن العلاء يحتجّ فيما بلغنى فيه بقوله (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) كأن معناه : كان عنده ، فلا فكّ رقبة ، ولا أطعم ، ثم كان من الذين آمنوا . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والشأم (فَكُّ رَقَبَةٍ) على الإضافة (أَوْ إِطْعَامٌ) على وجه المصدر .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، وتأويل مفهوم ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . فقراءته إذا قرئ على وجه الفعل تأويله : فلا اقتحم العقبة ، لافكّ رقبة ، ولا أطعم ، ثم كان من الذين آمنوا ،(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ)على التعجب والتعظيم. وهذه القراءة أحسن مخرجا فى العربية ، لأن الإطعام اسم ، وقوله (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) فعل ، والعرب تؤثر ردّ الأسماء على الأسماء مثلها ، والأفعال على الأفعال . ولو كان مجىء التنزيل ثم إن كان من الذين آمنوا ، كان أحسن ، وأشبه بالإطعام والفكّ من ثم كان ، ولذلك قلت (فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ أَطْعَمَ) أوجه فى العربية من الآخر ، وإن كان للآخر وجه معروف ، ووجهه (أنْ) تضمر أن ثم تلقى ، كما قال طرفة بن العبد :

ألا أيُّهاذا الزَّاجِرِى أحْضُرَ الوَغَى　　　وأنْ أشْهَدَ اللَّذَّاتِ هلْ أنتَ مُخْلِدِى[1]

بمعنى : ألا أيهاذا الزاجرى أن أحضر الوغى . وفى قوله « أن » أشهد الدلالة البينة على أنها معطوفة على أن أخرى مثلها ، قد تقدّمت قبلها ، فذلك وجه جوازه . وإذا وُجِّه الكلام إلى هذا الوجه كان قوله (فَكُّ رَقَبَةٍ ، أَوْ إِطْعَامٌ) تفسيرا لقوله (وَمَا أَدْرَاكَ ؟ مَا الْعَقَبَةُ) كأنه قيل : وما أدراك ما العقبة ؟ هى فكّ رقبة (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) كما قال جلّ ثناؤه (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ؟)، ثم قال : (نَارٌ حَامِيَةٌ) مفسرا لقوله (وأُمُّهُ هاوِيَةٌ) ، ثم قال : وما أدراك ما الهاوية ؟ هى نار حامية .

وقوله (أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) يقول : أو أطعم فى يوم ذى مجاعة ، والساغب : الجائع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَوْ أَطْعِمْ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) : يوم مجاعة .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنى خالد بن حيان الرقى أبو يزيد ، عن جعفر بن برقان ، عن عكرمة فى قول الله : (أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) قال : ذى مجاعة .

---

(١) البيت من معلقة طرفة بن العبد البكرى (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ٣١٧) قال : أحضر : رواه البصريون برفع الراء ، ورواه الكوفيون بنصبها ، على تقدير (أن) فى غير المواضع العشرة المعروفة . والوغى : الحرب . وأصله : أصوات المحاربين . يقول : أيها الإنسان الذى يلومنى على حضور الحرب ، وحصول اللذات ، هل تخلدنى فى الدنيا إذا كففت عنها ؟ اهـ.

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) قال : الجوع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) يقول : يوم يُشْتَهى فيه الطعام .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عثمان الثقفيّ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) قال : مجاعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عثمان بن المُغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) قال : مجاعة .

وقوله (يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ) يقول : أو أطعَمَ في يوم مجاعة صغيرا لاأب له من قرابته ، وهو اليتيم ذو المقربة ؛ وعُني بذى المقربة : ذا القرابة .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ) قال : ذا قرابة .

وقوله (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (ذَا مَتْرَبَةٍ) فقال بعضهم : عُني بذلك : ذو اللصوق بالتراب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، قال : أخبرني المُغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : الذي ليس له مأوى إلا التراب .

حدثنا مُطَرِّف بن محمد الضبي ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شعبة ، عن المُغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن حُصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قول الله (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : الذي لا يُواريه إلا التراب .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شعبة ، عن المُغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : الذي ليس له مَأْوًى إلا التراب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثني جرير ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : الذي ليس له مَأْوًى إلا التراب .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال المسكين : المطروح في التراب .

حدثني أبو حصين ، قال : ثنا عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عَبْثَر ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : الذي لا يقيه من التراب شيء .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا حصين والمغيرة كلاهما ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال فى قوله (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : هو اللازق بالتراب من شدّة الفقر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : التراب الملقى على الطريق على الكُناسة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طَلْق بن غنام ، عن زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : هو المسكين الملقى بالطريق بالتراب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الحصين ، عن مجاهد (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : المطروح فى الأرض ، الذى لايقيه شيء دون التراب .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : هو المُلزق بالأرض ، لايقيه شيء من التراب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين وعثمان بن المُغيرة ، عن مجاهد عن ابن عباس (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال الذى ليس له شيء يقيه من التراب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : ساقط فى التراب .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن جعفر بن برقان ، قال : سمع عكرمة (أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ) قال : الملتزق بالأرض من الحاجة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عكرمة ، فى قوله (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : التراب اللاصق بالأرض .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عثمان بن المُغيرة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : المُلقى فى الطريق الذى ليس له بيت إلا التراب .

وقال آخرون : بل هو المحتاج ، كان لاصقا بالتراب ، أو غير لاصق ؛ وقالوا : إنما هو من قولهم : تَرِب الرجل : إذا افتقر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) يقول : شديد الحاجة .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن عكرمة ، فى قوله (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : هو المحارَف الذى لامال له .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : ذا حاجة ، الترب : المحتاج .

وقال آخرون : بل هو ذو العيال الكثير الذين قد لصقوا بالتراب من الضرّ وشدّة الحاجة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) يقول : مسكين ذو بنين وعيال ، ليس بينك وبينه قرابة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر بن أبي المُغيرة ، عن سعيد بن جُبير ، في قوله (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : ذا عيال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) كنا نحدّث أن الترب هو ذو العيال الذي لاشيء له .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) ذا عيال لاصقين بالأرض ، من المسكنة والجهد .

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة : قول من قال : عُني به : أومسكينا قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة ، لأن ذلك هو الظاهر من معانيه . وأن قوله (مَتْرَبَةٍ) إنما هي «مَفْعَلة» من تَرِب الرجل : إذا أصابه التراب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۞ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۞ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ۞ ﴾

يقول تعالى ذكره : ثم كان هذا الذي قال (أَهْلَكْتُ مالاً لُبَداً) من الذين آمنوا بالله ورسوله ، فيؤمن معهم كما آمنوا (وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ) يقول : وممن أوصى بعضهم بعضا بالصبر على ما نابهم في ذات الله (وَتَوَاصَوْا بِالمَرْحَمَةِ) يقول : وأوصى بعضهم بعضا بالمرحمة .

كما حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَتَوَاصَوْا بِالمَرْحَمَةِ) قال : مَرْحَمة الناس .

وقوله (أُولَئِكَ أصحابُ المَيْمَنَةِ) يقول الذين فعلوا هذه الأفعال التي ذكرتها ، من فكّ الرقاب ، وإطعام اليتيم ، وغير ذلك ، أصحاب اليمين ، الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة .

وقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِنا) يقول : والذين كفروا بأدلتنا وأعلامنا وحججنا من الكتب والرسل وغير ذلك (هُمْ أصحابُ المَشْأَمَةِ) يقول : هم أصحاب الشمال يوم القيامة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال . وقد بيّنا معنى المشأمة ، ولم قيل لليسار المشأمة فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ) يقول تعالى ذكره : عليهم نارجهنم يوم القيامة مُطْبَقَة ، يقال منه : أوصدت وآصدت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ) قال : مُطْبَقة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) قال : مطْبَقة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ) : أى مطْبَقة ، أطبقها الله عليهم ، فلا ضوء فيها ولا فرج ، ولا خروج منها آخر الأبد .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مُؤْصَدَةٌ) : مغلقة عليهم .

آخر تفسير سورة لا أقسم بهذا البلد

---

(٩١) سورة الشمس مكية
وآياتها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝

قوله (والشَّمْسِ وَضُحاها) قسم أقسم ربنا تعالى ذكره بالشمس وضحاها ؛ ومعنى الكلام : أقسم بالشمس ، وبضحى الشمس .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (وَضُحاها) فقال بعضهم : معنى ذلك : والشمس والنهار ، وكان يقول : الضحى : هو النهار كله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والشَّمْسِ وَضُحاها) قال : هذا النهار .

وقال آخرون : معنى ذلك : وضوءها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) قال : ضوءها .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : أقسم جلّ ثناؤه بالشمس ونهارها ، لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار .

وقوله (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) يقول تعالى ذكره : والقمر إذا تبع الشمس ، وذلك في النصف الأوّل من الشهر ، إذا غربت الشمس ، تلاها القمر طالعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) قال : يتلو النهار .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد ، قوله (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) يعني : الشمس إذا تبعها القمر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) قال : تبعها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) يتلوها صبيحة الهلال فإذا سقطت الشمس رؤى الهلال .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) قال : إذا تلاها ليلة الهلال .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (والشَّمْسِ وَضُحَاهَا ، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) قال : هذا قسم ، والقمر يتلو الشمس نصف الشهر الأوّل ، وتتلوه النصف الآخر ، فأما النصف الأوّل فهو يتلوها ، وتكون أمامه وهو وراءها ، فإذا كان النصف الآخر كان هو أمامها يقدمها ، وتليه هي .

وقوله (وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا) يقول : والنهار إذا جلاها ، قال : إذا أضاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا) قال : إذا غشيها النهار . وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك بمعنى : والنهار إذا جلّى الظلمة ، ويجعل الهاء والألف من جلاها كناية عن الظلمة ، ويقول : إنما جاز الكناية عنها ، ولم يجر لها ذكر قبل ، لأن معناها معروف ، كما يعرف معنى قول القائل : أصبحت باردة ، وأمست باردة ، وهبّت شمالا ، فكنى عن مؤنثات لم يجر لها ذكر ، إذ كان معروفا معناهن .

والصواب عندنا فى ذلك : ما قاله أهل العلم الذين حكينا قولهم ، لأنهم أعلم بذلك ، وإن كان للذى قاله من ذكرنا قوله من أهل العربية وجه .

وقوله (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا) يقول تعالى ذكره : والليل إذا يغشى الشمس ، حتى تغيب فتظلم الآفاقُ .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا) : إذا غَشَّاها الليل .

وقوله (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا) يقول جلّ ثناؤه : والسماء ومَنْ بناها ، يعنى : ومَنْ خلقها ، وبناؤه إياها : تصييره إياها للأرض سقفا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا) وبناؤها : خَلْقُها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا) قال : الله بنى السماءَ .

وقيل : (وَمَا بَنَاهَا) وهو جلّ ثناؤه بانيها ، فوضع « ما » موضع « مَنْ » ، كما قال (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) ، فوضع « ما » فى موضع « مَنْ » ، ومعناه : ومَن ولد ، لأنه قَسَمٌ أقسم بآدم وولده ، وكذلك (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) ، وقوله (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ) وإنما هو : فانكحوا مَنْ طاب لكم . وجائز توجيه ذلك إلى معنى المصدر ، كأنه قال : والسماء وبنائها ، ووالد وولادته .

وقوله (وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) وهذه أيضا نظير التى قبلها ، ومعنى الكلام : والأرض ومَنْ طحاها . ومعنى قوله (طَحَاهَا) : بسطها يمينا وشمالا ، ومن كلّ جانب .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (طَحَاهَا) فقال بعضهم : معنى ذلك : والأرض وما خلق فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) يقول : ما خلق فيها .

وقال آخرون : يعنى بذلك : وما بسطها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عُمارة ، قال : ثنا عُبيد الله بن موسى ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدّثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) قال : دحاها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا طَحَاهَا) قال : بَسَطَها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما قسمها .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَالأَرْضِ وَما طَحاها) يقول : قسمها .

وقوله (وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها) يعني جلّ ثناؤه بقوله (وَما سَوَّاها) نفسه ، لأنه هو الذي سوّى النفسَ وخلقها ، فعدّل خلقها ، فوضع « ما » موضع « مَنْ » ، وقد يُحتمل أن يكون معنى ذلك أيضا المصدر ، فيكون تأويله : ونفس وتسويتها ، فيكون القسم بالنفس وبتسويتها .

وقوله (فألهَمها فُجُورَها وَتَقْوَاها) يقول تعالى ذكره : فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير ، أو شرّ ، أو طاعة ، أو معصية .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فأَلهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها) يقول : بَيَّنَ الخيرَ والشرَّ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فأَلهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها) يقول : بيّن الخيرَ والشرَّ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس: (فأَلهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها) قال : علّمها الطاعة والمعصية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فأَلهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها) قال : عرّفها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (فأَلهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها): فبيّن لها فجورها وتقواها .

وحُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فأَلهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها) ، بيّن لها الطاعةَ والمعصيةَ .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان (فأَلهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها) قال : أعلمها المعصيةَ والطاعةَ .

قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان، عن الضحاك بن مزاحم (فأَلهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها) قال : الطاعةَ والمعصيةَ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن الله جعل فيها ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فأَلهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها) قال : جعل فيها فجورَها وتقواها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل ، قالا : ثنا عزرة بن ثابت ، قال : ثني يحيى بن عقيل ، عن يحيى بن يَعْمَر ، عن أبي الأسود الدِّيلِيّ ، قال : قال لي عمران بن حُصين : أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه ، أشيء قُضِيَ عليهم ، ومضى عليهم من قَدَرٍ قد سبق ، أو فيما يستقبلون ، مما أتاهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام ، وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت : بل شيء قُضِيَ عليهم ، قال : فهل يكون ذلك ظلما ؟ قال : ففزعت منه فزعا شديدا ، قال : قلت له : ليس شيء إلا وهو خَلْقُه ، ومِلْكُ يده ، لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون . قال : سدّدك الله ، إنما سألتك « أظنه أنا » لأختَبِرَ عقلك ، « إن رجلا من مُزَيْنة أو جهينة ، أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، أرأيتَ ما يعملُ الناس فيه ويتكادحون : أشيء قضي عليهم ، ومضى عليهم من قَدَرٍ سبق ، أو فيما يستقبلون ، مما أتاهم به نبيهم عليه السلام ، وأكّدت به عليهم الحجة ؟ قال : فِي شَيْءٍ قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِمْ ؛ قال : ففيم نعملُ ؟ قال : مَنْ كانَ اللهُ خَلَقَهُ لإحْدَى المَنْزِلَتَيْنِ يُهَيِّئُهُ لَهَا ، وَتَصْدِيقُ ذلكَ فِي كِتابِ اللهِ (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاها ، فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها) » .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝١١ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥ ﴾

❁ قوله (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها) يقول : قد أفلح من زكّى اللهُ نفسه ، فكثّر تطهيرها من الكفر والمعاصي ، وأصلحها بالصالحات من الأعمال .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها) يقول : قد أفلح من زكّى اللهُ نفسَه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مَهْران ، عن سفيان ، عن خَصيف ، عن مجاهد وسعيد بن جُبير وعكرمة : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها) قالوا : من أصلحها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد وسعيد بن جُبير ، ولم يذكر عكرمة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها) من عمل خيرا زكّاها بطاعة الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**) **قال**: قد أفلح من زكّى نفسَه بعمل صالح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**) يقول : قد أفلح من زكى اللهُ نفسَه .

وهذا هو موضع القسم ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قد وقع القسم هاهنا (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) وقد ذكرتُ ما تقول أهل العربية في ذلك فيما مضى من نظائره قبلُ .

وقوله (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) يقول تعالى ذكره : وقد خاب في طلبته ، فلم يُدرك ما طلب والتمس لنفسه من الصلاح مَنْ دساها ، يعني : من دَسَّس الله نفسه فأخملها ، ووضع منها ، بخُذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصيَ ، وترك طاعة الله . وقيل : دسَّاها وهي دَسَّسها ، فقُلبت إحدى سيناتها ياء ، كما قال العجّاج :

تَقَضِّيَ البازِي إذا البازِي كَسَرْ [1]

يريد: تَقَضُّض . وتظنَّيت هذا الأمر ، بمعنى : تظننت ، والعرب تفعل ذلك كثيرا ، فتبدل في الحرف المشدّد بعضَ حروفه ، ياء أحيانا ، وواوا أحيانا ؛ ومنه قول الآخر :

يَذْهَبُ بِي فِي الشِّعْرِ كُلَّ فَنِّ
حتى يَرُدَّ عَنِّي التَّظَنِّي [2]

يريد : التظنن .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (**وَقَدْ خَابَ مَنْ** دَسَّاهَا) يقول : وقد خاب من دَسَّى الله نفسَه فأضلَّه .

حدثني محمد بن سعد ، قال: ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس: (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) يعني : تكذيبها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد وسعيد بن جُبير (**وَقَدْ** خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) قال : أحدهما أغواها ، وقال الآخر : أضلَّها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد (**وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**) قال : أضلها ، وقال سعيد : من أغواها .

(١) تقدم الكلام على هذا الشاهد في الجزء (٩ : ٢٤٣) فارجع إليه .

(٢) في هذا الرجز شاهد على أن التظني : أصله التظنن ، أبدلت النون الثانية ياء ، وهو كثير في كلام العرب . وقبل البيتين ثلاثة أبيات ؛ وهي :

إِنِّي وإن كنتُ حديثَ السِّنِّ وكان في العينِ نُبُوٌّ عَنِّي فإنَّ شَيطاني أميرُ الجِنِّ

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَنْ دَسَّاها) قال : أغواها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها) قال : أثّمها وأفجرها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَدْ خابَ) يقول : وقد خاب من دسَّى اللهُ نفسَه .

وقوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها) يقول : كذّبت ثمود بطغيانها ؛ يعنى : بعذابها الذى وعدهموه صالح عليه السلام ، فكان ذلك العذاب طاغيا طغى عليهم . كما قال جلّ ثناؤه (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن كان فيه اختلاف بين أهل التأويل .

ذكر من قال القول الذى قلنا فى ذلك

حدثنى سعيد بن عمرو السَّكونىّ ، قال : ثنا الوليد بن سَلَمة الفِلَسْطِينىّ ، قال : ثنى يزيد بن سمرة المَذحِجىّ عن عطاء الخُراسانىّ ، عن ابن عباس ؛ فى قول الله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها) قال : اسم العذاب الذى جاءها ، الطَّغْوَى ، فقال : كذّبت ثمود بعذابها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها) : أى بالطغيان .

وقال آخرون : كذّبت ثمود بمعصيتهم اللهَ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها) قال : معصيتها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها) قال : بطغيانهم وبمعصيتهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك بأجمعها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يحيى بن أيوب وابن لَهيعة ، عن عُمارة بن غزية ، عن محمد بن رفاعة القُرَظِىّ ، عن محمد بن كعب ، أنه قال : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها) قال : بأجمعها .

حدثنى ابن عبد الرحيم البَرْقىّ ، قال : ثنا ابن أبى مَرْيم ، قال : أخبرنى يحيى بن أيوب ، قال : ثنى عُمارة بن غزية ، عن محمد بن رفاعة القُرَظِىّ ، عن محمد بن كعب ، مثله .

وقيل (طَغْوَاها) بمعنى : طغيانهم ، وهما مصدران ، للتوفيق بين رءوس الآى ، إذ كانت الطَّغْوى أشبه بسائر رءوس الآيات فى هذه السورة ، وذلك نظير قوله (وآخِرُ دَعْوَاهُمْ) : بمعنى : وآخر دعائهم .

وقوله (إذِ انْبَعَثَ أشْقاها) يقول : إذ ثار أشقى ثمود ، وهو قُدَار بن سالف .

كما حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا الطُّفاوىّ ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمْعَة ، قال : « خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر فى خطبته الناقة ، والذى عَقَرها ، فقال : (إذِ انْبَعَثَ أشْقاها : انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عارِمٌ ، مَنِيعٌ فِى رَهْطِهِ ، مِثْلُ أبى زَمْعَةَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (إذِ انْبَعَثَ أشْقاها) يعنى أُحَيْمِرَ ثَمود .

وقوله (فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ) يعنى بذلك جلّ ثناؤه : صالحا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لثمود صالحٌ (ناقَةَ اللهِ وَسُقْياها) احذَروا ناقة الله وسُقياها ، وإنما حذّرهم سُقيا الناقة ، لأنه كان تقدّم إليهم عن أمر الله ، أن للناقة شِرْبَ يوم ، ولهم شِرْب يومٍ آخر ، غير يوم الناقة ، على ما قد بيَّنت فيما مضى قبل .

وكما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ناقَةَ اللهِ وسُقْياها) قَسْم الله الذى قسم لها من هذا الماء .

وقوله (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها) يقول : فكذّبوا صالحا فى خبره الذى أخبرهم به ، من أن الله الذى جعل شِرْبَ الناقة يوما ، ولهم شربُ يوم معلوم ، وأن اللهَ يحلّ بهم نقمته ، إن هم عقروها ، كما وصفهم جلّ ثناؤه فقال : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعادٌ بِالْقارِعَةِ) ، وقد يحتمل أن يكون التكذيب بالعقْر . وإذا كان ذلك كذلك ، جاز تقديم التكذيب قبل العقر ، والعقر قبل التكذيب ، وذلك أن كلّ فعل وقع عن سبب حسن ابتداؤه قبل السبب وبعده ، كقول القائل : أعطيت فأحسنت ، وأحسنت فأعطيت ، لأن الإعطاء : هو الإحسان ، ومن الإحسان الإعطاء ، وكذلك لو كان العَقْر هو سبب التكذيب ، جاز تقديم أىّ ذلك شاء المتكلم .

وقد زعم بعضهم أن قوله (فَكَذَّبُوهُ) كلمة مكتفية بنفسها ، وأن قوله (فَعَقَرُوها) جواب لقوله (إذِ انْبَعَثَ أشْقاها) كأنه قيل : إذ انبعث أشقاها فعقرها ، فقال : وكيف ؟ قيل (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها) وقد كان القوم قبل قتل الناقة مُسَلِّمين ، لها شرب يوم ، ولهم شرب يوم آخر . قيل : جاء الخبر أنهم بعد تسليمهم ذلك ، أجمعوا على منعها الشربَ ، ورضُوا بقتلها ، وعن رضا جميعهم قَتَلها قاتِلُها ، وعَقَرها مَنْ عقرها ولذلك نُسب التكذيب والعقر إلى جميعهم ، فقال جلّ ثناؤه (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها) .

وقوله (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاها) يقول تعالى ذكره : فدمّر عليهم ربهم بذنبهم ذلك ، وكفرهم به ، وتكذيبهم رسوله صالحا ، وعَقْرهم ناقته (فَسَوَّاها) يقول : فسوّى الدمدمة عليهم جميعهم ، فلم يُفْلِت منهم أحد .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ

بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاها) ذُكر لنا أن أحيمرَ ثمود أبى أن يعقرَها ، حتى بايعه صغيرهم وكبيرُهم ، وذكرُهم وأنثاهم ، فلما اشترك القومُ فى عقرْها دمدم الله عليهم بذنبهم فسوّاها .

حدثنى بشر بن آدم ، قال : ثنا قُتيبة ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت الحسن يقول : لما عقروا الناقةَ طلبوا فَصيلَها ، فصار فى قارة الجبل ، فقطع اللهُ قلوبَهم .

وقوله (وَلا يَخافُ عُقْباها) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : لايخاف تبعة دَمْدمته عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال : لايخاف اللهُ من أحد تَبِعةً .

حدثنى إبراهيم بن المستمرّ ، قال : ثنا عثمان بن عمرو ، قال : ثنا عمر بن مرثد ، عن الحسن ، فى قوله (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال : ذاك ربنا تبارك وتعالى ، لايخاف تبعةً مما صنع بهم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن عمرو بن منبه ، هكذا هو فى كتابى ، سمعت الحسن قرأ : (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال : ذلك الربّ صنع ذلك بهم ، ولم يخف تبعةً .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَلا يَخاف عُقْباها) قال : لايخاف تبعتهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا يَخافُ عقباها) يقول : لايخاف أن يُتْبَعَ بشىء مما صَنَعَ بهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال محمد بن عمرو فى حديثه ، قال : الله (لا يَخافُ عُقْباها) . وقال الحارث فى حديثه : الله لايخاف عقباها .

حدثنى محمد بن سنان ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا رزين بن إبراهيم ، عن أبى سليمان ، قال : سمعت بكر بن عبد الله المُزَنىّ يقول فى قوله (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال : لايخاف الله التبعةَ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولم يخف الذى عقرها عقباها : أى عُقْبى فَعْلَتِهِ التى فعل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا أبو رَوْق ، قال : ثنا الضحاك (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال : لم يَخَفِ الذى عقرها عقباها .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن السُّدّىّ : (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال : لم يخف الذى عقرها عقباها .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن السدىّ (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال : الذى لا يخاف الذى صنع ، عقْبَى ما صنع .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والشام (فَلا يَخافُ عُقْباها) بالفاء ، وكذلك ذلك فى مصاحفهم . وقرأته عامة قرّاء العراق فى المِصْرين بالواو (وَلا يَخاف عُقْباها) وكذلك هو فى مصاحفهم .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، غير مختلفتى المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

واختلفت القرّاء فى إمالة ما كان من ذوات الواو فى هذه السورة وغيرها ، كقوله (وَالقَمَرِ إذَا تَلاها — وَما طَحاها) ونحو ذلك ، فكان يفتح ذلك كلَّه عامةُ قرّاء الكوفة ، ويُميلون ما كان من ذوات الياء ، غير عاصم والكسائى ، فإن عاصما كان يفتح جميعَ ذلك ، ما كان منه من ذوات الواو وذوات الياء ، لا يُضْجِعُ منه شيئا . وكان الكسائىّ يكسر ذلك كلَّه . وكان أبو عمرو ينظر إلى اتساق رءوس الآى ، فإن كانت متسقة على شيء واحد ، أمال جميعَها . وأما عامة قرّاء المدينة ، فإنهم لا يميلون شيئا من ذلك الإمالة الشديدة ، ولا يفتحونه الفتحَ الشديد ، ولكن بين ذلك ، وأفصح ذلك وأحسنه : أن ينظر إلى ابتداء السورة ، فإن كانت رءوسها بالياء ، أُجْرِى جميعُها بالإمالة غير الفاحشة ، وإن كانت رءوسها بالواو ، فتحت وجرى جميعها بالفتح غير الفاحش ، وإذا انفرد نوع من ذلك فى موضع ، أميل ذوات الياء الإمالة المعتدلة ، وفتح ذوات الواو الفتح المتوسِّط . وإن أُميلت هذه ، وفُتحت هذه لم يكن لحنا ، غير أن الفصيح من الكلام هو الذى وصفنا صفته .

آخر تفسير سورة والشمس وضحاها

---

(٩٢) سورة الليل مكية
وآياتها إحدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝

يقول تعالى ذكره مُقْسِما بالليل إذا غَشَّى النهار بظلمته ، فأذهب ضوءه ، وجاءت ظُلمته : (واللَّيْلِ إذَا يَغْشَى) النهار (والنَّهارِ إذَا تَجَلَّى) وهذا أيضا قسم ، أقسم بالنهار إذا هو أضاء فأنار ، وظهر للأبصار ،

ما كانت ظلمة الليل قد حالت بينها وبين رؤيته وإتيانه إياها عيانا. وكان قتادة يذهب فيما أقسم الله به من الأشياء أنه إنما أقسم به لعظم شأنه عنده .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) قال : آيتان عظيمتان يكورهما الله على الخلائق .

وقوله (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) يحتمل الوجهين اللذين وصفت فى قوله (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ، وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) وهو أن يجعل «ما» بمعنى « مَنْ » ، فيكون ذلك قسما من الله جل ثناؤه بخالق الذكر والأنثى ، وهو ذلك الخالق ، وأن تجعل « ما » مع ما بعدها بمعنى المصدر ، ويكون قسما بخلقه الذكر والأنثى .

وقد ذُكر عن عبد الله بن مسعود وأبى الدرداء : أنهما كانا يقرآن ذلك (وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى) ويأثره أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الخبر بذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : فى قراءة عبد الله : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ، وَالذَّكَرِ والأُنْثَى) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا هشام بن عبد الملك[1] ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى المُغيرة ، قال : سمعت إبراهيم يقول : أتى علقمة الشأم ، فقعد إلى أبي الدرداء ، فقال : ممن أنت ؟ فقلت : من أهل الكوفة ، فقال : كيف كان عبد الله يقرأ هذه الآية (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) فقلت : (وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى) قال : فما زال هؤلاء حتى كادوا يستضلونني وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا حاتم بن وَرْدان ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : أتينا الشأم ، فدخلت على أبى الدرداء ، فسألنى فقال : كيف سمعت ابن مسعود يقرأ هذه الآية : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى والنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى) قال : قلت (وَالذَّكَرِ والأُنْثَى) قال : كفاك ، سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ؛ وحدثنى إسحاق بن شاهين الواسطىّ ، قال : ثنا خالد بن عبد الله عن داود ، عن عامر ، عن علقمة ، قال : قدمت الشأم ، فلقيت أبا الدرداء ، فقال : من أين أنت ؟ فقلت من أهل العراق ؟ قال : من أيها ؟ قلت : من أهل الكوفة ، قال : هل تقرؤه قراءة ابن أمّ عبد ؟ قلت : نعم ، قال : اقرأ (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) قال : فقرأت (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذَّكَرِ والأُنْثَى) قال : فضحك ، ثم قال : هكذا سمعت مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنى داود ، عن عامر ، عن علقمة ، عن أبى الدَّرداء ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال : قدمت

(١) هو هشام بن عبد الملك اليزنى المتوفى سنة ٢٥١ هـ . أو هشام بن عبد الملك الباهلى المتوفى سنة ٢٢٧ هـ . ولم أجد لهما ثالثا فى خلاصة الخزرجى .

الشأم ، فأتى أبو الدرداء، فقال : فيكم أحد يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قال : فأشاروا إلىّ ، قال : قلت أنا ، قال : فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، والنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى وما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) قال : وأنا هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فهؤلاء يريدونى على أن أقرأ (وَما خَلَقَ الذَّكَرِ والأُنْثَى) فلا أنا أتابعهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) قال فى بعض الحروف (وَالذَّكَرَ وَالأُنْثَى) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن إسماعيل ، عن الحسن أنه كان يقرؤها (وَما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) يقول : والذى خلق الذكر والأنثى ؛ قال هارون قال أبو عمرو : وأهل مكة يقولون للرعد : سبحانَ ما سبَّحْتَ له .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن مِقْسَم الضَّبِّىّ ، عن إبراهيم بن يزيد بن أبى عمران ، عن علقمة بن قيس أبى شبل: أنه أتى الشام ، فدخل المسجد فصلَّى فيه ، ثم قام إلى حَلْقة فجلس فيها ؛ قال : فجاء رجل إلىّ ، فعرفت فيه تحوّش القوم وهيبتهم له ، فجلس إلى جنبى ، فقلت : الحمد لله إنى لأرجو أن يكون الله قد استجاب دعوتى ، فإذا ذلك الرجل أبو الدرداء ، قال : وما ذاك ؟ فقال علقمة : دعوت الله أن يرزقنى جليسا صالحا ، فأرجو أن يكون أنت ، قال : مِنْ أين أنت ؟ قلت: من الكوفة ، أو من أهل العراق من الكوفة . قال أبو الدرداء : ألم يكن فيكم صاحب النعلين والوساد والمِطْهَرة ، يعنى ابن مسعود ، أو لم يكن فيكم من أجير على لسان النبىّ صلى الله عليه وسلم من الشيطان الرجيم ، يعنى عَمَّار بن ياسر ، أو لم يكن فيكم صاحب السرّ الذى لايعلمه غيره ، أو أحد غيره ، يعنى حُذَيفة بن اليمان ، ثم قال : أيكم يحفظ كما كان عبد الله يقرأ ؟ قال : فقلت : أنا، قال : اقرأ (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، والنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى) قال علقمة : فقرأت الذكر والأنثى ، فقال أبو الدرداء : والذى لاإله إلا هو ، كذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوه إلى فىّ ، فما زال هؤلاء حتى كادوا يردّونى عنها .

وقوله (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) يقول: إن عملكم لمختلف أيها الناس ، لأن منكم الكافر بربه، والعاصى له فى أمره ونهيه ، والمؤمن به ، والمطيع له فى أمره ونهيه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) يقول : لمختلف .

وقوله (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) جواب القسم ، والكلام : والليل إذا يغشى إن سعيكم لشتى ، وكذا قال أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: وقع القسم هاهنا (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى).

وقوله (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى) يقول تعالى ذكره : فأما من أعطى واتقى منكم أيها الناس فى سبيل الله ، ومن أَمَرَهُ الله بإعطائه من ماله ، وماوهب له من فضله ، واتقى الله واجتنب محارمه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى) قال : أعطى ما عنده واتقى ، قال : اتقى ربه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِىّ ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى) من الفضل (واتَّقَى) : اتقى ربه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى) حقّ الله (وَاتَّقَى) محارم الله التى نهى عنها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى) يقول : من ذكر الله ، واتقى الله .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) فقال بعضهم : معنى ذلك : وصدّق بالخلف من الله ، على إعطائه ما أعطى من ماله فيما أَعْطَى فيه مما أمره الله باعطائه فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال : وصدّق بالخَلَف من الله .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) يقول : وصدّق بالخلَف من الله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِىّ ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) بالخلَف .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا إسماعيل بن موسى السدىّ ، قال : أخبرنا بشر بن الحكم الأحمسىّ ، عن سعيد بن الصلت ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال : أيقن بالخلف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن عكرمة (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال : بالخلف .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن عكرمة (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال : بأن الله سيخلف له .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى هاشم المكىّ ، عن مجاهد (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال بالخلف .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي بكر الهُذليّ ، عن شَهْر بن حَوْشَب ، عن ابن عباس : (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال : بالخَلَف .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن نَصْر بن عربيّ ، عن عكرمة ، قال : بالخَلَف .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وصدّق بأن الله واحد لاشريك له .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمر بن عليّ المُقَدّميّ ، قال : ثنا أشعث السجستانيّ ، قال : ثنا مِسْعَر ؛ وحدثنا أبو كُرَيب قال : ثنا وكيع ، عن مِسْعَر عن أبي حصين ، عن أبي عبد الرحمن (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال : بلاإله إلا الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن أبي عبد الرحمن مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن أبي عبد الرحمن ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عُبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) : بلا إله إلا الله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) : يقول : صدّق بلا إله إلا الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وصدّق بالجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال : بالجنة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثني محمد بن محبب ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : بل معناه : وصدق بموعود الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال : بموعود الله على نفسه ، فعمل بذلك الموعود الذي وعده الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال : صدّق المؤمن بموعود الله الحسن .

☆ وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، وأولاها بالصواب عندي : قول من قال : عُني به التصديق بالخلف من الله على نفقته .

وإنما قلت : ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك ، لأن الله ذكر قبله مُنفقا أنفق طالبا بنفقته الخَلَف منها

فكان أولى المعانى به أن يكون الذى عقيبه الخبر عن تصديقه بوعد الله إياه بالخلف إذ كانت نفقته على الوجه الذى يرضاه ، مع أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا فى ذلك ورد .

ذكر الخبر الوارد بذلك

حدثنى الحسن بن سلمة بن أبى كبشة ، قال : ثنا عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عبّاد بن راشد ، عن قتادة قال : ثنى خُلَيد العَصَرىّ ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مامِنْ يَوْمٍ غَرَبَتْ فيهِ شَمْسُهُ ، إلاَّ و بِجَنْبَيْها مَلَكانِ يُنادِيانِ ، يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللهِ كُلُّهُمْ إلاَّ الثَّقَلَيْنِ : اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقا خَلَفا ، وأعْطِ مُمْسِكا تَلَفا ، فأنْزَلَ اللهُ فى ذلك القرآن (فَأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى) . . . إلى قوله (لِلْعُسْرَى) » .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه .

ذكر الخبر بذلك

حدثنى هارون بن إدريس الأصمّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عُبيد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق ، عن عامر بن عبد الله بن الزّبير ، قال : كان أبو بكر الصدّيق يُعْتِق على الإسلام بمكة ، فكان يُعْتِق عجائز ونساء إذا أسلمن ، فقال له أبوه : أى بُنَىَّ أراك تُعْتِق أناسا ضعفاء ، فلو أنك أعتقت رجالا جلدا يقومون معك ، ويمنعونك ، ويدفعون عنك ، فقال : أى أبت ، إنما أريد « أظنه قال » : ماعند الله ، قال : فحدثنى بعض أهل بيتى ، أن هذه الآية أنزلت فيه (فأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) .

وقوله (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) يقول : فسنهيئه للخَلَّة اليُسْرَى ، وهى العمل بما يرضاه الله منه فى الدنيا ، ليوجب له به فى الآخرة الجنة .

وقوله (وأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى) يقول تعالى ذكره : وأما من بخل بالنفقة فى سبيل الله ، ومنع ما وهب الله له من فضله ، من صرفه فى الوجوه التى أمر الله بصرفه فيها ، واستغنى عن ربه ، فلم يرغب إليه بالعمل له بطاعته ، بالزيادة فيما خوّله من ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مَسْعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى) قال : بخل بما عنده ، واستغنى فى نفسه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة عن ابن عباس (وَأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى) وأما من بخل بالفضل ، واستغنى عن ربه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَأمَّا مَنْ بَخِلَ واسْتَغْنَى) يقول : من أغناه الله ، فبخل بالزكاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى) : وأما من بخل بحقّ الله عليه ، واستغنى فى نفسه عن ربه .

وأما قوله (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله نحو اختلافهم فى قوله (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) وأما نحن فنقول : معناه : وكذّب بالخلف .

كما حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (وكَذَّبَ بِالْحُسْنَى) : وكذّب بالخلف .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى) بالخلف من الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكَذَّبَ بِالْحُسْنَى) وكذّب بموعود الله الذى وعد ، قال الله (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى) وكذّب الكافر بموعود الله الحسن .

وقال آخرون : معناه : وكذّب بتوحيد الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى) : وكذّب بلا إله إلا الله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى) بلا إله إلا الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وكذّب بالجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى) قال : بالجنة .

وقوله (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) يقول تعالى ذكره : فسنهيئه فى الدنيا للخلّة العسرى ، وهو من قولهم : قد يسرت غنم فلان : إذا ولدت وتهيأت للولادة ، وكما قال الشاعر :

هُمَا سَيِّدَانَا يَزْعُمانِ وإنَّمَا يَسُودَانِنا أنْ يَسَّرَتْ غَنَمَاهُمَا[1]

وقيل (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) ولا تيسر فى العُسرى للذى تقدّم فى أوّل الكلام من قوله (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) وإذا جمع بين كلامين أحدهما ذكر الخير والآخر ذكر الشرّ ، جاز ذلك بالتيسير فيهما جميعا ، والعُسرى التى أخبر الله جلّ ثناؤه أنه ييسره لها : العمل بما يكرهه ولا يرضاه .

(١) تقدم استشهاد المؤلف بهذا البيت فى الجزء (٢٩ : ٥٦) وقد شرحناه ، فارجع إليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الخبر بذلك

حدثنى واصل بن عبد الأعلى وأبو كُرَيب ، قالا : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن سعد بن عُبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السُّلمىّ ، عن علىّ ، قال : « كُنَّا جلوسا عند النبىّ صلى الله عليه وسلم . فنكَتَ الأرض ، ثم رفع رأسه فقال : ما مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ ، قلنا : يا رسول الله أفلا نتكل ؟ قال : لا ، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ، ثم قرأ (فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا زائدة بن قُدامة ، عن منصور ، عن سعد بن عُبيدة عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، عن علىّ ، قال : « كنا فى جنازة فى البقيع ، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلسنا معه ، ومعه عود يَنْكُتُ فى الأرض ، فرفع رأسه إلى السماء فقال : ما مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلاَّ قَدْ كُتِبَ مَدْخَلُها ، فقال القوم : يا رسول الله ألا نتكل على كتابنا ، فمن كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة ، ومن كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء ، فقال : بَلِ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ، فأمَّا مَنْ كانَ مِنْ أهْلِ السَّعادَةِ فإنَّهُ يُيَسَّرُ لِعَمَلِ السَّعادَةِ ، وأمَّا مَنْ كانَ مِنْ أهْلِ الشَّقاءِ فإنَّهُ يُيَسَّرُ للشَّقاءِ ، ثم قرأ (فأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وكَذَّبَ بالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) » .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السلمىّ ، عن علىّ ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور والأعمش : أنهما سمعا سعد بن عُبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، عن علىّ ، عن النبىّ ، صلى الله عليه وسلم « أنه كان فى جنازة ، فأخذ عودا ، فجعل ينكُت فى الأرض ، فقال : ما مِنْ أحَدٍ إلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أوْ مِنَ الجَنَّةِ ، فقالوا : يا رسول الله أفلا نتّكل ؟ قال : اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ (فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وكَذَّبَ بالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) » .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور والأعمش ، عن سعد بن عُبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، عن علىّ رضى الله عنه قال : « كنا جلوسا مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فتناول شيئا من الأرض بيده ، فقال : ما مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلاَّ وَقَدْ عَلِمَ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، قالوا : يا نبىّ الله ، أفلا نتكل ؟ قال : لا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، ثم قرأ (فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى) . . . الآيتين .

قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن عبد الملك بن سَمُرة بن أبي زائدة، عن النَّزّال بن سَبْرَة، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلاَّ قَدْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْها ما هِيَ لاقِيَتُهُ» وأعرابي عند النبيّ صلى الله عليه وسلم مُرتاد، فقال الأعرابيّ: فما جاء بي أضرب من وادي كذا وكذا، إن كان قد فُرِغ من الأمر، فنكت النبيّ صلى الله عليه وسلم في الأرض، حتى ظنّ القوم أنه ودّ أنه لم يكن تكلم بشيء منه، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، فَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يَسَّرَهُ لِسَبِيلِ الخَيْرِ، وَمَنْ يُرِدْ بِهِ شَرًّا يَسَّرَهُ لِسَبِيلِ الشَّرّ، فلقيت عمرو بن مُرّة، فعرضت عليه هذا الحديث، فقال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم، وزاد فيه: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى؛ وأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وكَذَّبَ بالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)».

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا حصين، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي، قال: «لما نزلت هذه الآية (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) قال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ أفي شيء نستأنفه، أو في شيء قد فُرِغ منه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، سَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى».

حدثني عمرو بن عبد الملك الطائي، قال: ثنا محمد بن عبيدة، قال: ثنا الجراح، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن الحجاج بن أرطاة، عن أبي إسحاق الهمداني، عن سليمان الأعمش، رفع الحديث إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالسا وبيده عود ينكُت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ وَلا مِنَ النَّاسِ، إلاَّ وَقَدْ عُلِمَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ أَوِ النَّارِ، قلنا: يا رسول الله أفلا نتوكل؟ قال لهم: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، ثم قال: أما سَمِعْتُمُ اللهَ في كِتابِهِ يَقُولُ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى؛ وأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيّ، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى): للشرّ من الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي الزّبير، عن جابر بن عبد الله أنه قال: «يارسول الله، أنعمل لأمر قد فُرِغ منه، أو لأمر نأتنفه؟ فقال صلى الله عليه وسلم: كُلُّ عامِلٍ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ».

حدثني يونس، قال: ثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن طلق بن حبيب، عن بشير بن كعب، قال: «سأل غلامان شابان النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقالا: يا رسول الله، أنعمل فيما جفّت به الأقلام، وجرت به المقادير، أو في شيء يستأنف؟ فقال: بَلْ فِيما جَفَّتْ بِهِ الأقْلامُ، وَجَرَتْ بِهِ المَقادِيرُ،

قالا : ففيم العمل إذن ؟ قال : اعْمَلُوا ، فَكُلٌّ عامِلٍ مُيَسَّرٌ لعَمَلِهِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ ، قالا : فالآن نجدّ ونعمل » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾

❁ يعني جلّ ثناؤه بقوله (وَما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ) : أيّ شيء يدفع عن هذا الذي بخل بماله ، واستغنى عن ربه ، مالُه يوم القيامة (إِذَا) هو (تَرَدَّى) .

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (إِذَا تَرَدَّى) فقال بعضهم : تأويله : إذا تردّى فى جهنم : أى سقط فيها فَهَوَى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الأشجعيّ ، عن ابن أبى خالد ، عن أبى صالح (وَما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إِذَا تَرَدَّى) قال : فى جهنم . قال أبو كُرَيب : قد سمع الأشجعيّ من إسماعيل ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إِذَا تَرَدَّى) قال : إذا تردّى فى النار .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا مات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إِذَا تَرَدَّى) قال : إذا مات .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِذَا تَرَدَّى) قال : إذا مات .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الأشجعيّ ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : إذا مات .

❁ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه : إذا تردّى فى جهنم ، لأن ذلك هو المعروف من التردّى ، فأما إذا أُريد معنى الموت ، فإنه يقال : رَدِيَ فلان ، وقلما يقال : تردّى .

وقوله (إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدَى) يقول تعالى ذكره : إن علينا لَبيانَ الحقّ من الباطل ، والطاعة من المعصية . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال . ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى) يقول : على الله البيان ، بيانُ حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .

وكان بعض أهل العربية يتأوّله بمعنى : أنه من سلك الهدى فعلى الله سبيله ، ويقول : وهو مثل قوله (وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) ويقول : معنى ذلك : من أراد الله فهو على السبيل القاصد ، وقال : يقال معناه : إن علينا للهُدى والإضلال ، كما قال (سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ) وهى تقى الحرّ والبرد .

وقوله (وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولى) يقول : وإن لنا مِلْك ما فى الدنيا والآخرة ، نعطى منهما من أردنا من خلقنا ، ونحرمه من شئنا .

وإنما عَنَى بذلك جلّ ثناؤه أنه يوفق لطاعته من أحبّ من خلقه ، فيكرمه بها فى الدنيا ، ويهيئ له الكرامة والثواب فى الآخرة ، ويخذُل من يشاء خذلانه من خلقه عن طاعته ، فيهينه بمعصيته فى الدنيا ، ويخزيه بعقوبته عليها فى الآخرة .

ثم قال جلّ ثناؤه (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى) يقول تعالى ذكره : فأنذرتكم أيها الناس نارا تتوهّج وهى نار جهنم ، يقول : احذروا أن تعصوا ربكم فى الدنيا ، وتكفروا به ، فتَصْلَوْنها فى الآخرة . وقيل : تلظّى ، وإنما هى تتلظّى ، وهى فى موضع رفع ، لأنه فعل مستقبل ، ولو كان فعلا ماضيا لقيل : فأنذرتكم نارا تلظّت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (نَارًا تَلَظَّى) قال : تَوَهَّج .

وقوله (لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الأَشْقَى) يقول جلّ ثناؤه : لا يدخلها فيصلى بسعيرها إلا الأشقى ، الذى كذّب وتولّى : يقول : الذى كذّب بآيات ربه ، وأعرض عنها ، ولم يصدّق بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا هشام بن الغاز ، عن مكحول ، عن أبى هريرة ، قال : لتدخُلُنّ الجنة إلا من يأبى ، قالوا : يا أبا هريرة : ومن يأبى أن يدخل الجنة ؟ قال : فقرأ (الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى) .

حدثنى الحسن بن ناصح ، قال : ثنا الحسن بن حبيب ومعاذ بن معاذ ، قالا : ثنا الأشعث ، عن الحسن فى قوله (لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الأَشْقَى) قال مُعاذ : الذى كذّب وتولى ، ولم يقله الحسن ، قال : المشرك .

وكان بعض أهل العربية يقول: لم يكن كذب بردّ ظاهر، ولكن قصّر عما أمر به من الطاعة، فجُعل تكذيبا، كما تقول: لقى فلان العدوّ، فكذب إذا نكل ورجع. وذُكر أنه سمع بعض العرب يقول: ليس لحدّهم مكذوبة، بمعنى: أنهم إذا لقوا صدقوا القتال، ولم يرجعوا؛ قال: وكذلك قول الله (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ).

وقوله (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى) يقول: وسيوقّى صِلِىَّ النار التى تلظّى التقىّ، ووضع أفعل موضع فعيل، كما قال طرفة:

تَمَنَّى رِجالٌ أنْ أمُوتَ وَإنْ أمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فيها بأوْحَدِ[1]

وقوله (الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى) يقول: الذى يعطى ماله فى الدنيا فى حقوق الله التى ألزمه إياها، (يتزكى): يعنى: يتطهر بإعطائه ذلك من ذنوبه.

القول فى تأويل قوله تعالى:

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

كان بعض أهل العربية يوجه تأويل ذلك إلى: وما لأحد من خلق الله عند هذا الذى يؤتى ماله فى سبيل الله يتزكى (مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) يعنى: من يد يكافئه عليها، يقول: ليس ينفق ما ينفق من ذلك، ويعطى ما يعطى، مجازاة إنسان يجازيه على يد له عنده، ولا مكافأة له على نعمة سلفت منه إليه، أنعمها عليه، ولكن يؤتيه فى حقوق الله ابتغاء وجه الله. قال: وإلا فى هذا الموضع بمعنى لكن؛ وقال: يجوز أن يكون الفعل فى المكافأة مستقبلا، فيكون معناه: ولم يُرِد بما أنفق مكافأة من أحد، ويكون موقع اللام التى فى أحد فى الهاء التى خفضتها عنده، فكأنك قلت: وما له عند أحد فيما أنفق من نعمة يلتمس ثوابها، قال: وقد تضع العرب الحرف فى غير موضعه إذا كان معروفا، واستشهدوا لذلك ببيت النابغة:

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى ما تَزِيدُ مَخافَتِى على وَعِلٍ فِى ذِى المَطارَةِ عاقِلِ[2]

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٨) قال: لايصلاها إلا الأشقى: إلا الشقى. والعرب تضع «أفعل» فى موضع «فاعل» (يريد اسم الفاعل من الثلاثى، وما كان بمعناه من الصفات المشبهة به). قال أبو عبيدة: قال طرفة: تمنى رجال... البيت ولم أجده فى شعر طرفة؛ وهو من أبيات تقدمت الإشارة إليها فى الجزء (١٦ : ١٤١) عند قوله تعالى «يعلم السر وأخفى» وفى الجزء (٢١ : ٣٧) بأتم مما فى الموضع الأول، فارجع إليه فيهما.

(٢) البيت للنابغة الذبيانى. وقد سبق استشهاد المؤلف به فى الجزء (٢ : ٨١). وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٦٩) وقوله: «وما لأحد عنده من نعمة تجزى»: يقول: لم ينفق نفقته مكافأة ليد أحد عنده، ولكن أنفقها ابتغاء وجه ربه. فإلا فى هذا الموضع بمعنى «لكن»... وقد تضع العرب الحرف (الكلمة) فى غير موضعه، إذا كان المعنى معروفا، وقد قال الشاعر: «وقد خفت... البيت.» والمعنى: حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتى. اهـ.

والمعنى: حتى ما تزيد مخافة وعل على محافتي وهذا الذي قاله الذي حكينا قوله من أهل العربية، وزعم أنه مما يجوز هو الصحيح الذي جاءت به الآثار عن أهل التأويل وقالوا: نزلت في أبي بكر بعتقه من أعتق.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى، وَلَسَوْفَ يَرْضَى) يقول: ليس به مثابة الناس ولا مجازاتهم، إنما عطيته لله.

حدثني محمد بن إبراهيم الأنماطي، قال: ثنا هارون بن معروف. قال: ثنا بشر بن السري، قال: ثنا مصعب بن ثابت، عن عامر بن عبد الله عن أبيه، قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق: (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى، وَلَسَوْفَ يَرْضَى).

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: أخبرني سعيد، عن قتادة، في قوله (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) قال: نزلت في أبي بكر، أعتق ناسا لم يلتمس منهم جزاء ولا شكورا، ستة أو سبعة، منهم بلال، وعامر بن فهيرة، وعلى هذا التأويل الذي ذكرناه عن هؤلاء، ينبغي أن يكون قوله (إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى) نصبا على الاستثناء من معنى قوله (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) لأن معنى الكلام: وما يؤتى الذي يؤتى من ماله ملتمسا من أحد ثوابه، إلا ابتغاء وجه ربه. وجائز أن يكون نصبه على مخالفة ما بعد إلا ما قبلها، كما قال النابغة:

... ... وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

إِلَّا أَوَارِيَّ لَأْيًا مَا أُبَيِّنُهَا ... ... [1]

وقوله (وَلَسَوْفَ يَرْضَى) يقول: ولسوف يرضى هذا المؤتي ماله في حقوق الله عز وجل، يتزكى بما يثيبه الله في الآخرة عوضا مما أتى في الدنيا في سبيله، إذا لقي ربه تبارك وتعالى.

آخر تفسير سورة والليل إذا يغشى

---

(١) تقدم الكلام على هذا الشاهد في الجزء (٥ : ٢٧٦، ٢٧٧) فارجع إليه ثمة.

(٩٣) سورة الضحى مكية
وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨

⁂ أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالضحى، وهو النهار كله، وأحسب أنه من قولهم: ضَحِيَ فلان للشمس: إذا ظهر منه؛ ومنه قوله (وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيها وَلا تَضْحَى): أى لا يصيبك فيها الشمس.

وقد ذكرت اختلاف أهل العلم فى معناه، فى قوله (والشَّمْسِ وَضُحاها) مع ذكرى اختيارنا فيه. وقيل: عُنِى به وقت الضحى.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (والضُّحَى) ساعة من ساعات النهار.

وقوله (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) اختلف أهل التأويل فى تأويله، فقال بعضهم: معناه: والليل إذا أقبل بظلامه.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس. (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) يقول: والليل إذا أقبل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، فى قول الله (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) قال: إذا لَبِس الناسَ، إذا جاء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا ذهب.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) يقول: إذا ذهب.

وقال آخرون: معناه: إذا استوى وسكن.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مِهْران؛ وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع جميعا، عن سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) قال: إذا استوى.

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) قال : إذا استوى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) سكن بالخلق .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) يعني : استقراره وسكونه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنى ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) قال : إذا سكن ، قال : ذلك سَجْوه ، كما يكون سكون البحر سجوه .

وأولى هذه الأقوال بالصواب عندى فى ذلك قول من قال معناه : والليل إذا سكن بأهله ، وثبت بظلامه ، كما يقال : بحر ساج : إذا كان ساكنا ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

فَمَا ذَنْبُنَا إنْ جاشَ بَحْرُ ابنِ عَمِّكُمْ وَبَحْرُكَ ساجٍ ما يُوَارِى الدَّعامِصَا[1]

وقول الراجز :

يا حَبَّذَا القَمْرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجْ
وطُرُقٌ مِثْلُ مُلاءِ النَّسَّاجْ[2]

وقوله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) وهذا جواب القسم ، ومعناه : ماتركك يامحمد ربك وما أبغضك . وقيل : (وَما قَلَى) ومعناه : وما قلاك ، اكتفاء بفهم السامع لمعناه ، إذ كان قد تقدّم ذلك قولُه : (ما وَدَّعَكَ) فعُرف بذلك أن المخاطب به نبيّ الله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) يقول : ما تركك ربك ، وما أبغضك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) قال : ما قلاك ربك وما أبغضك ؛ قال : والقالى : المبغض .

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه ١٥١) . وفيه : أتوعدنى فى موضع « فما ذنبنا » . وجاش البحر : اضطرب ماؤه . وساج : ساكن لقلة مائه . والدعاميص : جمع دعموص ، وهو دودة سوداء تكون فى الغدران إذا قل ماؤها . والبيت من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ، يقول له : فيم وعيدك إياى ؟ أتوعدنى لأن كان شرف ابن عمك عامر كالبحر ، وكان شرفك فى قومك ضعيفا كالبحر الساكن القليل الماء ، لا يوارى أصغر ما فيه من الديدان ؟ والشاهد فى قوله : « سجا » بمعنى سكن . قال فى اللسان : قال الله تعالى : « والضحى والليل إذا سجا » معناه : سكن ودام . وقال الفراء : معناه : أظلم وركد فى طوله ، كما قال : بحر ساج ، وليل ساج : إذا ركد وأظلم . ومعنى ركد : سكن . وقال ابن الأعرابي : سجا : امتد بظلامه . ومنه البحر الساجى . قال الأعشى : « فما ذنبنا . . . . » البيت . اهـ .

(٢) هذان بيتان من مشطور الرجز ، نسبهما الزجاج إلى الحارثى . وليلة قمراء : مقمرة مضيئة . والساجى : تقدم شرحه فى الشاهد قبله . ويريد الطرق الملساء ، التى ليس فيها ارتفاع وانخفاض ، أو التى ليس فيها حجارة ولاحصى ليسهل سير الإبل فيها .

وذُكر أن هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عله وسلم تكذيبا من الله قريشا فى قيلهم لرسول الله ، لما أبطأ عليه الوحى : قد ودّع محمدا ربُّه وقلاه .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى علىّ بن عبد الله الدهان ، قال : ثنا مفضل بن صالح ، عن الأسود بن قيس العبدىّ ، عن ابن عبد الله، قال : «لما أبطأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت امرأة من أهله ، أومن قومه : ودّع الشيطان محمدا ، فأنزل الله عليه : (وَالضُّحَى) . . . إلى قوله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) » .

قال أبو جعفر : ابن عبد الله : هو جُندَب بن عبد الله البَجَلى .

حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى ، ومحمد بن هارون القطان ، قالا : ثنا سفيان ، عن الأسود بن قيس سمع جندبا البجلىّ يقول : « أبطأ جبريل على النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى قال المشركون : ودّع محمدا ربُّه ، فأنزل الله (وَالضُّحَى واللَّيْلِ إذَا سَجَى ، ماوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الأسود بن قيس ، أنه سمع جندبا البَجَلىّ قال : « قالت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أرى صاحبك إلا قد أبطأ عنك ، فنزلت هذه الآية : (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأسود بن قيس ، قال : سمعت جندب بن عبد الله يقول : «إن امرأة أتت النبىّ صلى الله عليه وسلم فقالت : ما أرى شيطانك إلا قد تركك ؛ فنزلت (والضُّحَى وَاللَّيْلِ إذَا سَجَى ، ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) » .

حدثنا ابن أبى الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا سليمان الشيبانىّ ، عن عبد الله بن شدّاد « أن خديجة قالت للنبىّ صلى الله عليه وسلم : ما أرى ربك إلا قد قلاك ، فأنزل الله (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إذَا سَجَى ، ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) قال : «إن جبريل عليه السلام أبطأ عليه بالوحى ، فقال ناس من الناس ، وهم يومئذ بمكة ، ما نرى صاحبك إلا قد قلاك فودّعك ، فأنزل الله ما تسمع : (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) قال : أبطأ عليه جبريل ، فقال المشركون : قد قلاه ربُّه وودّعه ، فأنزل الله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) مكث جبريل عن محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال المشركون : قد ودّعه ربه وقلاه ، فأنزل الله هذه الآية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس :

(ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى) قال : لما نزل عليه القرآن ، أبطأ عنه جبريل أياما ، فعُيِّر بذلك ، فقال المشركون : ودّعه ربه وقلاه ، فأنزل الله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : أبطأ جبريل على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فجزع جزعا شديدا ، وقالت خديجة : أرى ربك قد قَلاك ، مما نرى من جزعك ، قال : فنزلت (والضُّحَى واللَّيْلِ إذَا سَجَى ، ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى). . . إلى آخرها .

وقوله (وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لكَ مِنَ الأُولى) يقول تعالى ذكره : وللدار الآخرة ، وما أعدّ الله لك فيها ، خير لك من الدار الدنيا وما فيها : يقول : فلا تحزن على ما فاتك منها ، فإن الذى لك عند الله خير لك منها .

وقوله (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) يقول تعالى ذكره : ولسوف يعطيك يامحمد ربك فى الآخرة من فواضل نِعَمه ، حتى ترضى .

وقد اختلف أهل العلم فى الذى وعده من العطاء ، فقال بعضهم : هو ماحدثنى به موسى بن سهل الرمليّ ، قال : ثنا عمرو بن هاشم ، قال : سمعت الأوزاعيّ يحدّث ، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر المخزومى ، عن عليّ بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، قال : « عُرِض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهو مفتوح على أمته من بعده ، كَفْرًا كَفْرًا ، فسرّ بذلك ، فأنزل الله (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) فأعطاه فى الجنة ألف قصر ، فى كلّ قصر ، ما ينبغى من الأزواج والخدم » .

حدثنى محمد بن خلف العسقلانىّ ، قال : ثنى رَوّاد بن الجراح ، عن الأوزاعىّ ، عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن عليّ بن عبد الله بن عباس ، فى قوله (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) قال : ألف قصر من لؤلؤ ، ترابهنّ المسك ، وفيهنّ ما يصلحهنّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) ، وذلك يوم القيامة .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى به عباد بن يعقوب ، قال : ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) قال : من رضا محمد صلى الله عليه وسلم ألاّ يدخل أحد من أهل بيته النار .

وقوله (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيما فَآوَى) يقول تعالى ذكره معدّدا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نِعَمه عنده ، ومذكّره آلاءه قِبَلَه : ألم يجدك يامحمد ربك يتيما فآوى ، يقول : فجعل لك مَأْوًى تأوى إليه ، ومنزلا تنزله (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى) ووجدك على غير الذى أنت عليه اليوم .

وقال السدىّ فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن السدىّ (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ) قال : كان على أمر قومه أربعين عاما . وقيل : عُنِى بذلك : ووجدك فى قوم ضُلاَّل فهداك .

وقوله (وَوَجَدَكَ عائِلاً فَأَغْنَى) يقول : ووجدك فقيرا فأغناك، يقال منه : عال فلان يَعيل عَيْلَةً، وذلك إذا افتقر ؛ ومنه قول الشاعر :

فَمَا يَدْرِى الفَقِيرُ مَتَى غِناه　　　وَمَا يَدْرِى الغَنِى مَتَى يَعِيلُ[1]

يعني : متى يفتقر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان (وَوَجَدَكَ عائِلاً) فقيرا . وذُكر أنها فى مصحف عبد الله (وَوَجَدَكَ عَدِيما فآوَى) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيما فآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عائِلاً فأغْنَى) قال : كانت هذه منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل أن يبعثه الله سبحانه وتعالى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَأَمَّا الْيَتِيمَ) يامحمد (فَلا تَقْهَرْ) يقول : فلا تظلمه ، فتذهب بحقه ، استضعافا منك له .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ) : أى لا تظلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان، عن منصور ، عن مجاهد (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ) قال : تُغْمِصْه وتحقِرْه . وذُكر أن ذلك فى مصحف عبد الله (فَلا تَكْهَرْ) .

وقوله (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ) يقول : وأما من سألك من ذى حاجة فلا تنهره ، ولكن أطعمه واقض له حاجته (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) : يقول : فاذكره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن مجاهد ، فى قوله (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) قال : بالنبوّة .

---

(1) تقدم الاستشهاد بالبيت فى الجزء (٤ : ٢٣٩ ، ١٠ : ١٠٦) . وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن . قال : « ووجدك عائلا » : ذا فقر . قال : وما يدرى الفقير . . . يعيل » أى يفتقر . اهـ . وفى (اللسان : عيل) : عال يعيل عيلا وعيلة وعيولا (بالضم والكسر) ومعيلا : افتقر . اهـ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علَيّة ، قال : ثنا سعيد بن إياس الجريريّ ، عن أبي نضرة ، قال : كان المسلمون يرون أن من شُكْرِ النعم أن يحدّث بها .

آخر تفسير سورة الضحى ، ولله الحمد والشكر

(٩٤) سُورَةُ الشَّرْحِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝ ﴾

☆ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، مذكّره آلاءه عنده ، وإحسانه إليه ، حاضا له بذلك على شكره على ما أنعم عليه ، ليستوجب بذلك المزيد منه (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ) يامحمد، للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحقّ (صَدْرَكَ) فنلين لك قلبك ، ونجعله وعاء للحكمة (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ) يقول: وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك ، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها ، وهي في قراءة عبد الله فيما ذُكر (وَحَلَلْنا عَنْكَ وِقْرَكَ ، الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) يقول: الذي أثقل ظهرك فأوهنه ، وهو من قولهم للبعير إذا كان رجيع سفر ، قد أوهنه السفر ، وأذهب لحمه : هو نِقْضُ سَفَر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ) قال : ذنبك . وقوله (أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) قال : أثقل ظهرك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ ، الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) : كانت للنبيّ صلى الله عليه وسلم ذنوب قد أثقلته، فغفرها الله له .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال: ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) قال: كانت للنبيّ صلى الله عليه وسلم ذنوب قد أثقلته ، فغفرها الله له .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله : (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ) يعنى : الشرك الذى كان فيه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ) قال : شرح له صدرَه ، وغفر له ذنبَه الذى كان قبل أن يُنَبَّأ ، فوضعه .

وفى قوله (الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) قال : أثقله وجهده ، كما يُنْقِضُ البعيرَ حِمْلُه الثقيل ، حتى يصير نِقْضًا بعد أن كان سمينا (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ) قال : ذنبك الذى أنقض ظهرك : أثقل ظهرك ، ووضعناه عنك ، وخفّفنا عنك ما أثقل ظهرك .

وقوله (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) يقول : ورفعنا لك ذكرك ، فلا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معى ، وذلك قول : لاإله إلا الله ، محمد رسول الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب وعمرو بن مالك ، قالا : ثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) قال : لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معى : أشهد أن لاإله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « ابْدَءُوا بالعُبُودَةِ ، وَثَنُّوا بالرسالة » فقلت لمعمر : قال : أشهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا عبده ، فهو العبودة ، ورسوله أن تقول : عبده ورسوله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ، ولا متشهد ، ولاصاحب صلاة ، إلا ينادى بها ، أشهد أن لاإله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن درّاج ، عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخُدْرىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : «أتانى جِبْرِيلُ فَقَالَ : إنَّ رَبِّى وَرَبَّكَ يَقُولُ : كَيْفَ رَفَعْتُ لَكَ ذِكْرَكَ ؟ قال : اللهُ أعْلَمُ ، قال : إذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِى » .

وقوله (فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا ، إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإنّ مع الشدّة التى أنت فيها ، من جهاد هؤلاء المشركين ، ومن أوّله : ما أنت بسبيله ، رجاء وفرجا بأن يُظْفِرَك بهم ، حتى ينقادوا للحقّ الذى جئتهم به طوعا وكَرها .

ورُوِى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « أن هذه الآية لما نزلت ، بَشّر بها أصحابه وقال : لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ » .

ذكر الخبر بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت يونس ، قال : قال الحسن : لما

نزلت هذه الآية (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَبْشِرُوا أتاكُمُ اليُسْرُ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن يونس، عن الحسن، مثله، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ، قال : « خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا فَرِحا وهو يضحك، وهو يقول: لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا) ذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشَّر أصحابه بهذه الآية ، فقال : « لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر، قال : ثنا سعيد ، عن معاوية بن قرة أبي إياس ، عن رجل ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « لو دخل العسر فى جُحْر ، لجاء اليسر حتى يدخل عليه ، لأن الله يقول (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع، عن شعبة ، عن رجل ، عن عبد الله ، بنحوه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) قال: يتبع اليسرُ العُسرَ .

وقوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم: معناه : فإذا فرَغت من صلاتك ، فانصب إلى ربك فى الدعاء ، وسله حاجاتك .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال: ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ) يقول : فى الدعاء .

حدثني محمد بن سعد ، قال: ثنى أبي ، قال: ثنى عمى ، قال: ثنى أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس: (فَإِذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ) يقول : فإذا فرغت مما فُرِض عليك من الصلاة فسل الله ، وارغب إليه ، وانصَب له .

حدثني محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ) قال: إذا قمت إلى الصلاة فانصَب فى حاجتك إلى ربك .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ) يقول: من الصلاة المكتوبة قبل أن تُسلِّم ، فانصَب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) قال : أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ فى دعائه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ) من صلاتك (فَانْصَبْ) فى الدعاء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (فَإِذَا فَرَغْتَ) من جهاد عدوّك (فَانْصَبْ) فى عبادة ربك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن فى قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ) قال : أمره إذا فرغ من غزوه ، أن يجتهد فى الدعاء والعبادة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ) قال عن أبيه ، فإذا فرغت من الجهاد ، جهاد العرب ، وانقطع جهادهم ، فانصب لعبادة الله (وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فإذا فرغت من أمر دنياك ، فانصب فى عبادة ربك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ) قال : إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب ، قال : فصلّ .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ) قال : إذا فرغت من أمر دنياك فانصب ، فصلّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ) قال : إذا فرغت من أمر الدنيا ، وقمت إلى الصلاة ، فاجعل رغبتك ونيتك له .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : إن الله تعالى ذكره ، أمر نبيه أن يجعل فراغه من كلّ ما كان به مشتغلا ، من أمر دنياه وآخرته ، مما أدّى له الشغل به ، وأمره بالشغل به إلى النصب فى عبادته ، والاشتغال فيما قربه إليه ، ومسألته حاجاته ، ولم يخصُصْ بذلك حالا من أحوال فراغه دون حال ، فسواء كلّ أحوال فراغه ، من صلاة كان فراغه ، أو جهاد ، أو أمر دنيا كان به مشتغلا ، لعموم الشرط فى ذلك ، من غير خصوص حال فراغ ، دون حال أخرى .

وقوله (وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) يقول تعالى ذكره : وإلى ربك يا محمد فاجعل رغبتك ، دون من سواه من خلقه ، إذ كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم فى حاجاتهم إلى الآلهة والأنداد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) قال : اجعل نيتك ورغبتك إلى الله .

حدثنا أبو كُريب ، قال: ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) قال : اجعل رغبتك ونيتك إلى ربك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) قال : إذا قمت إلى الصلاة .

آخر تفسير سورة ألم نشرح

(٩٥) سورة التين مكية وآياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) فقال بعضهم: عُني بالتين: التين الذي يؤكل، والزيتون : الزيتون الذي يُعْصَر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا روح ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قول الله (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) قال : تينكم هذا الذي يؤكل ، وزيتونكم هذا الذي يُعصر .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت الحكم يحدّث ، عن عكرمة ، قال : التين : هو التين ، والزيتون : الذي تأكلون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) قال : تينكم وزيتونكم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُليّة ، عن أبي رجاء ، قال : سُئل عكرمة عن قوله (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) قال : التين تينكم هذا ، والزيتون : زيتونكم هذا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) قال : التين الذي يُؤكل ، والزيتون : الذي يعصر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع جميعا ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) قال : الفاكهة التي تأكل الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سلام بن سليم ، عن خَصِيف ، عن مجاهد (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) قال : هو تينكم وزيتونكم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، في قوله (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) قال : التين الذي يؤكل ، والزيتون الذي يُعصر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبيّ (التِّينِ والزَّيْتُونِ) هو الذي ترون.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قال : قال الحسن ، في قوله (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) : التين تينكم ، والزيتون زيتونكم هذا .

وقال آخرون : التين : مسجد دمشق ، والزيتون : بيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا رَوْح ، قال : ثنا عوف ، عن يزيد أبي عبد الله ، عن كعب أنه قال في قول الله (وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ) قال : التين : مسجد دمشق ، والزيتون : بيت المقدس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (والتِّينِ) قال : الجبل الذي عليه دمشق (والزَّيْتُونِ) : الذي عليه بيت المقدس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) ذُكر لنا أن التين الجبل الذي عليه دمشق ، والزيتون : الذي عليه بيت المقدس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وسألته عن قول الله (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) قال : التين : مسجد دمشق ، والزيتون : مسجد إيلياء .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي بكر ، عن عكرمة (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) قال : هما جبلان.

وقال آخرون : التين : مسجد نوح ، والزيتون : مسجد بيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) يعني مسجد نوح الذي بني على الجُودِيّ ، والزيتون : بيت المقدس ؛ قال : ويقال : التين والزيتون وطور سينين : ثلاثة مساجد بالشام .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : قول من قال : التين : هو التين الذى يُؤكل ، والزيتون : هو الزيتون الذى يُعصر منه الزيت ، لأن ذلك هو المعروف عند العرب ، ولا يُعرف جبل يسمى تينا ، ولا جبل يقال له زيتون ، إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالتين والزيتون . والمراد من الكلام: القسَم بمنابت التين ، ومنابت الزيتون ، فيكون ذلك مذهبا ، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك، دلالة فى ظاهر التنزيل ، ولا من قول من لايجوّز خلافه ، لأن دمشق بها منابت التين ، وبيت المقدس منابت الزيتون .

وقوله (وَطُورِسِينِينَ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : هو جبل موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه ومسجده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال: ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن قتادة ، عن قزعة ، قال: قلت لابن عمر : إنى أريد أن آتى بيت المقدس (وَطُورِ سِينِينَ) فقال : لا تأت طورسينين ، ما تريدون أن تدعوا أثر نبىّ إلا وطئتموه . قال قتادة (وَطُورِسِينِينَ) : مسجد موسى صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن بشار ، قال: ثنا روح ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَطُورِسِينِينَ) قال : جبل موسى .

قال : ثنا عوف ، عن يزيد أبى عبد الله ، عن كعب ، فى قوله (وَطُورِسِينِينَ) قال : جبل موسى صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَطُورِسِينِينَ) قال : هو الطُّور .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَطُورِسِينِينَ) قال : مسجد الطور .

وقال آخرون : الطُّور : هو كلّ جبل يُنْبِتُ . وقوله (سِينِينَ) : حسن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرمة ، فى قوله (وَطُورِسِينِينَ) قال : هو الحسن ، وهى لغة الحبشة ، يقولون للشىء الحسن : سينا سينا .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، قال : سُئل عكرمة ، عن قوله (وَطُورِسِينِينَ) قال : طُور : جبل ، وسينين : حَسَنٌ بالحبشية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الصباح بن محارب ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : صليت خلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه المغرب ، فقرأ فى أوّل ركعة (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وطُورِسِينِينَ) قال : هو جبل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت الحكم يحدّث ، عن عكرمة (وَطُورِسِينِينَ) قال : سواء علىّ نبات السهل والجبل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَطُورِ سِينِينَ) قال : الجبل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمّل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد (وَطُورِسِينِينَ) : جبل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَطُورِسِينِينَ) الجبل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن النضر ، عن عكرمة ، قال : الطور : الجبل ، والسينين : الحسن ، كما ينبت فى السهل ، كذلك ينبت فى الجبل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبىّ ، أما (طُورِسِينِينَ) فهو الجبل ذو الشجر .

وقال آخرون : هو الجبل ، وقالوا : سينين : مبارك حسن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَطُورِ) : الجبل (وسِينِينَ) قال : المبارك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَطُورِسِينِينَ) قال : جبل مبارك بالشام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَطُورِ سِينِينَ) قال : جبل بالشام ، مُبارك حسن .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : طورسينين : جبل معروف ، لأن الطور هو الجبل ذو النبات ، فإضافته إلى سينين تعريف له ، ولو كان نعتا للطور ، كما قال : من قال معناه : حسن أو مبارك ، لكان الطور منوّنا ، وذلك أن الشىء لا يُضاف إلى نعته ، لغير علة تدعو إلى ذلك .

وقوله (وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ) يقول : وهذا البلد الآمن من أعدائه أن يحاربوا أهله ، أو يغزوهم . وقيل : الأمين ، ومعناه : الآمن ، كما قال الشاعر :

أَلَمْ تَعْلَمِى يا أَسْمَ وَيحَكِ أَنَّنِى ... حَلَفْتُ يَمِينا لا أَخُونُ أَمِينِى[1]

يريد : آمنى ، وهذا كما قال جلّ ثناؤه : (أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً ، وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) .

(١) البيت من شواهد الفراء (٣٧١) قال : وقوله « وهذا البلد الأمين » مكة . يريد الآمن . والعرب تقول للآمن : الأمين . قال الشاعر : « ألم تعلمى . . . البيت » .

وقال آخرون : قيل ذلك لأنه ليس شيء من الحيوان إلا وهو منكبّ على وجهه غير الإنسان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ فِي أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) قال : خلق كلّ شيء منكبا على وجهه ، إلا الإنسان .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن معنى ذلك : لقد خلقنا الإنسان فى أحسن صورة وأعدلها ؛ لأن قوله (أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) إنما هو نعت لمحذوف ، وهو فى تقويم أحسن تقويم ، فكأنه قيل : لقد خلقناه فى تقويم أحسن تقويم .

وقوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ثم رددناه إلى أرذل العمر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : إلى أرذل العمر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : إلى أرذل العمر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) يقول : يردّ إلى أرذل العمر ، كبر حتى ذهب عقله ، وهم نفر رُدّوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سفهت عقولهم ، فأنزل الله عذرهم أن لهم أجرهم الذى عملوا قبل أن تذهب عقولهم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبي رجاء ، قال : سُئل عكرمة ، عن قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : ردّوا إلى أرذل العمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، فى قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) : قال : إلى أرذل العمر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : رددناه إلى الهرَم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : الهَرَم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت الحكم يحدّث ، عن عكرمة (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : الشيخ الهَرِم ، لم يضرّه كبرُه إن ختم الله له بأحسن ما كان يعمل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم رددناه إلى النار فى أقبح صورة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب . قال : ثنا وكيع . عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس . عن أبى العالية (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : فى شر صورة فى صورة خنزير .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا مهران . عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : النار .

حدثنا أبو كُرَيب . قال : ثنا وكيع ، عن سفيان . عن ابن أبى نجيح . عن مجاهد . قال : إلى النار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن . قال : ثنا سفيان . عن ابن أبى نجيح . عن مجاهد . قال : فى النار .

قال : ثنا مؤمل . قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : إلى النار .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : الحسن : جهنم مأواه .

حدثنا ابن عبد الأعلى . قال : ثنا ابن ثور . عن معمر ، عن قتادة . قال : قال الحسن . فى قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : فى النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد . فى قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : إلى النار .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصحة . وأشبهها بتأويل الآية ، قول من قال : معناه : ثم رددناه إلى أرذل العمر . إلى عمر الخَرِفىّ ، الذين ذهبت عقولهم من الهَرَم والكِبَر . فهو فى أسفل من سفل : فى إدبار العمر وذهاب العقل .

وإنما قلنا : هذا القول أولى بالصواب فى ذلك . لأن الله تعالى ذكره . أخبر عن خلقه ابن آدم . وتصريفه فى الأحوال ، احتجاجا بذلك على مُنكرى قدرته على البعث بعد الموت . ألا ترى أنه يقول : (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بالدِّينِ) يعنى : بعد هذه الحُجَج . ومحال أن يحتجّ على قوم كانوا مُنكرين معنى من المعانى ، بما كانوا له مُنكرين . وإنما الحجة على كلّ قوم بما لايقدرون على دفعه ، مما يعاينونه ويحسّونه . أو يقرّون به . وإن لم يكونوا له مُحسّين .

وإذْ كان ذلك كذلك ، وكان القوم للنار التى كان الله يتوعدهم بها فى الآخرة مُنكرين . وكانوا لأهل الهَرَم والخَرَف من بعد الشباب والجَلَد شاهدين ، عُلِم أنه إنما احتجّ عليهم بما كانوا له مُعاينين . من تصريفه خلقه ، ونقله إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد . إلى الهَرَم والضعف وفناء العمر . وحدوث الخَرَف .

وقوله (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) اختلف أهل التأويل فى معنى هذا الاستثناء . فقال

بعضهم : هو استثناء صحيح من قوله (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) قالوا : وإنما جاز استثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وهم جمع ، من الهاء فى قوله (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ) وهى كناية الإنسان ، والإنسان فى لفظ واحد ، لأن الإنسان وإن كان فى لفظ واحد ، فإنه فى معنى الجمع ، لأنه بمعنى الجنس ، كما قيل : (وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) قالوا : وكذلك جاز أن يقال (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) فيضاف أفعل إلى جماعة ، وقالوا : ولو كان مقصودا به قصدُ واحد بعينه ، لم يجز ذلك ، كما لا يُقال : هذا أفضل قائمين ، ولكن يقال : هذا أفضل قائم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن سعيد بن سابق ، عن عاصم الأحول ، عن عكرمة ، قال : من قرأ القرآن لم يُرَدَّ إلى أرذل العمر ، ثم قرأ (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ، إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) قال : لا يكونُ حتى لا يعلَم من بعد علم شيئا ، فعلى هذا التأويل قوله (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) لخاصٍّ من الناس ، غير داخل فيهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لأنه مستثنى منهم .

وقال آخرون : بل الذين آمنوا وعملوا الصالحات قد يدخلون فى الذين رُدّوا إلى أسفل سافلين ، لأن أرذل العُمر قد يردّ إليه المؤمن والكافر . قالوا : وإنما استثنى قوله (إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من معنى مضمر فى قوله (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) قالوا : ومعناه : ثم رددناه أسفل سافلين ، فذهبت عقولهم وخَرِفوا ، وانقطعت أعمالهم ، فلم تثبت لهم بعد ذلك حسنة . (إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فإن الذى كانوا يعملونه من الخير ، فى حال صحة عقولهم ، وسلامة أبدانهم ، جارٍ لهم بعد هَرَمهم وخَرَفهم .

وقد يُحتمل أن يكون قوله (إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) استثناء منقطعا ، لأنه يحسن أن يقال : ثم رددناه أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لهم أجر غير ممنون ، بعد أن يردّ أسفل سافلين .

ذكر من قال معنى هذا القول

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قال : فأيُّما رجل كان يعمل عملا صالحا وهو قوىّ شاب ، فعجز عنه ، جرى له أجر ذلك العمل حتى يموت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يقول : إذا كان يعمل بطاعة الله فى شبيبته كلها ، ثم كبر حتى ذهب عقله ، كُتب له مثل عمله الصالح ، الذى كان يعمل فى شبيبته ، ولم يؤاخذ بشىء مما عمل فى كبره ، وذهاب عقله ، من أجل أنه مؤمن ، وكان يطيع الله فى شبيبته .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، فى قوله (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ

أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : إلى أرذل العمر . فإذا بلغ المؤمن إلى أرذل العمر ، كُتب له كأحسن ما كان يعمل فى شبابه وصحته . فهو قوله (فَلَهُمْ أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ ، إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) فإنه يكتب له من الأجر ، مثل ما كان يعمل فى الصحة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حماد بن أبى سليمان ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) قال : إذا بلغ من الكبر ما يعجز عن العمل ، كُتب له ما كان يعمل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) فإنه يُكتب لهم حسناتهم ، ويُتجاوز لهم عن سيئاتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن أبى رَزِين ، عن ابن عباس (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ ، إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) قال : هم الذين أدركهم الكبر ، لا يؤاخذون بعمل عملوه فى كبرهم ، وهم هَرْمَى لا يعقلون .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، قال : سُئل عكرمة ، عن قوله (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ، فَلَهُمْ أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قال : يوفيه الله أجره أو عمله ، ولا يؤاخذه إذا رُدَّ إلى أرذل العمر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت الحكم يحدّث ، عن عكرمة (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ ، إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) قال : الشيخ الهَرِم لم يضرّه كبره إن ختم الله له بأحسن ما كان يعمل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) قال : من أدركه الهرم ، وكان يعمل صالحا ، كان له مثل أجره إذا كان يعمل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم رددناه أسفل سافلين فى جهنم ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم أجر غير ممنون . فعلى هذا التأويل : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات مستثنون من الهاء فى قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ) ، وجاز استثناؤهم منها إذ كانت كناية للإنسان ، وهو بمعنى الجمع ، كما قال : (إنَّ الإنْسانَ لَفِى خُسْرٍ ، إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ ، إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا) : إلا من آمن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، فى قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) : فى النار (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) قال الحسن : هى كقوله (وَالْعَصْرِ إنَّ الإنْسانَ لَفِى خُسْرٍ ، إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) .

وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصحة : قول من قال معناه : ثم رددناه إلى أرذل العمر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى حال صحتهم وشبابهم ، فلهم أجر غير ممنون بعد هرمهم ، كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمالهم ، فى حال ما كانوا يعملون وهم أقوياء على العمل .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة لما وصفنا من الدلالة على صحة القول بأن تأويل قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) إلى أرذل العمر .

واختلفوا فى تأويل قوله (غَيْرُ مَمْنُونٍ) فقال بعضهم : معناه : لهم أجر غير منقوص .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَلَهُمْ أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يقول : غير منقوص .

وقال آخرون : بل معناه : غير محسوب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَلَهُمْ أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) : غير محسوب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَهُمْ أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قال : غير محسوب .

قال : ثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم (فَلَهُمْ أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قال : غير محسوب .

وقد قيل : إن معنى ذلك : فلهم أجر غير مقطوع .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : فلهم أجر غير منقوص ، كما كان له أيام صحته وشبابه ، وهو عندى من قولهم : جبل مَنين : إذا كان ضعيفا ؛ ومنه قول الشاعر :

أعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمانِيَةٌ ما فى عَطائِهِمُ مَنٌّ وَلا سَرَفُ[١]

يعنى : أنه ليس فيه نقص ، ولا خطأ .

(١) البيت : لجرير بن الخطفى الشاعر الإسلامى . وسبق الاستشهاد به فى الجزء (٤ : ٢٥٤ ، ٨ : ٦٢) فارجع إليه فى الجزء الرابع ، فهو فيه أتم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝ ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ) فقال بعضهم معناه : فمن يكذّبك يامحمد بعد هذه الحجج التى احتججنا بها، بالدين ، يعنى : بطاعة الله ، وما بعثك به من الحقّ ، وأن الله يبعث من فى القبور ؟ قالوا : « ما » فى معنى « مَنْ » ، لأنه عُنى به ابن آدم ، ومن بعث إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فما يكذّبك أيها الإنسان بعد هذه الحجج بالدين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، قال : قلت لمجاهد (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) عُنى به النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ قال : مَعاذ الله ! عُنى به الإنسان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عمن سمع مجاهدا يقول (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) قلت : يعنى به : النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ قال : مَعاذ الله ! إنما يعنى به الإنسان .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) أعنى به النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ قال : معاذ الله ! إنما عُنِى به الإنسان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبيّ (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) ؟ إنما يعنى الإنسان ، يقول : خلقتك فى أحسن تقويم ، فما يكذّبك أيها الإنسان بعد بالدين .

وقال آخرون : إنما عُنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : استيقن مع ما جاءك من الله من البيان ، أن الله أحكم الحاكمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) أى استيقن بعد ما جاءك من الله البيانُ (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) ؟

✻ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : معنى « ما » معنى « مَنْ » . ووجه تأويل الكلام إلى : فمن يكذّبك يامحمد بعد الذى جاءك من هذا البيان من الله بالدين ؟ يعنى : بطاعة الله ، ومجازاته العباد على أعمالهم . وقد تأوّل ذلك بعض أهل العربية بمعنى : فما الذى يكذّبك بأن الناس يدانون بأعمالهم ؟ وكأنه قال : فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب ، بعد ما تبين له خلقنا الإنسان على ما وصفنا .

واختلفوا فى معنى قوله (بالدّين) فقال بعضهم : بالحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الرحمن بن الأسود الطُّفَاوى ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، عن النضر بن عربىّ ، عن عكرمة ، فى قوله (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) قال : الحساب .

وقال آخرون : معناه : بحكم الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) يقول : ما يكذّبك بحكم الله .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : الدين في هذا الموضع : الجزاء والحساب ، وذلك أن أحد معاني الدين في كلام العرب : الجزاء والحساب ؛ ومنه قولهم : كما تدين تُدان . ولا أعرف من معاني الدين « الحكم » في كلامهم ، إلا أن يكون مرادا بذلك : فما يكذّبك بعد بأمر الله الذي حكم به عليك أن تطيعه فيه ؟ فيكون ذلك .

وقوله (أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) يقول تعالى ذكره : أليس الله يا محمد بأحكم من حكم في أحكامه ، وفصل قضائه بين عباده ؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ذلك فيما بلغنا قال : بَلَى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلَيْسَ اللهَ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ؟) ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جُبير ، قال : كان ابن عباس إذا قرأ (أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ؟) قال : سبحانك اللهمّ ، وبَلى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : كان قتادة إذا تلا : (أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ؟) قال : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين ، أحسبه كان يرفع ذلك ، وإذا قرأ (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) ؟ قال : بلى ، وإذا تلا (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) قال : آمنت بالله ، وبما أنزل .

آخر تفسير سورة والتين

---

(٩٦) سُورَةُ العَلَقِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴿٨﴾

ﷺ يعنى جلّ ثناؤه بقوله (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ) محمدا صلى الله عليه وسلم يقول : اقرأ يامحمد بذكر ربك (الَّذِى خَلَقَ) ، ثم بين الذى خلق فقال : (خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ عَلَقٍ) يعنى : من الدم ، وقال : من علق ؛ والمراد به من علقة ، لأنه ذهب إلى الجمع ، كما يقال : شجرة وشجر ، وقصبة وقصب ، وكذلك علقة وعلق . وإنما قال : من علق والإنسان فى لفظ واحد ، لأنه فى معنى جمع ، وإن كان فى لفظ واحد ، فلذلك قيل : من علق .

وقوله (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ) يقول : اقرأ يا محمد وربك الأكرم (الَّذِى عَلَّمَ بِالقَلَمِ) خلقه الكتاب والخط .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) قرأ حتى بلغ (عَلَّمَ بِالقَلَمِ) قال : القلم : نعمة من الله عظيمة ، لولا ذلك لم يقم ، ولم يصلح عيش .
وقيل : إن هذه أوّل سورة نزلت فى القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن عثمان البصرى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا أبى ، قال : سمعت النعمان بن راشد يقول عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : « كان أوّل ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة . كانت تجىء مثل فلق الصبح ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان بغار حراء يتحنّث ، فيه الليالىَ ذوات العدد ، قبل أن يرجع إلى أهله ، ثُمَّ يَرْجِع إلى أهْلِهِ فيتزوّد لمثلها ، حتى فجأه الحقّ ، فأتاه ، فقال : يامحمد أنت رسول الله ، قال رسول الله : فَجَثَوْتُ لِرُكْبَتَىَّ وأنا قائمٌ ، ثُمَّ رَجَعْتُ تَرْجُفُ بَوادِرِى ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : زَمِّلُونِى زَمِّلُونِى ، حتى ذَهَبَ عَنِّى الرَّوْعُ ، ثُمَّ أتانِى فَقالَ : يا مُحَمَّدُ ، أنا جِبْرِيلُ وأنْتَ رَسُولُ الله ، قالَ : فَلَقَدْ هَمَمْتُ أنْ أطْرَحَ نَفْسِى مِنْ حالِقٍ مِنْ جَبَلٍ ، فَتَمَثَّلَ إلىَّ حِينَ هَمَمْتُ بذلكَ ، فَقالَ : يا مُحَمَّدُ ، أنا جِبْرِيلُ وأنْتَ رَسُولُ الله ، ثُمَّ قالَ : اقْرأْ ، قُلْتُ : ما أقْرأُ ؟ قال : فأخَذَنِى فَغَطَّنِى ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، حتى بَلَغَ مِنِّى الجَهْدُ ، ثُمَّ قالَ (اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) فَقَرأْتُ ، فأتَيْتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : لَقَدْ أشْفَقْتُ عَلَى نَفْسِى ، فأخْبَرْتُها خَبَرِى ، فَقالَتْ : أبْشِرْ ، فَوَالله لا يُخْزِيكَ اللهُ أبَدًا ، وَوَالله إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ ، وَتُؤَدِّى الأمانَةَ ، وتَحْمِلُ الكَلَّ ، وتَقْرِى الضَّيْفَ ، وتُعِينُ عَلَى نَوائِبِ الحَقِّ ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِى إلى وَرَقَةَ بنِ نَوْفَلِ بنِ أسَدٍ ، قالَتِ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أخِيكَ . فَسألَنِى ، فأخْبَرْتُهُ خَبَرِى ، فَقالَ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِى أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، لَيْتَنِى فِيها جَذَعٌ ، لَيْتَنِى أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، قُلْتُ : أوَ مُخْرِجِىَّ هُمْ ؟ قال : نَعَمْ ، إنَّهُ لَمْ يَجِئْ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ ، إلاَّ عُودِىَ ، ولَئِنْ أدْرَكَنِى يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، ثُمَّ كانَ أوَّلُ ما نَزَلَ عَلَىَّ مِنَ القُرآنِ بَعْدَ « اقْرأْ » : (ن والقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ ، ما أنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ، وَإنَّ لَكَ لأجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ

وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ، فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ) ، و (يا أيها المُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ) ، (والضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : ثني عروة أن عائشة أخبرته ، وذكر نحوه ، غير أنه لم يقل : ثم كان أوّل ما أُنزل عليّ من القرآن . . . الكلام إلى آخره .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا سليمان الشيباني ، قال : ثنا عبد الله بن شدّاد ، قال : أتى جبريل محمدا ، فقال يامحمد اقرأ ، فقال : وما أقرأ ؟ قال : فضمه ، ثم قال : يامحمد أقرأ ، قال : وما أقرأ ؟ قال (باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) حتى بلغ (عَلَّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) . قال : فجاء إلى خديجة ، فقال : يا خديجة ما أراه إلا قد عُرِض لي ، قالت : كَلَّا ، والله ما كان ربك يفعل ذلك بك ، وما أتيت فاحشة قطّ ؛ قال : فأتت خديجة ورقة ، فأخبرته الخبر ، قال : لئن كنتِ صادقة إن زوجكِ لنبيّ ، وليَلْقَيَنَّ من أمته شدّة ، ولئن أدركته لأومننّ به ؛ قال : ثم أبطأ عليه جبريل ، فقالت له خديجة : ما أرى ربك إلا قد قلاك ، فأنزل الله (وَالضُّحَى واللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهريّ ، قال : ثنا سفيان ، عن الزهريّ ، عن عُرْوة ، عن عائشة ، قال إبراهيم ، قال سفيان : حفظه لنا ابن إسحاق ، إن أوّل شيء أُنزل من القرآن (اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) .

حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري ، قال : ثنا سفيان ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريّ عن عروة ، عن عائشة ، أنّ أوّل سورة أُنزلت من القرآن (اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن عمرو بن دينار ، عن عُبيد بن عُمير ، قال أوّل سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) .

قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت عُبيد بن عُمير يقول : فذكر نحوه .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : ثنا قرّة ، قال : أخبرنا أبو رجاء العُطارديّ ، قال : كنا في المسجد الجامع ، ومقرئنا أبو موسى الأشعريّ ، كأني أنظر إليه بين بُردين أبيضين ؛ قال أبو رجاء : عنه أخذت هذه السورة (اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) وكانت أوّلَ سورة نزلت على محمد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : أوّل سورة نزلت من القرآن (اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن بن مهديّ ، قالا : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : أوّل ما نزل من القرآن (اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ) وزاد ابن مهديّ و (نّ والْقَلَمِ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت عُبيد بن عُمير يقول : أوّل ما أنزل من القرآن (اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) .

قال : ثنا وكيع ، عن قُرّة بن خالد ، عن أبي رجاء العطاردىّ ، قال : إنى لأنظر إلى أبى موسى وهو يقرأ القرآن فى مسجد البصرة ، وعليه بُردان أبيضان ، فأنا أخذت منه (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) ، وهى أوّلُ سورة أُنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : إن أوّل سورة أُنزلت (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) . ثم (نٓ وَالْقَلَمِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران . عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (عَلَّمَ الإِنْسَانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) يقول تعالى ذكره : علّم الإنسان الخطّ بالقلم ، ولم يكن يعلمه ، مع أشياء غير ذلك ، مما علمه ولم يكن يعلمه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عَلَّمَ الإِنْسَانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) قال : علّم الإنسان خطًّا بالقلم .

وقوله (كَلَّا) يقول تعالى ذكره : ما هكذا ينبغى أن يكون الإنسان أن يُنْعِمَ عليه ربُّه بتسويته خلقه . وتعليمه ما لم يكن يعلم ، وإنعامه بما لا كُفُوَ له ، ثم يكفر بربه الذى فعل به ذلك ، ويطغى عليه ، أن رآه استغنى .

وقوله (إِنَّ الإِنْسانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى) يقول : إن الإنسان ليتجاوز حدّه ، ويستكبر على ربه ، فيكفر به ، لأنْ رأى نفسه استغنت . وقيل : أن رآه استغنى لحاجة « رأى » إلى اسم وخبر ، وكذلك تفعل العرب فى كل فعل اقتضى الاسمَ والفعلَ ، إذا أوقعه المخبر عن نفسه على نفسه ، مكنيا عنها ، فيقول : متى تراك خارجا ؟ ومتى تحسبك سائرا ؟ فإذا كان الفعل لا يقتضى إلا منصوبا واحدا ، جعلوا موضع المكنى نفسه ، فقالوا : قتلت نفسك ، ولم يقولوا : قتلتك ولا قتلته .

وقوله (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) : يقول : إن إلى ربك يا محمد مَرْجِعَه ، فذائق من أليم عقابه ما لا قِبَل له به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَرَءَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝

ذُكر أن هذه الآية وما بعدها نزلت فى أبى جهل بن هشام ، وذلك أنه قال فيما بلغنا : لئن رأيت محمدا يصلى ، لأطأنّ رقبته ، وكان فيما ذُكر قد نَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى . فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أرأيت يا محمد أبا جهل الذى يَنْهاك أن تصلىَ عند المَقام ، وهو مُعرض عن الحقّ ، مكذّب به ، يُعجّب جلّ ثناؤه نبيه والمؤمنين من جهل أبى جهل ، وجراءته على ربه ، فى نهيه محمدا عن الصلاة لربه ، وهو مع أياديه عنده مكذّب به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أرأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إذَا صَلَّى) قال أبو جهل : يَنْهى محمدا صلى الله عليه وسلم إذا صلى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أرأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إذَا صَلَّى) نزلت فى عدوّ الله أبى جهل ، وذلك لأنه قال : لئن رأيت محمدا يصلّى لأطأنّ على عنقه ، فأنزل الله ماتسمعون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قول الله : (أرأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إذَا صَلَّى) قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدا صلى الله عليه وسلم يصلى ، لأطأنّ على عنقه ؛ قال : وكان يقال : « لكل أمة فرعون ، وفرعون هذه الأمة أبو جهل » .

حدثنا إسحاق بن شاهين الواسطىّ ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، فجاءه أبو جهل ، فنهاه أن يُصَلِّىَ ، فأنزل الله (أرأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إذَا صَلَّى) . . . إلى قوله (كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره (أرأَيْتَ إنْ كانَ) محمد (عَلَى الهُدَى) يعنى : على استقامة وسَداد فى صلاته (أوْ أمَرَ بالتَّقْوَى) أو أمر محمد هذا الذى يَنْهى عن الصلاة ، باتقاء الله ، وخوف عقابه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أرأَيْتَ إنْ كانَ عَلَى الهُدَى أوْ أمَرَ بالتَّقْوَى) قال محمد : كان على الهدى ، وأمر بالتقوى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : (أرأَيْتَ إنْ كَذَّبَ) أبو جهل بالحقّ الذى بَعَث به محمدا (وَتَوَلَّى) يقول وأدبر عنه ، فلم يصدق به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) يعنى : أبا جهل .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : ألم يعلم أبو جهل إذ ينهى محمدا عن عبادة ربه ، والصلاة له ، بأن الله يراه فيخاف سطوته وعقابه . وقيل : أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى ، أرأيت إن كان على الهدى ، فكررت أرأيت مرات ثلاثا على البدل . والمعنى : أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى ، وهو مكذّب متولّ عن ربه ، ألم يعلم بأن الله يراه .

وقوله (كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ) يقول : ليس كما قال : إنه يطأ عنق محمد ، يقول : لايقدر على ذلك ، ولا يصل إليه .

وقوله (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ) يقول : لئن لم ينته أبو جهل عن محمد (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) يقول : لنأخذن بمقدّم رأسه ، فلنضمنه ولنذلنه ؛ يقال منه : سَفَعْتُ بيده : إذا أخذت بيده . وقيل : إنما قيل (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) والمعنى : لنسوّدنّ وجهه ، فاكتفى بذكر الناصية من الوجه كله ، إذ كانت الناصية فى مقدم الوجه . وقيل : معنى ذلك : لنأخذنّ بناصيته إلى النار ، كما قال : (فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ)

وقوله (نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) فخفض ناصية ردّا على الناصية الأولى بالتكرير ، ووصف الناصية بالكذب والخطيئة ، والمعنى لصاحبها .

وقوله (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) يقول تعالى ذكره : فليدع أبو جهل أهل مجلسه وأنصاره ، من عشيرته وقومه ، والنادى : هو المجلس .

وإنما قيل ذلك فيما بلغنا ، لأن أبا جهل لما نهى النبيّ صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند المقام ، انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأغلظ له ، فقال أبو جهل : علام يتوعدنى محمد وأنا أكثر أهل الوادى ناديا ؟ فقال الله جلّ ثناؤه (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) ، فليدع حينئذ ناديه ، فإنه إن دعا ناديه ، دعونا الزبانية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الأخبار ، وقال أهل التأويل .

ذكر الآثار المروية فى ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الحكم بن جميع ، قال :

ثنا علىّ بن مُسْهِر جميعا ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند المقام ، فمرّ به أبو جهل بن هشام ، فقال : يا محمد ، ألم أنهك عن هذا ؟ وتوعّده ، فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهره ، فقال : يامحمد بأىّ شيء تهدّدنى ؟ أما والله إنى لأكثر هذا الوادى ناديا ، فأنزل الله (فَلْيَدْعُ نادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) قال ابن عباس : لو دعا ناديه ، أخذته زبانية العذاب من ساعته » .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، فجاءه أبو جهل،فنهاه أن يصلى ، فأنزل الله (أرأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إذَا صَلَّى). . . إلى قوله (كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ) فقال : لقد علم أنى أكثر هذا الوادى نَاديا ، فغضب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فتكلم بشىء ، قال داود : ولم أحفظه ، فأنزل الله (فَلْيَدْعُ نادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) فقال ابن عباس ، فوالله لو فعل لأخذته الملائكة من مكانه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن أبيه ، قال : ثنا نعيم بن أبىهند ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، قال : « قال أبو جهل : هل يُعَفِّر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال : فقيل نعم ، قال : فقال : واللاتِ والعُزّى لئن : رأيته يصلى كذلك ، لأطأنّ على رقبته ، ولأُعفّرنّ وجهه فى التراب ، قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته ، قال : فما فجأهم منه إلا وهو ينكُص على عقبيه ، ويتقى بيديه ؛ قال : فقيل له : مالك ؟ قال : فقال : إن بينى وبينه خندقا من نار ، وهَوْلاً وأجنحة ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَوْ دَنا مِنِّى لاخْتَطَفَتْهُ المَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا قال : وأنزل الله ، لاأدرى فى حديث أبى هريرة أم لا (كَلاَّ إنَّ الإنْسانَ لَيَطْغَى ، أنْ رآهُ اسْتَغْنَى ، إنَّ إلى رَبِّكَ الرُّجْعَى ، أرأيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إذَا صَلَّى ، أرأيْتَ إنْ كانَ عَلَى الهُدَى أوْ أمَرَ بالتَّقْوَى ، أرأيْتَ إنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) يعنى أبا جهل (ألَمْ يَعْلَمْ بِأنَّ اللهَ يَرَى ، كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعا بالنَّاصِيَةِ ،ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ ، فَلْيَدْعُ نادِيَهُ) يدعوقومه (سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) الملائكة (كَلاَّ ، لاتُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) . »

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : أخبرنا يونس بن أبى إسحاق ، عن الوليد بن العَيْزار ، عن ابن عباس ، قال : « قال أبو جهل : لئن عاد محمد يصلى عند المقام لأقتلنه ، فأنزل الله (اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ) حتى بلغ هذه الآية (لَنَسْفَعا بالنَّاصِيَةِ ، ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ ، فَلْيَدْعُ نادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) ، فجاء النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، فقيل له : ما يمنعك ؟ قال : قد اسودّ ما بينى وبينه من الكتائب . قال ابن عباس : والله لو تحرّك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا زكريا بن عدىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « قال أبو جهل : لئن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند

الكعبة ، لآتينه حتى أطأ على عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ فَعَلَ لأَخَذَتْهُ المَلائِكَةُ عِياناً » .

وبالذى قلنا فى معنى النادى قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَلْيَدْعُ نادِيَهُ) يقول : فليدع ناصره .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) قال : الملائكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن أبى الهذيل : الزبانية أرجلهم فى الأرض ، ورءوسهم فى السماء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لَوْ فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ لأَخَذَتْهُ الزَّبانِيَةُ المَلائِكَةُ عِياناً » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) قال : الملائكة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله الزبانية ، قال : الملائكة .

وقوله (كَلاَّ) يقول تعالى ذكره : ليس الأمر كما يقول أبو جهل ، إذ ينهى محمدا عن عبادة ربه ، والصلاة له (لاتُطِعْهُ) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لاتُطع أبا جهل فيما أمرك به من ترك الصلاة لربك (وَاسْجُدْ لِرَبِّكَ وَاقْتَرِبْ) منه ، بالتحبب إليه بطاعته ، فإن أبا جهل لن يقدر على ضرّك ، ونحن نمنعك منه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَلاَّ لاتُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) ذُكر لنا أنها نزلت فى أبى جهل ، قال : لئن رأيتُ محمدا يصلى لأطأنّ عنقه ، فأنزل الله (كَلاَّ لاتُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه الذى قال أبو جهل ، قال : لو فعل لاختطفته الزبانية .

آخر تفسير سورة اقرأ باسم ربك ، والحمد لله وحده

(٩٧) سورة القدر مكية
وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : إنا أنزلنا هذا القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا فى ليلة القَدْر ، وهى ليلة الحُكْم التى يقضى الله فيها قضاء السنة ، وهو مصدر من قولهم : قَدَر الله علىّ هذا الأمرْ ، فهو يَقْدُر قَدْرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « نزل القرآن كله جملة واحدة فى ليلة القدر فى رمضان إلى السماء الدنيا ، فكان الله إذا أراد أن يُحدث فى الأرض شيئا أنزله منه حتى جمعه » .

حدثنا ابن المثنى قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر ، وكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئا أوحاه ، فهو قوله (إنَّا أنْزَلْناهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) .

قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فذكر نحوه ، وزاد فيه . وكان بين أوّله وآخره عشرون سنة .

قال : ثنا عمرو بن عاصم الكلابىّ ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان التيمىّ ، قال : ثنا عمران أبو العوّام ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، أنه قال فى قول الله : (إنَّا أنْزَلْناهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) قال : نزل أوّلُ القرآن فى ليلة القدر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حُصَيْن ، عن حكيم بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن فى ليلة من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم فُرّق فى السنين ، وتلا ابن عباس هذه الآية : (فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ) قال : نزل متفرّقا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُليّة ، عن داود ، عن الشعبىّ ، فى قوله (إنَّا أنْزَلْناهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) قال : بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم ، عن سعيد بن جُبير ، أنزل القرآن جملة واحدة ، ثم أنزل ربنا فى ليلة القدر (فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أمْرٍ حَكِيمٍ) .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) قال : أنزل القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر ، إلى السماء الدنيا ، فكان بموقع النجوم ، فكان الله ينزله على رسوله ، بعضُه فى إثر بعض ، ثم قرأ (وَقَالُوا : لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ، كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ، وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ليلة القدر : ليلة الحكم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) قال : ليلة الحُكْم .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن محمد بن سُوقَة ، عن سعيد بن جُبير : يؤذن للحجاج فى ليلة القدر ، فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم ، فلا يغادر منهم أحد ، ولا يُزاد فيهم ، ولا ينقص منهم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : قال رجل للحسن وأنا أسمع : رأيت ليلة القدر فى كلّ رمضان هى ؟ قال : نعم ، والله الذى لا إله إلا هو إنها لفى كلّ رمضان ، وإنها لليلة القدر ، فيها يُفرق كلّ أمر حكيم ، فيها يقضى الله كلّ أجل وعمل ورزق ، إلى مثلها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عمر ، قال : ليلة القدر فى كلّ رمضان .

وقوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) يقول : وما أشعرك يا محمد أىّ شىء ليلة القدر خير من ألف شهر .

اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : العمل فى ليلة القدر بما يرضى الله ، خير من العمل فى غيرها ألفَ شهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : بلغنى عن مجاهد (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) قال : عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر .

قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائى ، قوله (خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) قال : عملٌ فيها خير من عمل ألف شهر .

وقال آخرون : معنى ذلك أن ليلة القدر خير من ألف شهر ، ليس فيها ليلة القدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) ليس فيها ليلة القدر .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حَكّام بن سلم ، عن المُثنّى بن الصَّبّاح ، عن مجاهد ،

قال : «كان فى بنى إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ، ثم يجاهد العدوّ بالنهار حتى يُمسِي ، ففعل ذلك ألف شهر ، فأنزل الله هذه الآية (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل» .

وقال آخرون : فى ذلك ماحدثنى أبو الخطاب الجارودىّ سُهيل ، قال : ثنا سَلْم بن قُتيبة ، قال : ثنا القاسم بن الفضل ، عن عيسى بن مازن ، قال : قلت للحسن بن علىّ رضى الله عنه : يا مسوّد وجوه المؤمنين ، عمدت إلى هذا الرجل ، فبايعت له ، يعنى معاوية بن أبى سفيان ! فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُرِى فى منامه بنى أميّة يَعْلُون منبره خليفة خليفة ، فشقّ ذلك عليه ، فأنزل الله (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) و (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) يعنى مُلْكَ بنى أمية ؛ قال القاسم : فحسبنا مُلْكَ بنى أمية ، فإذا هو ألف شهر .

٭ وأشبه الأقوال فى ذلك بظاهر التنزيل قول من قال : عمل فى ليلة القَدْر خير من عمل ألف شهر ، ليس فيها ليلة القَدْر . وأما الأقوال الأخر ، فدعاوَى معانٍ باطلة ، لادلالة عليها من خبر ولا عقل ، ولا هى موجودة فى التنزيل .

وقوله (تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : تنزل الملائكة وجبريل معهم ، وهو الروح ، فى ليلة القدر (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) يعنى بإذن ربهم ، من كلّ أمر قضاه الله فى تلك السنة ، من رزق وأجل وغير ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) قال : يُقْضَى فيها ما يكون فى السنة إلى مثلها ، فعلى هذا القول منتهى الخبر ، وموضع الوقف من كلّ أمر .

وقال آخرون : (تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) لايلْقَوْن مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلّموا عليه .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن يحيى بن زياد الفرّاء ، قال : ثنى أبو بكر بن عياش ، عن الكلبىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس : أنه كان يقرأ (مِنْ كُلِّ امْرِئٍ سَلامٌ) وهذه القراءة من قرأ بها وجَّه معنى من كلّ امرئ : من كلّ مَلَك ، كان معناه عنده : تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كلّ مَلَك يُسلّم على المؤمنين والمؤمنات ، ولا أرى القراءة بها جائزة ، لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها ، وأنها خلاف لما فى مصاحف المسلمين ، وذلك أنه ليس فى مصحف من مصاحف المسلمين فى قوله « أمر » ياء ، وإذا قُرِئت : (مِنْ كُلِّ امْرِئٍ) لحقتها همزة ، تصير فى الخطّ ياء .

والصواب من القول فى ذلك : القول الأوّل الذى ذكرناه قبل ، على ما تأوّله قتادة .

وقوله (سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) سلام ليلة القدر من الشرّ كله من أوّلها إلى طلوع الفجر من ليلتها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَلَامٌ هِيَ) قال : خير (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ) أى هى خير كلها إلى مطلع الفجر .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد (سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) قال : من كلّ أمرٍ سلام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (سَلَامٌ هِيَ) قال : ليس فيها شىء ، هى خير كلها (حتى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : ثنا عبد الحميد الحمّانىّ ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الرحمن بن أبى لَيلَى ، فى قوله (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ) قال : لايحدث فيها أمر .

وعُنِى بقوله (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) : إلى مطلع الفجر .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار ، سوى يحيى بن وثاب والأعمش والكسائىّ (مَطْلَعِ الْفَجْرِ) بفتح اللام ، بمعنى : حتى طلوع الفجر ، تقول العرب : طلعت الشمس طلوعا ومَطْلَعا ، وقرأ ذلك يحيى بن وثاب والأعمش والكسائى (حَتَّى مَطْلِعِ الْفَجْرِ) بكسر اللام ، توجيها منهم ذلك إلى الاكتفاء بالاسم من المصدر ، وهم ينوون بذلك المصدر .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : فتح اللام لصحة معناه فى العربية ، وذلك أن المطلَع بالفتح هو الطلوع ، والمطلِع بالكسر : هو الموضعُ الذى تَطْلُع منه ، ولا معنى للموضع الذى تطلع منه فى هذا الموضع .

آخر تفسير سورة القدر

(٩٨) سورة البينة مدنية
وآياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

❀ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) فقال بعضهم : معنى ذلك : لم يكن هؤلاء الكفار من أهل التوراة والإنجيل ، والمشركون من عَبدة الأوثان (منفكين) يقول : منتهين ، حتى يأتيهم هذا القرآن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (مُنْفَكِّينَ) قال : لم يكونوا ليَنتهوا حتى يتبين لهم الحقّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مُنْفَكِّينَ) قال : منتهين عما هم فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) : اى هذا القرآن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ) قال : لم يكونوا منتهين حتى يأتيهم ذلك المنفكّ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أن أهل الكتاب وهم المشركون ، لم يكونوا تاركين صفة محمد فى كتابهم ، حتى بُعث ، فلما بُعث تفرّقوا فيه .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال : معنى ذلك : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مفترقين فى أمر محمد ، حتى تأتيهم البيِّنة ، وهى إرسال الله إياه رسولا إلى خلقه ، رسول من الله . وقوله (مُنْفَكِّينَ) فى هذا الموضع عندى من انفكاك الشيئين أحدهما من الآخر ، ولذلك صَلُح بغير خبر ، ولو كان بمعنى ما زال ، احتاج إلى خبر يكون تماما له ، واستؤنف قوله (رَسُولٌ مِنَ اللهِ) وهى نكرة على

البيّنة ، وهى معرفة ، كما قيل (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ، فَعَّالٌ) فقال : حتى يأتيهم بيان أمر محمد أنه رسول الله ، ببعثة الله إياه إليهم ، ثم ترجم عن البيّنة ، فقال : تلك البينة (رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً) يقول : يقرأ صحفا مطهرة من الباطل (فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ) يقول : فى الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة ، ليس فيها خطأ ، لأنها من عند الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً) يذكر القرآن بأحسن الذكر ، ويثنى عليه بأحسن الثناء .

وقوله (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ) يقول : وما تفرّق اليهود والنصارى فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، فكذّبوا به ، إلا من بعد ما جاءتهم البينة ، يعنى : من بعد ما جاءت هؤلاء اليهود والنصارى (البينةُ) : يعنى : بيان أمر محمد ، أنه رسول بإرسال الله إياه إلى خلقه ، يقول : فلما بعثه الله تفرّقوا فيه ، فكذّب به بعضهم ، وآمن بعضهم ، وقد كانوا قبل أن يُبعث غير مفترقين فيه أنه نبىّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥

يقول تعالى ذكره : وما أمر الله هؤلاء اليهود والنصاري الذين هم أهل الكتاب إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين : يقول : مفردين له الطاعة ، لايخلطون طاعتهم ربهم بشرك ، فأشركت اليهود بربها بقولهم إن عُزَيرا ابن الله ، والنصارى بقولهم فى المسيح مثل ذلك ، وبجحودهم نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (حُنَفَاءَ) قد مضى بياننا فى معنى الحنيفية قبلُ ، بشواهده المُغنية عن إعادتها ، غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر قبل من الأخبار فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) يقول : حجاجا مسلمين غير مشركين ، يقول : (وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ) ويحجّوا (وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) والحنيفية : الختان ، وتحريم الأمهات والبنات ، والأخوات والعمات والخالات والمناسك .

وقوله (وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ) يقول : وليقيموا الصلاة ، وليؤتوا الزكاة .

وقوله (وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) يعني أن هذا الذى ذكر أنه أمر به هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، هو الدين القيِّمة ، ويعني بالقيِّمة : المستقيمة العادلة ، وأضيف الدين إلى القيِّمة ، والدين هو القيِّم ، وهو من نعته لاختلاف لفظيهما . وهى فى قراءة عبد الله فيما أرى فيما ذُكر لنا : « وَذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمَةِ) وأُنِّثت القيِّمة ، لأنها جعلت صفة للملة ، كأنه قيل : وذلك الملة القيِّمة ، دون اليهودية والنصرانية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) هو الدين الذى بعث الله به رسوله ، وشرع لنفسه ، ورضى به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كُتُبٌ قَيِّمَةٌ — وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) قال : هو واحد قيِّمة : مستقيمة معتدلة .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

* يقول تعالى ذكره : إن الذين كفروا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فجحدوا نبوّته ، من اليهود والنصارى والمشركين جميعهم (فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) يقول : ماكثين ، لابثين فيها (أَبَدًا) لايخرجون منها ، ولا يموتون فيها (أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) يقول جلّ ثناؤه : هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، هم شرّ من برأه الله وخلقه ، والعرب لاتهمز البرية ، وبترك الهمز فيها قرأتها قرّاء الأمصار ، غير شيء يُذكر عن نافع بن أبى نعيم ، فإنه حكى بعضهم عنه أنه كان يهمزها ، وذهب بها إلى قول الله (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) وأنها فعيلة من ذلك . وأما الذين لم يهمزوها ، فإن لتركهم الهمز فى ذلك وجهين : أحدهما أن يكونوا تركوا الهمز فيها ، كما تركوه من المَلَك ، وهو مفعل من ألك أو لأك ، ومن يرى ، وترى ، ونرى ، وهو يفعل من رأيت . والآخر : أن يكونوا وجّهوها إلى أنها فعيلة من البَرَى وهو التراب . حُكى عن العرب سماعا : بفيك البَرَى ، يعنى به : التراب .

وقوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) يقول : تعالى ذكره : إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ، وعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطاعوا الله فيما أمر ونهى (أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) يقول : من فعل ذلك من الناس فهم خير البرية .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عيسى بن فرقد ، عن أبي الجارود ، عن محمد بن عليّ (أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « أَنْتَ يا عَلِيُّ وَشِيعَتُكَ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره : ثواب هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم يوم القيامة (جَنَّاتُ عَدْنٍ) : يعني بساتين إقامة لا ظَعْن فيها ، تجري من تحت أشجارها الأنهار (خالِدِينَ فِيها أبَدًا) يقول : ماكثين فيها أبدا ، لا يخرجون عنها ، ولا يموتون فيها (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ) بما أطاعوه في الدنيا ، وعملوا لخلاصهم من عقابه في ذلك (وَرَضُوا عَنْهُ) بما أعطاهم من الثواب يومئذ ، على طاعتهم ربهم في الدنيا ، وجزاهم عليها من الكرامة .

وقوله (ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) يقول تعالى ذكره : هذا الخير الذي وصفته ، ووعدته الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم القيامة ، لمن خشي ربه : يقول : لمن خاف الله في الدنيا في سرّه وعلانيته : فاتقاه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، وبالله التوفيق .

آخر تفسير سورة لم يكن

---

(٩٩) سورة الزلزلة مدنية وآياتها ثمان

القول في تأويل قوله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره : (إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ) لقيام الساعة (زِلْزَالَهَا) فرُجَّت رجًّا ، والزِّلزال : مصدر إذا كسرت الزاي ، وإذا فتحت كان اسما ، وأضيف الزلزال إلى الأرض وهو صفتها ، كما يقال : لأكرمنك كرامتك ، بمعنى : لأكرمنك كرامة ، وحَسُن ذلك في زلزالها ، لموافقتها رءوس الآيات التي بعدها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد، قال : (زُلْزِلَتِ الأَرْضُ) على عهد عبد الله ، فقال لها عبدُ الله : مالك ؟ أما إنها لو تكلّمت قامت الساعة .

وقوله (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا) يقول : وأخرجت الأرض ما فى بطنها من الموتى أحياء ، والميت فى بطن الأرض ثقل لها ، وهو فوق ظهرها حيا ثقل عليها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا) قال : الموتى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا) قال : يعنى الموتى .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا) من فى القبور .

وقوله (وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا ؟) يقول تعالى ذكره : وقال الناس : إذا زُلزلت الأرض لقيام الساعة : ما للأرض وما قصتها (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) .

كان ابن عباس يقول فى ذلك ما حدثنى ابن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة . عن ابن عباس ، (وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا ؟) قال الكافر (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) يقول : يومئذ تحدّث الأرض أخبارها ، وتحديثها أخبارها ، على القول الذى ذكرناه عن عبد الله بن مسعود ، أن تتكلم فتقول : إن الله أمرنى بهذا ، وأوحى إلىّ به ، وأذن لى فيه .

وأما سعيد بن جُبير ، فإنه كان يقول فى ذلك ما حدثنا به أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ابن عبد الملك ، قال : سمعت سعيد بن جُبير يقرأ فى المغرب مرّة (يَوْمَئِذٍ تُنَبِّئُ أَخْبَارَهَا) ومرة (تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) ، فكأنّ معنى تحدّث كان عند سعيد : تُنَبِّئُ ، وتنبيئها أخبارَها : إخراجها أثقالها من بطنها إلى ظهرها . وهذا القول قول عندى صحيح المعنى ، وتأويل الكلام على هذا المعنى : يومئذ تبيّن الأرض أخبارها بالزلزلة والرّجّة ، وإخراج الموتى من بطونها إلى ظهورها ، بوحى الله إليها ، وإذنه لها بذلك ، وذلك معنى قوله (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) قال : أمرها ، فألقت ما فيها وتخلّت .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا) قال : أمرها .

وقد ذُكر عن عبد الله أنه كان يقرأ ذلك (يَوْمَئِذٍ تُنَبِّئُ أَخْبَارَهَا) وقيل : معنى ذلك أن الأرض تحدّث أخبارها مَنْ كان على ظهرها من أهل الطاعة والمعاصى ، وما عملوا عليها من خير أو شرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) قال : ما عمل عليها من خير أو شرّ ، بأن ربك أوحى لها ، قال : أعلمها ذلك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) قال : ماكان فيها ، وعلى ظهرها من أعمال العباد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) قال : تخبر الناس بما عملوا عليها .

وقيل : عُنى بقوله (أَوْحَىٰ لَهَا) : أوحى إليها .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (أَوْحَىٰ لَهَا) قال : أوحى إليها .

وقوله (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا) قيل : إن معنى هذه الكلمة التأخير بعد (لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) قالوا ووجه الكلام : يومئذ تحدّث أخبارها بأن ربك أوحى لها ، لِيُرَوا أعمالهم ، يومئذ يصدر الناس أشتاتا . قالوا : ولكنه اعترض بين ذلك بهذه الكلمة . ومعنى قوله (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا) عن موقف الحساب فِرَقا متفرّقين ، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة ، وآخذ ذات الشمال إلى النار .

وقوله (لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) يقول : يومئذ يصدر الناس أشتاتا متفرّقين ،عن اليمين وعن الشمال ، لِيُرَوا أعمالهم ، فيرى المحسن فى الدنيا ، المطيع لله عمله وما أعدّ الله له يومئذ من الكرامة ، على طاعته إياه كانت فى الدنيا ، ويرى المسىء العاصى لله عمله ، وجزاء عمله ، وما أعدّ الله له من الهوان والخزى فى جهنم ، على معصيته إياه كانت فى الدنيا ، وكفره به .

وقوله (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) يقول : فمن عمل فى الدنيا وزن ذرّة من خير ، يرى ثوابه هنالك (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) يقول : ومن كان عمل فى الدنيا وزن ذرّة من شرّ يرى جزاءه هنالك ، وقيل : ومَنْ يعمل ، والخبر عنها فى الآخرة ، لفهم السامع معنى ذلك ، لما قد تقدّم من الدليل قبلُ ، على أن معناه : فمن عمل ذلك دلالة قوله (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) على ذلك ، ولكن لما كان مفهوما معنى الكلام عند السامعين ، وكان فى قوله (يَعْمَلْ) حثّ لأهل الدنيا ع

العمل بطاعة الله ، والزجر عن معاصيه ، مع الذى ذكرت من دلالة الكلام قبل ذلك ، على أن ذلك مراد به الخبر عن ماضى فعله ، وما لهم على ذلك ، أخرج الخبر على وجه الخبر عن مستقبل الفعل

وبنحو الذى قلنا من أن جميعهم يرون أعمالهم ، قال : أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) قال : ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا ولا شرًّا فى الدنيا ، إلا آتاه الله إياه . فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته ، فيغفر الله له سيئاته . وأما الكافر فيردّ حسناته ، ويعذّبه بسيئاته .

وقيل فى ذلك غير هذا القول ، فقال بعضهم : أما المؤمن ، فيعجل له عقوبة سيئاته فى الدنيا ، ويؤخّر له ثواب حسناته ، والكافر يعجّل له ثواب حسناته ، ويؤخر له عقوبة سيئاته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنيه محمد بن مسلم الطائفىّ ، عن عمرو بن قتادة ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظِىّ ، وهو يفسّر هذه الآية (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) قال : من يعمل مثقال ذرّة من خير : مِنْ كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وأهله وماله وولده ، حتى يخرج من الدنيا . وليس له عنده خير (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) مِنْ مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وأهله وماله وولده ، حتى يخرج من الدنيا وليس عنده شىء .

حدثنى محمود بن خداش ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطى ، قال : ثنا محمد بن مسلم الطائفىّ ، عن عمرو بن دينار ، قال : سألت محمد بن كعب القُرَظِىّ ، عن هذه الآية (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) قال : من يعمل مثقال ذرّة من خير من كافر ، ير ثوابها فى نفسه وأهله وماله ، حتى يخرج من الدنيا وليس له خير ؛ ومن يعمل مثقال ذرّة من شرّ من مؤمن ، ير عقوبتها فى نفسه وأهله وماله ، حتى يخرج وليس له شرّ .

حدثنى أبو الخطاب الحسّانى ، قال : ثنا الهيثم بن الربيع ، قال : ثنا سماك بن عطية ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أنس ، قال : « كان أبو بكر رضى الله عنه يأكل مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) فرفع أبو بكر يده من الطعام ، وقال : يا رسول الله إنى أُجزَى بما عملت من مثقال ذرّة من شرّ ، فقال : يا أبا بَكْرٍ ، ما رأيْتَ فِى الدُّنْيا مِمَّا تَكْرَهُ فَمَثاقِيلُ ذَرِّ الشَّرِّ . وَيَدَّخِرُ لَكَ اللهُ مَثاقِيلَ الخَيْرِ حتى تُوَفَّاهُ يَوْمَ القِيامَةِ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أيوب ، قال : وجدنا فى كتاب أبى قلابة ، عن أبى إدريس : « أن أبا بكر كان يأكل مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأنزلت هذه الآية (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) فرفع أبو بكر يده من الطعام ، وقال : إنى لراء ما عملت ، قال :

لاأعلمه إلا قال : ما عملت من خير وشرّ ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنّ ما تَرَى مِمَّا تَكْرَهُ فَهُوَ مَثَاقِيلُ ذَرِّ شَرٍّ كَثِيرٍ ، وَيَدَّخِرُ اللهُ لَكَ مَثَاقِيلَ ذَرِّ الخَيْرِ حتى تُعْطاهُ يَوْمَ القِيامَةِ » وتصديق ذلك فى كتاب الله (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا أيوب ، قال : قرأت فى كتاب أبى قلابة قال « نزلت (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) وأبو بكر يأكل مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأمسك وقال : يا رسول الله ، إنى لراء ما عملتُ من خير وشرّ ؟ فقال : أرأيْتَ ما رأيْتَ مِمَّا تَكْرَهُ ، فَهُوَ مِنْ مَثَاقِيلِ ذَرِّ الشَّرِّ ، وَيَدَّخِرُ مَثَاقِيلَ ذَرِّ الخَيْرِ ، حتى تُعْطَوْهُ يَوْمَ القِيامَةِ » قال أبو إدريس : فأرَى مصداقها فى كتاب الله ، قال : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن داود ، عن الشعبىّ ، قال : « قالت عائشة : يا رسول الله ، إن عبد الله بن جُدْعان كان يصل الرحم ، ويفعل ويفعل ، هل ذاك نافعه ؟ قال[1] : لا ، إنه لم يقل يوما : (رَبِّ اغْفِرْ لى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ) » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن داود ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : « قلت : يا رسول الله ، ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ، ويُطعم[1] المسكين ، فهل ذاك نافعه ؟ قال : لايَنْفَعُهُ ، إنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا : (رَبِّ اغْفِرْ لى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ) » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن عامر الشعبىّ ، أن عائشة أمّ المؤمنين قالت « يا رسول الله ، إن عبد الله بن جُدْعان ، كان يصل الرحم ، ويَقْرِى الضيف ، ويَفُكّ العانى ، فهل ذلك نافعه شيئا ؟ قال : لا ، إنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا : (رَبِّ اغْفِرْ لى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ) » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن عامر ، عن علقمة ، أن سلمة بن يزيد الجُعْفىّ ، قال : « يا رسول الله ، إن أمَّنا هلكت فى الجاهلية ، كانت تصل الرحم ، وتَقْرِى الضيف ، وتفعل وتفعل ، فهل ذلك نافعُها شيئا ؟ قال : لا » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : ثنا داود ، عن الشعبىّ ، عن علقمة بن قيس ، عن سلمة بن يزيد الجعفى ، قال : « ذهبت أنا وأخى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، إن أمَّنا كانت فى الجاهلية تقرى الضيف ، وتصل الرحم ، هل ينفعها عملها ذلك شيئا ؟ قال : لا » .

حدثنى محمد بن إبراهيم بن صَدْران وابن عبد الأعلى ، قالا : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، عن علقمة ، عن سلمة بن يزيد ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن محمد بن كعب ، أنه قال : أما المؤمن فيرى حسناته فى الآخرة ، وأما الكافر فيرى حسناته فى الدنيا .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا أبو نعامة ، قال : ثنا عبد العزيز بن بشير الضبى جدّه سلمان بن عامر « أن سلمان بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن أبى كان يصل الرحم ، ويفى بالذمة ، ويُكرم الضيف ، قال : ماتَ قَبْلَ الإسْلامِ ؟ قال : نعم ، قال : لَنْ يَنْفَعَهُ ذَلِكَ ، فولّى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عَلَىَّ بالشَّيْخِ ، فجاءَ فقالَ رسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلم : إنَّها لَنْ تَنْفَعهُ ، وَلَكِنَّها تَكُونُ فى عَقِبِهِ ، فَلَنْ تَخْزَوْا أبَدًا ، وَلَنْ تَذِلُّوا أبَدًا ، وَلَنْ تَفْتَقِرُوا أبَدًا » .

حدثنا ابن المثنى وابن بشار ، قالا : ثنا أبو داود ، قال : ثنا عمران ، عن قتادة ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ اللهَ لايَظْلِمُ المُؤْمِنَ حَسَنَةً يُثابُ عَلَيْها الرِّزْقَ فى الدُّنْيا ، وَيُجْزَى بِها فى الآخِرَةِ ، وأمَّا الكافِرُ فَيُعْطِيهِ بِها فى الدُّنْيا ، فإذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ ، لَم تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ليث ، قال : ثنى المعلّى : عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أحْسَنَ مِنْ مُحْسِنٍ مُؤْمِنٍ أوْ كافِرٍ إلاَّ وَقَعَ ثَوَابُهُ عَلَى اللهِ فى عاجِلِ دُنْياهُ ، أوْ آجِلِ آخِرَتِهِ » .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يحيى بن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن الحُبلىّ ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : «أنزلت : (إذَا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَا) وأبو بكر الصدّيق قاعد ، فبكى حين أُنزلت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يُبْكِيكَ يا أبا بَكْرٍ ؟ قال : يُبكينى هذه السورة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَوْلا أنَّكُمْ تُخْطِئُونَ وَتُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ، لَخَلَقَ اللهُ أُمةً يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » ، فهذه الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تُنبئ عن أن المؤمن إنما يَرَى عقوبة سيئاته فى الدنيا ، وثواب حسناته فى الآخرة ، وأن الكافر يرى ثواب حسناته فى الدنيا ، وعقوبة سيئاته فى الآخرة ، وأن الكافر لاينفعه فى الآخرة ما سلف له من إحسان فى الدنيا مع كُفره .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن علىّ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمىّ ، قال : أدركت سبعين من أصحاب عبد الله ، أصغرهم الحارث بن سُوَيد ، فسمعته يقرأ (إذَا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَا) حتى بلغ إلى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه) قال : إن هذا إحصاء شديد . وقيل : إن الذَّرَّةَ دُودة حمراء ليس لها وزن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن وهب العلاف ومحمد بن سنان القزّاز ، قالا : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (مِثْقالَ ذَرَّةٍ) قال ابن سنان فى حديثه : مثقال ذرّة حمراء . وقال

ابن وهب فى حديثه : نملة حمراء . قال إسحاق ، قال يزيد بن هارون ، وزعموا أن هذه الدودة الحمراء ليس لها وزن .

آخر تفسير سورة إذا زلزلت الأرض

(١٠٠) سورة العاديات مكية
وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) فقال بعضهم : عُنِى بالعاديات ضَبْحا : الخيل التى تعدوها ، وهى تحمحم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) قال : الخيل ، وزعم غير ابن عباس أنها الإبل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) قال ابن عباس : هو فى القتال .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) قال الخيل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، قال : سُئل عكرمة ، عن قوله : (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) قال : ألم تر إلى الفرس إذا جرى كيف يَضْبَح .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، قال : ليس شىء من الدوابّ يضبح غير الكلب والفرس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : الخيل تَضْبَح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : هي الخيل ، عَدَتْ حتى ضَبَحَتْ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : هي الخيل تعدو حتى تَضْبَح .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن قتادة مثل حديث بشر ، عن يزيد ؛

حدثنا أبو كُرَيب . قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا سعيد ، قال : سمعت سالما يقرأ (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : هي الخيل عدت ضبحا .

قال : ثنا وكيع . عن واصل . عن عطاء (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : الخيل .

قال : ثنا وكيع . عن سفيان بن عيينة عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : ما ضبحت دابة قطّ إلا كلب أو فرس .

حُدثت عن الحسين . قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : هي الخيل .

حدثني سعيد بن الربيع الرازيّ . قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : هي الخيل .

وقال آخرون : هي الإبل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب . قال : ثنا أبو معاوية . عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : هي الإبل .

حدثنا أبو كُرَيب . قال : ثنا وكيع . عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، مثله .

حدثني عيسى بن عثمان الرمليّ ، قال : ثني عمي يحيى بن عيسى الرمليّ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله . مثله .

حدثنا ابن حُميد . قال : ثنا جرير . عن مُغيرة . عن إبراهيم ، عن عبد الله (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : هي الإبل إذا ضبحت تنفّست .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا أبو صخر ، عن أبي معاوية البَجَليّ ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، حدثه قال : بينما أنا في الحِجْر جالس ، أتاني رجل يسأل عن (الْعادِياتِ ضَبْحا) فقلت له الخيل حين تغير في سبيل الله ، ثم تأوي إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم ، فانفتل عني ، فذهب إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو تحت سِقاية زمزم ، فسأله عن (الْعادِياتِ ضَبْحا) فقال : سألت عنها أحدا قبلي ؟ قال : نعم . سألت عنها ابن عباس ، فقال : الخيل حين تغير

فى سبيل الله ، قال : اذهب فادعه لى ؛ فلما وقفت على رأسه قال : تُفتى الناس بما لا علم لك به . والله لكانت أوّل غزوة فى الإسلام لِبدر ، وما كان معنا إلا فرسان : فَرَس للزُّبَير ، وفرس للمقداد ، فكيف تكون العاديات ضبحا . إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى مزدلفة إلى منى ، قال ابن عباس : فنزعت عن قولى . ورجعت إلى الذى قال علىّ رضى الله عنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَالْعادِياتِ ضَبْحاً) قال : الإبل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله : (وَالْعادِياتِ ضَبْحاً) قال : قال ابن مسعود : هو فى الحجّ .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ، قال : هى الإبل ، يعنى (وَالْعادِياتِ ضَبْحاً) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَالْعادِياتِ ضَبْحاً) قال : قال ابن مسعود : هى الإبل .

☆ وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : عنى بالعاديات : الخيل ، وذلك أن الإبل لا تضبَح ، وإنما تضبح الخيل ، وقد أخبر الله تعالى أنها تعدو ضَبْحا ، والضَّبْح : هو ما قد ذكرنا قبل .

وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرىّ ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، قال : قال علىّ رضى الله عنه : الضبح من الخيل : الحَمْحَمة ، ومن الإبل : النفس .

قال : ثنا سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، قال : سمعت ابن عباس يصف الضبح : أَحْ أَحْ .

وقوله (فالمُورِيات قَدْحاً) اختلف أهل التأويل ، فى ذلك . فقال بعضهم : هى الخيل تُورِى النارَ بحوافرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا أبو رجاء ، قال : سُئل عِكرمة ، عن قوله (فالمُورِياتِ قَدْحاً) قال : أوْرَتْ وقَدَحتْ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فالمُورِياتِ قَدْحاً) قال : هى الخيل ؛ وقال الكلبىّ : تقدح بحوافرها حتى يخرج منها النار .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن واصل ، عن عطاء (فالمُورِياتِ قَدْحاً) قال : أورت النار بحوافرها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (فالمُورِياتِ قَدْحاً) تُورى الحجارةَ بحوافرها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أن الخيل هِجْنَ الحرب بين أصحابهن وركبانهن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالْمُورِياتِ قَدْحاً) قال : هِجْنَ الحرب بينهم وبين عدوّهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (فالْمُورِياتِ قَدْحاً) قال : هيجن الحرب بينهم وبين عدوّهم .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : الذين يُورون النار بعد انصرافهم من الحرب .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبو صخر ، عن أبى معاوية البجَلىّ ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : سألنى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، عن (الْعادِياتِ ضَبْحاً ، فالْمُورِياتِ قَدْحاً) فقلت له : الخيل تغير فى سبيل الله ، ثم تأوى إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ويورون نارهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : مكر الرجال .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (فالْمُورِياتِ قَدْحاً) قال : المكر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (فالْمُورِياتِ قَدْحاً) قال : مكر الرجال .

وقال آخرون : هى الألسنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا يونس بن محمد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة قال : يُقال فى هذه الآية (فالْمُورِياتِ قَدْحاً) قال : هى الألسنة .

وقال آخرون : هى الإبل حين تسير تَنْسِف بمناسمها الحصى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : (فالْمُورِياتِ قَدْحاً) قال : إذا نَسَفت الحصى بمناسمها ، فضربَ الحصَى بعضُه بعضا ، فيخرج منه النار .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التى تورى النيران قدحا ، فالخيل تُورى بحوافرها ، والناس يورونها بالزّند ، واللسان مثلا يورى بالمنطق ، والرجال يورون بالمكر مثلا ، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها : إذا التقت فى الحرب ، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعضٌ دون بعض فكلّ ، ما أوْرتِ النارَ قدْحا ، فداخلة فيما أقسم به ، لعموم ذلك بالظاهر .

وقوله (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : فالمغيرات صبحا على عدوّها علانية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبو صخر ، عن أبى معاوية البَجَلىّ ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : سألنى رجل عن المغيرات صبحا ؛ فقال : الخيل تغير فى سبيل الله .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، قال: سألت عكرِمة ، عن قوله (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) قال : أغارت على العدوّ صبحا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) قال : هى الخيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) قال : هى الخيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) قال : أغار القومُ بعدما أصبحوا على عدوّهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) قال : أغارت حين أصبحت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) قال : أغار القوم حين أصبحوا .

وقال آخرون : عُنِى بذلك الإبل حين تدفع بركبانها من « جَمْعٍ » يوم النحر إلى « مِنًى » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) حين يفيضون من جمع .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالمُغيرات صبحا ، ولم يخصُصْ من ذلك مغيرة دون مغيرة ، فكلّ مغيرة صُبحا ، فداخلة فيما أقسم به ، وقد كان زيد بن أسلم يذكر تفسير هذه الأحرف ويأباها ، ويقول : إنما هو قسم أقسم الله به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالْعادِياتِ ضَبْحاً فالمُورِياتِ قَدْحاً) قال : هذا قسم أقسم الله به .

وفى قوله (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) قال : كلّ هذا قسم ، قال : ولم يكن أبى ينظر فيه إذا سُئل عنه ، ولا يذكره ، يريد به القسم .

وقوله (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً) يقول تعالى ذكره : فرفعن بالوادى غُبارا ، والنقْع : الغبار ، ويقال : إنه التراب ، والهاء فى قوله « به » كناية اسم الموضع ، وكنى عنه ، ولم يجر له ذكر ، لأنه معلوم أن الغبار لايثار إلا من موضع ، فاستغنى بفهم السامعين بمعناه من ذكره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً) قال : الخيل .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن واصل ، عن عطاء وابن زيد ، قال : النقع : الغبار .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً) قال : هى أثارت الغبار ، يعنى الخيل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا أبو رجاء ، قال : سُئل عكرمة ، عن قوله (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً) قال : أثارت التراب بحوافرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً) قال : أثرن بحوافرها نقعَ التراب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً) قال : أثرن به غبارا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبو صخر ، عن أبى معاوية البَجَلى ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس قال : قال لى علىّ : إنما العاديات ضَبْحا من عرفةَ إلى المزدلفة ، ومن المزدلفة إلى مِنًى (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً) : الأرض حين تطؤها بأخفافها وحوافرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً) قال : إذا سِرْن يُثِرن الترابَ .

وقوله (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) يقول تعالى ذكره : فوسَطْن بركبانهنّ جمع القوم ؛ يقال : وسطت القوم بالتخفيف ، ووسّطته بالتشديد ، وتوسّطته : بمعنى واحد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا أبو رجاء ، قال : سُئل عكرمة ، عن قوله : (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) قال : جمع الكفار .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) قال جمع القوم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) قال : هو جمع القوم .

حدثنا أبو كُرَيب، قال : ثنا وكيع ، عن واصل ، عن عطاء (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) قال : جمع العدوّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) قال : جمع هؤلاء وهؤلاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) فوسطن جمع القوم .

حدثنا ابن حميد قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) فوسطن بالقوم جمعَ العدوّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى . قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) قال : وسطن جمع القوم .

حُدِّثت عن الحسين . قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) الجمع : الكتيبة .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك (فَوَسَطْنَ بِهِ) مزدلفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) يعنى : مزدلفة .

وقوله (إنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) يقول : إن الإنسان لكفور لنعم ربه . والأرض الكنود : التى لاتُنبت شيئا ، قال الأعشى :

أَحْدِثْ لَهَا تُحْدِثْ لِوَصْلِكَ إنَّها كُنُدٌ لِوَصْلِ الزَّائِرِ المُعْتادِ[1]

وقيل : إنما سُمِّيت كِندة : لقطعها أباها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبيد الله بن يوسف الجُبَيْرِىّ ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قال : الكفور .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (إنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قال : لربه لكفور .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قال : الكفور .

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٩) قال : « إن الإنسان لربه لكنود » : لكفود . وكذلك الأرض الكنود التى لا تنبت شيئا . قال الأعشى : « أحدث لها . . . البيت » . وفى (اللسان : كند) : كند يكند كنودا : كفر النعمة . ورجل كناد (كشداد) وكنود . وقوله تعالى : « إن الإنسان لربه لكنود » : قيل هو : الجحود ، وهو أحسن . وقيل : هو الذى يأكل وحده ، ويمنع رفده ، ويضرب عبده . قال ابن سيده فى التعليق على هذا الأخير : ولا أعرف له فى اللغة أصلا ، ولايسوغ أيضا مع قوله « لربه » . وقيل : لكنود : الكفور بالنعمة . وقال الحسن : لوام لربه : يعد المصيبات ؛ وينسى النعم . وقال الزجاج : لكفور . يعنى بذلك الكافر . اهـ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن مهديّ بن ميمون ، عن شعيب بن الحَبْحاب ، عن الحسن البصريّ : (إنَّ الإنْسانَ لِربِّهِ لَكَنُودٌ) قال : هو الكفور الذي يَعُدّ المصائب ، وينسى نِعَم ربه .

حدثنا وكيع ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، قال : الكنود : الكفور .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال الحسن : (إنَّ الإنْسانَ لِربِّهِ لَكَنُودٌ) يقول : لوّام لربه يعدّ المصائب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (لَكَنُودٌ) قال : لكفور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ الإنْسانَ لِربِّهِ لَكَنُودٌ) قال لكفور

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك أنه قال : إنما سُمّيت كِندة : أنها قطَعَت أباها (إنَّ الإنْسانَ لِربِّهِ لَكَنُودٌ) قال : لكفور .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن جعفر بن الزُّبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « (إنَّ الإنْسانَ لِربِّهِ لَكَنُودٌ) قالَ : لَكَفُورٌ ، الَّذِي يأكُلُ وَحْدَهُ ، ويَضْرِبُ عَبْدَهُ ، ويَمْنَعُ رِفْدَهُ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : (إنَّ الإنْسانَ لِربِّهِ لَكَنُودٌ) قال : الكنود : الكفور ، وقرأ (إنَّ الإنْسانَ لَكَفُورٌ) .

حدثنا الحسن بن عليّ بن عياش ، قال : ثنا أبو المُغيرة عبد القدّوس ، قال : ثنا حريز بن عثمان ، قال : ثني حمزة بن هانئ ، عن أبي أُمامة أنه كان يقول : الكَنُود : الذي ينزل وحده ، ويضرب عبده ، ويمنع رفده .

حدثني محمد بن إسماعيل الصواريّ ، قال : ثنا محمد بن سوّار ، قال : أخبرنا أبو اليقظان ، عن سفيان عن هشام ، عن الحسن ، في قوله (إنَّ الإنْسانَ لِربِّهِ لَكَنُودٌ) قال : لوّام لربه ، يعدّ المصائب ، وينسى النِّعَم .

وقوله (وَإنَّهُ عَلى ذلكَ لَشَهِيدٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله على كنوده ربّه لشهيد : يعني لشاهد . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (وَإنَّهُ عَلى ذَلكَ لَشَهِيدٌ) قال : يقول : إن الله على ذلك لشهيد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ) فى بعض القراءات (إنَّ اللهَ عَلَى ذلكَ لَشَهِيدٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ) يقول : وإن الله عليه شهيد .

وقوله (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ) يقول تعالى ذكره : وإن الإنسان لحبّ المال لشديد .

واختلف أهل العربية فى وجه وصفه بالشدّة لحبّ المال ، فقال بعض البصريين : معنى ذلك : وإنه من أجل حبّ الخير لشديد : أى لبخيل ؛ قال : يقال للبخيل : شديد ومتشدّد . واستشهدوا لقوله ذلك ببيت طَرَفة بن العبد اليشكرى :

أرَى المَوْتَ يَعْتَامُ النُّفُوسَ وَيَصْطَفِى　　　عَقِيلَةَ مالِ البَاخِلِ المُتَشَدِّدِ [١]

وقال آخرون : معناه : وإنه لحبّ الخير لقوىّ .

وقال بعض نحويّ الكوفة : كان موضع (لِحُبِّ) أن يكون بعد شديد ، وأن يضاف شديد إليه ، فيكون الكلام : وإنه لشديد حُبِّ الخير ؛ فلما تقدّم الحبّ فى الكلام ، قيل : شديد ، وحذف من آخره ، لما جرى ذكره فى أوّله ولرءوس الآيات ، قال : ومثله فى سورة إبراهيم (كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ) والعَصوف لايكون لليوم ، إنما يكون للريح ؛ فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرحت من آخره ؛ كأنه قال : فى يوم عاصف الريح ، والله أعلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ) قال : الخير الدنيا ، وقرأ (إِنْ تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ) قال : فقلت له : إن ترك خيرا : المال ؟ قال : نعم ، وأىّ شىء هو إلا المال ؟ قال : وعسى أن يكون حراما ، ولكن الناس يعدّونه خيرا ، فسماه الله خيرا ، لأن الناس يسمونه خيرا فى الدنيا ، وعسى أن يكون خبيثا ، وسُمّى القتال فى سبيل الله سُوءا ، وقرأ قول الله : (فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) قال : لم يمسسهم قتال ؛ قال : وليس هو عند الله بسوء ، ولكن يسمونه سوءا .

وتأويل الكلام : إن الإنسان لربه لكنود ، وإنه لحبّ الخير لشديد ، وإن الله على ذلك من أمره لشاهد . ولكن قوله (وَإِنَّهُ عَلَى ذلِكَ لَشَهِيدٌ) قدّم ، ومعناه التأخير ، فجعل معترضا بين قوله (إنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) ، وبين قوله : (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) البيت لطرفة بن العبد البكرى (مختار الشعر الجاهلى ٣١٨ ؟) فى معلقته . وفيه : « يعتام الكرام » . قال شارحه : يعتام : يختار . والعقيلة : الخيار من كل شىء . والفاحش : البخيل الحريص . يقول : أرى الموت يختار كرام الناس ، وصفوة مال البخلاء ، أى أنه يأخذ النفيس الذى يضن به ، كما يأخذ الحقير ، فلا يترك شيئا . اهـ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٩) « وإنه لحب الخير لشديد » : وإنه من أجل حب الخير لشديد : لبخيل ، يقال للبخيل : شديد ومتشدد : قال طرفة « أرى الموت يعتام النفوس ... البيت » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (إِنَّ الإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ، وإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ) قال : هذا في مقاديم الكلام ، قال : يقول : إن الله لشهيد أن الإنسان لحبّ الخير لشديد .

وقوله (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ) يقول : أفلا يعلم هذا الإنسان الذى هذه صفته ، إذا أُثير ما في القبور ، وأُخرج ما فيها من الموتى وبُحث .

وذُكر أنها في مصحف عبد الله : إذا بُحث ما في القبور ، وكذلك تأوّل ذلك أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، في قوله (بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ) بُحث . وللعرب في (بُعْثِرَ) لغتان : تقول : بُعثر ، وبُحثر . ومعناهما واحد .

وقوله (وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ) يقول : ومُيّز وبُيّن . فأبرز ما في صدور الناس من خير وشرّ . وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ) يقول : أُبرز .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ) يقول : مُيّز .

وقوله (إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ) يقول : إن ربهم بأعمالهم ، وما أسرّوا في صدورهم ، وأضمروه فيها ، وما أعلنوه بجوارحهم منها ، عليم لا يخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيهم على جميع ذلك يومئذ .

آخر تفسير سورة والعاديات

(١٠١) سُورَةُ القَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ
وآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره (الْقَارِعَةُ) : الساعة التى يقرع قلوبَ الناس هولُها ، وعظيم ما ينزل بهم من البلاء عندها ، وذلك صبيحة لاليل بعدها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (الْقَارِعَةُ) من أسماء يوم القيامة ، عظّمه الله وحذّره عباده .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (الْقَارِعَةُ ما الْقَارِعَةُ) قال : هى الساعة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الْقَارِعَةُ ما الْقَارِعَةُ ؟) قال : هى الساعة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، قال : سمعت أن القارعة والواقعة والحاقة : القيامة .

وقوله (ما الْقَارِعَةُ) يقول تعالى ذكره معظّما شأن القيامة والساعة التى يقرع العبادَ هولُها ، أىّ شىء القارعة . يعنى بذلك : أىّ شىء الساعة التى يقرع الخلقَ هولُها : أى ما أعظمها وأفظعها وأهولها .

وقوله (وَما أدْرَاكَ ما الْقَارِعَةُ ؟) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أشعرك يامحمد أىّ شىء القارعة .

وقوله (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كالْفَرَاشِ المَبْثُوثِ) يقول تعالى ذكره : القارعة يوم يكون الناس كالفَراش ، وهو الذى يتساقط فى النار والسراج ، ليس ببعوض ولا ذباب ، ويعنى بالمبثوث : المفرّق .

وكالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كالفَرَاشِ المَبْثُوثِ) هذا الفراش الذى رأيتم يتهافت فى النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كالْفَرَاشِ المَبْثُوثِ) قال : هذا شَبَه شبهه الله . وكان بعض أهل العربية يقول : معنى ذلك : كغوغاء الجراد ، يركب بعضه بعضا ، كذلك الناس يومئذ ، يجول بعضهم فى بعض .

وقوله (وَتَكُونُ الجِبالُ كالْعِهْنِ المَنْفُوشِ) يقول تعالى ذكره : ويوم تكون الجبال كالصوف المنفوش ؛ والعِهْن : هو الألوان من الصوف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَتَكُونُ الجِبالُ كالْعِهْنِ المَنْفُوشِ) قال : الصوف المنفوش .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هو الصوف . وذُكر أن الجبال تسير على الأرض وهى فى صورة الجبال كالهباء .

وقوله (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) يقول : فأما من ثقُلت موازين حسناته ، يعنى بالموازين : الوزن . والعرب تقول : لك عندى درهم بميزان درهمك . ووزن درهمك . ويقولون : دارى بميزان دارك ووزن دارك ، يراد : حذاء دارك . قال الشاعر :

قدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقائِكُمْ ذَا مِرَّةٍ عِنْدِى لِكُلِّ مُخاصِمٍ مِيزَانُه[1]

يعنى بقوله : « لكلّ مخاصم ميزانه » : كلامه ، وما ينقض عليه حجته . وكان مجاهد يقول : ليس ميزان ، إنما هو مثل ضرب .

حدثنا بذلك أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) يقول : فى عيشة قد رضيها فى الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) يعنى : فى الجنة .

وقوله (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) يقول : وأما من خفّ وزن حسناته ، فمأواه ومسكنه الهاوية ، التى يهوى فيها على رأسه فى جهنم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) وهى النار هى مأواهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) قال : مصيره إلى النار ، هى الهاوية . قال قتادة : هى كلمة عربية ، كان الرجل إذا وقع فى أمر شديد ، قال : هوت أمه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله الأعمى ، قال : إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين ، فيقولون : رَوِّحوا أخاكم ، فإنه كان فى غمّ الدنيا ؛ قال : ويسألونه ما فعل فلان ؟ فيقول : مات ، أَوَ ما جاءكم ؟ فيقولون : ذهبوا به إلى أمّه الهاوية .

حدثنى إسماعيل بن سيف العجلىّ ، قال : ثنا علىّ بن مُسْهِر ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبى صالح ، فى قوله (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) قال : يهوُون فى النار على رءوسهم .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (٣٧٤) قال : وقوله : « فأما من ثقلت موازينه » : وزنه . والعرب تقول : هل لك فى دينار بميزان درهمك ، ووزن درهمك ؟ ويقولون : دارى بميزان دارك ، ووزن دارك . وقال الشاعر : « قد كنت قبل ... البيت » . يريد عندى وزن كلامه ونقضه . اه . و (فى اللسان : وزن) : الميزان : المقدار أنشد ثعلب : « قد كنت ... البيت » .

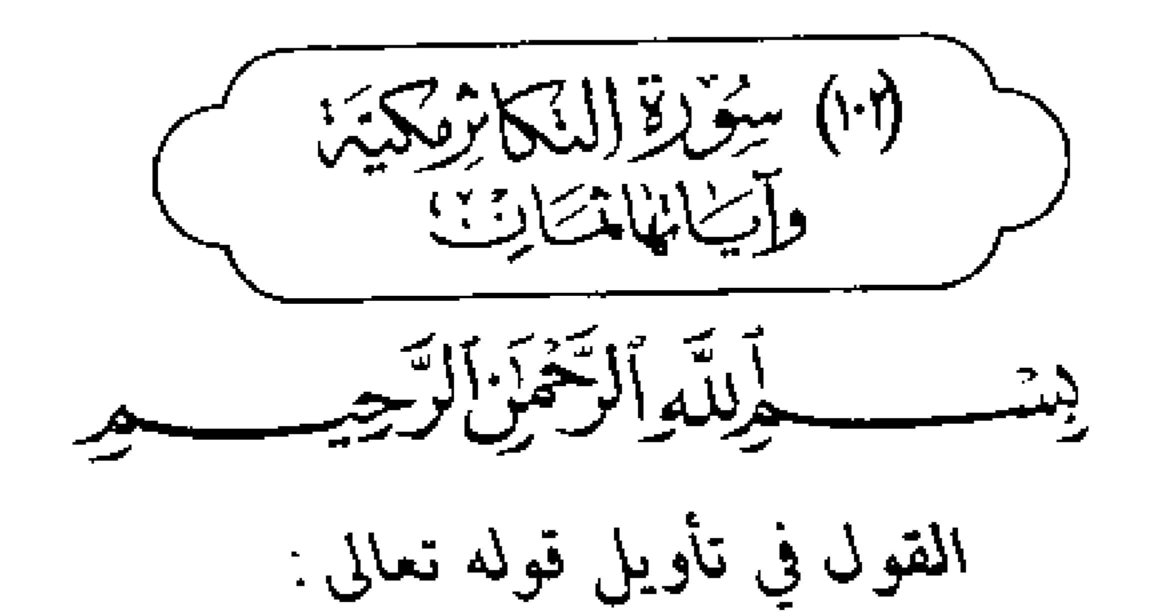
حدثنا ابن سيف ، قال : ثنا محمد بن سوّار ، عن سعيد ، عن قتادة (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) قال : يهوى في النار على رأسه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) قال : الهاوية : النار هي أمّه ومأواه التي يرجع إليها ، ويأوى إليها ، وقرأ (وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) وهو مثلها . وإنما جعل النار أمّه ، لأنها صارت مأواه ، كما تؤوى المرأة ابنها ، فجعلها إذ لم يكن له مأوى غيرها ، بمنزلة أمّ له .

وقوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ؟) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أشعرك يا محمد ما الهاوية ، ثم بيّن ما هي ، فقال : (هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ) ، يعني بالحامية : التي قد حميت من الوقود عليها .

آخر تفسير سورة القارعة



القول في تأويل قوله تعالى :

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝

يقول تعالى ذكره : ألهاكم أيها الناس المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم ، وعما ينجيكم من سخطه عليكم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) قال : كانوا يقولون : نحن أكثر من بني فلان ، ونحن أعدّ من بني فلان ، وهم كلّ يوم يتساقطون إلى آخرهم ، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) قالوا : نحن أكثر من بني فلان ، وبنو فلان أكثر من بني فلان ، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا .

وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم كلام يدلّ على أن معناه التكاثر بالمال .

ذكر الخبر بذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن هشام الدَّستَوائيّ ، عن قتادة ، عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن أبيه « أنه انتهى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو يقرأ (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ، حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ) قال ابنَ آدم : ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدّقت فأمضيت .

حدثنا محمد بن خلف العسقلانى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البُنَانى ، عن أنس بن مالك ، عن أُبَىّ بن كعب ، قال : كنا نرى أن هذا الحديث من القرآن : « لو أن لابن آدم واديين من مال ، لتمنى واديا ثالثا ، ولا يملأ جوفَ ابنِ آدم إلا التُّراب ، ثم يتوب الله على من تاب ، حتى نزلت هذه السورة (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) إلى آخرها» . وقوله صلى الله عليه وسلم بعَقِب قراءته : «أَلْهَاكُمُ» : ليس لك من مالك إلا كذا وكذا ، ينبئ أن معنى ذلك عنده : ألهاكم التكاثر : المال .

وقوله (حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ) يعنى : حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها ، وفى هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر ، لأن الله تعالى ذكره ، أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر ، أنهم سيعلمون ما يلقون إذاهم زاروا القبور وعيدا منه لهم وتهدّدا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن حجاج ، عن المنهال ، عن زِرّ ، عن علىّ ، قال : كنا نشكّ فى عذاب القبر ، حتى نزلت هذه الآية (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) . . . إلى (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) فى عذاب القبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن ابن أبى ليلىَ ، عن المنهال ، عن زِرّ ، عن علىّ ، قال : نزلت (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) فى عذاب القبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حَكَّام ، عن عمرو ، عن الحجاج ، عن المنهال بن عمرو ، عن زِرّ ، عن علىّ ، قال : « ما زلنا نشكّ فى عذاب القبر ، حتى نزلت (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ) » .

وقوله (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يعنى تعالى ذكره بقوله كلا : ما هكذا ينبغى أن تفعلوا ، أن يُلْهِيكم التكاثر .

وقوله (سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يقول جلّ ثناؤه : سوف تعلمون إذا زرتم المقابر ، أيها الذين ألهاهم التكاثر ، غِبَّ فعلكم ، واشتغالكم بالتكاثر فى الدنيا عن طاعة الله ربكم .

وقوله (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يقول : ثم ما هكذا ينبغى أن تفعلوا أن يلهيكم التكاثر بالأموال ، وكثرة العدد ، سوف تعلمون إذا زرتم المقابر ، ما تلقَوْن إذا أنتم زرتموها ، من مكروه اشتغالكم عن طاعة ربكم

بالتكاثر . وكرّر قوله (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) مرّتين ، لأن العرب إذا أرادت التغليظ فى التخويف والتهديد ، كرّروا الكلمة مرّتين .

ورُوى عن الضحاك فى ذلك: ما حدثنا به ابن حميد ، قال: ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) قال : الكفار (ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) قال : المؤمنون . وكذلك كان يقرؤها .

وقوله (كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) يقول تعالى ذكره: ما هكذا ينبغى أن تفعلوا ، أن يلهيكم التكاثر أيها الناس ، لو تعلمون أيها الناس علما يقينا ، أن الله باعثكم يوم القيامة من بعد مماتكم ، من قبوركم ، ما ألهاكم التكاثر عن طاعة الله ربكم ، ولسارعتم إلى عبادته ، والانتهاء إلى أمره ونهيه ، ورفض الدنيا إشفاقا على أنفسكم من عقوبته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) كنا نحدّث أن علم اليقين ، أن يعلم أنّ الله باعثه بعد الموت .

وقوله (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته قرّاء الأمصار (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) بفتح التاء من (لَتَرَوُنَّ) فى الحرفين كليهما ، وقرأ ذلك الكسائى بضم التاء من الأولى ، وفتحها من الثانية .

والصواب عندنا فى ذلك الفتح فيهما كليهما ، لإجماع الحجة عليه . وإذا كان ذلك كذلك . فتأويل الكلام : لترونّ أيها المشركون جهنم يوم القيامة ، ثم لترونها عيانا لاتغيبون عنها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ) يعنى : أهل الشرك .

وقوله (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) يقول : ثم ليسألنكم الله عزّ وجلّ عن النعيم الذى كنتم فيه فى الدنيا : ماذا عملتم فيه ، من أين وصلتم إليه ، وفيم أصبتموه ، وماذا عملتم به .

واختلف أهل التأويل فى ذلك النعيم ما هو ؟ فقال بعضهم : هو الأمن والصحة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عباد بن يعقوب ، قال : ثنا محمد بن سليمان ، عن ابن أبى ليلى ، عن الشعبىّ ، عن ابن مسعود ، فى قوله (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : الأمن والصحة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا حفص ، عن ابن أبى ليلى ، عن الشعبىّ ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنى علىّ بن سعيد الكندىّ ، قال : ثنا محمد بن مروان ، عن ليث ، عن مجاهد (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : الأمن والصحة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، قال : بلغنى فى قوله (لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : الأمن والصحة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عبد العزيز بن عبد الله ، قال : سمعت الشعبىّ يقول : النعيم المسئول عنه يوم القيامة : الأمن والصحة .

قال : ثنا مهران ، عن خالد الزيات ، عن ابن أبى ليلى ، عن عامر الشعبىّ ، عن ابن مسعود ، مثله .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : الأمن والصحة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم لَيُسْئَلُنَّ يومئذ عما أنعم الله به عليهم مما وهب لهم من السمع والبصر وصحة البدن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : النعيم : صحة الأبدان والأسماع والأبصار ، قال : يسأل الله العباد فيم استعملوها ، وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) .

حدثنى إسماعيل بن موسى الفزارىّ ، قال : أخبرنا عمر بن شاكر ، عن الحسن قال : كان يقول فى قوله (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : السمع والبصر ، وصحة البدن .

وقال آخرون : هو العافية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عباد بن يعقوب ، قال : ثنا نوح بن درّاج ، عن سعد بن طريف ، عن أبى جعفر (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : العافية .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : بعض ما يطعمه الإنسان ، أو يشربه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن . قال : ثنا سفيان ، عن بكير بن عتيق ، قال : رأيت سعيد ابن جُبَير أُتِىَ بشربة عسل ، فشربها ، وقال : هذا النعيم الذى تُسئلون عنه .

حدثنى علىّ بن سهل الرملىّ ، قال : ثنا الحسن بن بلال ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عمّار [1] بن أبى عمار ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : أتانا النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فأطعمناهم رُطَبًا ، وسقيناهم ماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِى تُسْئَلُونَ عَنْهُ) .

حدثنا جابر بن الكردىّ ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبى عمار ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : أتانا النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

(١) فى الأصل : عمران بن أبى عمار . وفى الحديث الذى بعده : عمار بن أبى عمار ، وهو الصواب ، كما فى خلاصة الخزرجى .

حدثني الحسن بن عليّ الصُّدائي ، قال : ثنا الوليد بن القاسم ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ،قال : « بينما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما جالسان ، إذ جاء النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال ما أجْلَسَكُما هاهُنا ؟ قالا : الجوع ، قال : وَالَّذِي بَعَثَنِي بالْحَقِّ ما أخْرَجَنِي غَيْرُهُ ، فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار ، فاستقبلتهم المرأة ، فقال لها النبيّ صلى الله عليه وسلم : أيْنَ فُلانُ ؟ فقالت : ذهب يستعذب لنا ماء ،فجاء صاحبهم يحمل قربته ، فقال : مَرْحَبًا ،ما زار العِبادَ شَىءٌ أفضلَ من شىء زارنى اليوم ، فعلّق قربته بكَرَب نخلة ، وانطلق فجاءهم بعِذْق ،فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ألا كُنْتَ اجْتَنَيْتَ ؟ فقال : أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم ، ثم أخذ الشفْرة ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : إيَّاكَ وَالْحَلُوبَ ، فذبح لهم يومئذ ، فأكلوا ،فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : لَتُسْئَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ القِيامَةِ ، أخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ ، فَلَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أصَبْتُمْ هَذَا ، فَهَذَا مِنَ النَّعِيمِ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكير ، قال : ثنا شيبان بن عبد الرحمن ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن أبي سَلَمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر : « انْطَلِقُوا بِنا إلى أبي الهَيْثَمِ بن التَّيِّهانِ الأنْصارِيّ، فأتَوْهُ ،فانطلق بهم إلى ظلّ حديقته ، فبسط لهم بساطا ، ثم انطلق إلى نخلة ، فجاء بِقِنْوٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَهَلا تَنَقَّيْتَ لَنا مِنْ رُطَبِهِ ؟. فقال : أردت أن تَخَيَّروا من رطبه وبُسره ،فأكلوا وشربوا من الماء ؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : هَذَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مِنَ النَّعِيمِ ،الَّذِي أنْتُمْ فِيهِ مَسْئُولُونَ عَنْهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، هَذَا الظِّلُّ البارِدُ ، والرُّطَبُ البارِدُ ، عَلَيْهِ الماءُ البارِدُ » .

حدثني صالح بن مسمار المروزى ،قال : ثنا آدم بن أبي إياس ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه ، إلا أنه قال في حديثه : « ظِلٌّ بارِدٌ ، وَرُطَبٌ بارِدٌ ، وَماءٌ بارِدٌ » .

حدثنا عليّ بن عيسى البزاز ، قال : ثنا سعيد بن سليمان ، عن حشرج بن نباتة ، قال : ثنا أبو بصيرة عن أبي عسيب ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « مرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى دخل حائطا لبعض الأنصار . فقال لصاحب الحائط : أطْعِمْنا بُسْرًا ،فجاءه بِعِذْقٍ فَوَضَعَهُ ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم دعا بماء بارد فشرب ، فقال : لَتُسْئَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ القِيامَةِ ، فأخذ عُمَر العِذْق ،فضرب به الأرض ،حتى تناثر البسر ،ثم قال : يا رسول الله ،إنا لمسئولون عن هذا؟قال : نَعَمْ ، إلاَّ مِنْ كِسْرَةٍ يَسُدُّ بِها جَوْعَتَهُ ، أوْ جُحْرٍ يُدْخَلُ فِيهِ مِنَ الحَرِّ والقَرِّ » .

حدثني سعيد بن عمرو السكونيّ ، قال : ثنا بقية ، عن حشرج بن نباتة ، قال : حدثني أبو بصيرة ، عن أبي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « مرّ بي النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فدعاني وخرجت ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فدخل حائطا لبعض الأنصار ،فأُتِيَ بِبُسْرٍ عِذْق منه ،

فوضع بين يديه ، فأكل هو وأصحابه ، ثم دعا بما بارد ، فشرب ، ثم قال : لَتُسْئَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ القِيامَةِ ، فقال عمر : عن هذا يوم القيامة ؟ فقال : نَعَمْ ، إلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ : خِرْقَةٍ كَفَّ بِها عَوْرَتَهُ ، أو كِسْرَةٍ سَدَّ بِها جَوْعَتَهُ ، أوْ جُحْرٍ يَدْخُلُ فِيهِ مِنَ الحَرّ والقَرّ » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن الجريريّ ، عن أبي بصيرة ، قال : « أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وناس من أصحابه أكلة من خبز شعير لم يُنْخَل ، بلحم سمين ، ثم شربوا من جدول ، فقال : هذا كله من النعيم الذى تُسئلون عنه يوم القيامة .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، عن صفوان بن سليم ، عن محمد ابن محمود بن لبيد ، قال : « لما نزلت (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) فقرأها حتى بلغ (لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قالوا : يا رسول الله عن أيّ النعيم نُسْأَل ؛ وإنما هو الأسودان : الماء ، والتمر ، وسيوفنا على عواتقنا ، والعدوّ حاضر ، قال : إنَّ ذلكَ سَيَكُونُ » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم والحسين بن عليّ الصُّدَائي ، قالا : ثنا شَبَابة بن سوّار ، قال : ثني عبد الله ابن العلاء أبو رَزِين الشامى ، قال : ثنا الضحاك بنُ عَرْزَم ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ أوَّلَ ما يُسْأَلُ عَنْهُ العَبْدُ يَوْمَ القِيامَةِ مِنَ النَّعِيمِ أنْ يُقالَ لَهُ : أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ ، وَتُرْوَ مِنَ الماءِ البارِدِ » ؟ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا ليث ، عن مجاهد ، قال : قال أبو معمر : عبد الله ابن سخبرة : ما أصبح أحد بالكوفة إلا ناعما ، إن أهونهم عيشا الذى يأكل خبز البرّ ، ويشرب ماء الفُرات ، ويستظلّ من الظلّ ، وذلك من النعيم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عبد الرحمن بن الحارث التميميّ ، عن ثابت البُنَاني ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « النَّعِيمُ : المَسْئُولُ عَنْهُ يَوْمَ القِيامَةِ : كِسْرَةٌ تُقَوِّيهِ ، وَماءٌ يُرْوِيهِ ، وَثَوْبٌ يُوارِيهِ » .

قال : ثنا مهران ، عن إسماعيل بن عياش ، عن بشر بن عبد الله بن بشار ، قال : سمعت بعض أهل يمن يقول : سمعت أبا أُمامة يقول : « النعيم المسئول عنه يوم القيامة : خبز البُرّ ، والماء العذب » .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن بكير بن عتيق العامريّ ، قال : أُتِيَ سعيد بن جُبير بشربة عسل ، فقال : أما إن هذا النعيم الذى نُسْأل عنه يوم القيامة (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن بكير بن عتيق ، عن سعيد بن جُبير ، أنه أُتِيَ بشربة عسل ، فقال : هذا من النعيم الذى تُسألون عنه .

وقال آخرون : ذلك كلّ ما التذّه الإنسان فى الدنيا من شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : عن كلّ شىء من لذّة الدنيا .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) : إن الله عزّ وجلّ سائل كلّ عبد عما استودعه من نِعَمه وحقه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة (لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : إن الله تعالى ذكره سائل كلّ ذى نعمة فيما أنعم عليه .

وكان الحسن وقتادة يقولان : ثلاث لا يُسئل عنهنّ ابن آدم ، وما خلاهنّ فيه المسئلة والحساب . إلا ما شاء الله : كُسوة يوارى بها سَوْءَته ، وكسرة يشدّ بها صُلْبه ، وبيت يظله .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم ، ولم يخصص فى خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع ، بل عمّ بالخبر فى ذلك عن الجميع ، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم ، لا عن بعض دون بعض .

آخر تفسير سورة ألهاكم

---

(١٠٣) سُورَةُ العَصْرِ مَكيَّة
وآياتها ثلاث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَالْعَصْرِ) فقال بعضهم : هو قَسَم أقسم ربنا تعالى ذكره بالدهر ، فقال : العصر : هو الدهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (وَالْعَصْرِ) قال : العصر : ساعة من ساعات النهار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَالْعَصْرِ) قال : هو العشىّ .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن ربنا أقسم بالعصر (وَالْعَصْرِ) اسم للدهر ، وهو العشىّ

والليل والنهار ، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى ، فكلّ ما لزمه هذا الاسم، فداخل فيما أقسم به جلّ ثناؤه .

وقوله (إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ) يقول : إن ابن آدم لفى هلكة ونقصان . وكان علىّ رضى الله عنه يقرأ ذلك (إنَّ الإنْسان لَفِي خُسْرٍ ، وإنه فيه إلى آخر الدهر) .

حدثنى ابن عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا أبونعيم الفضل بن دكين ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق . عن عمرو ذى مرّ ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه يقرأ هذا الحرف (وَالْعَصْرِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ ، إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ ، وإنه فيه إلى آخر الدهر) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ) فى بعض القراءات : « وإنه فيه إلى آخر الدهر » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ذى مرّ ، أن عليا رضى الله عنه قرأها (وَالْعَصْرِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ ، إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ) إلا من آمن (إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) يقول : إلا الذين صدّقوا الله ووحّدوه ، وأقرّوا له بالوحدانية والطاعة ، وعملوا الصالحات ، وأدّوا ما لزمهم من فرائضه ، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه ، واستثنى الذين آمنوا من الإنسان ، لأن الإنسان بمعنى الجمع ، لا بمعنى الواحد .

وقوله (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) يقول : وأوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل الله فى كتابه ، من أمره ، واجتناب ما نهى عنه فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) والحقّ : كتاب الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) قال : الحقّ كتاب الله .

حدثنى عمران بن بكّار الكُلاعِيّ ، قال : ثنا خطاب بن عثمان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سنان أبو رَوْح السَّكونيّ ، حمصيّ لقيته بإرمينية ، قال : سمعت الحسن يقول فى (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) قال : الحقّ : كتاب الله .

وقوله (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) يقول : وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على العمل بطاعة الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) قال : الصبر : طاعة الله .

حدثني عمران بن بكار الكُلاعى ، قال : ثنا خطاب بن عثمان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سنان أبو روح ، قال : سمعت الحسن يقول فى قوله (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) قال : الصبر : طاعة الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) قال : الصبر : طاعة الله .

آخر تفسير سورة والعصر

---

(١٠٤) سُورَةُ الهُمَزَةِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا تِسْع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

يعني تعالى ذكره بقوله (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ) الوادى يسيل من صديد أهل النار وقيحهم ، (لكلّ همزة) : يقول : لكلّ مغتاب للناس ، يغتابهم ويغضهم ، كما قال زياد الأعجم :

تُدْلى بوُدّى إذا لاقيْتَنى كَذِباً ... وإنْ أُغَيَّبْ فأنتَ الهامِزُ اللُّمَزَه [1]

ويعني باللُّمَزة : الذى يعيب الناس ، ويطعن فيهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة فى مجاز القرآن (١٩٠) قال : الهمزة : الذى يغتاب مبغضه . قال الأعجم : « تدلى بودى . . . البيت » . وفى « اللسان : همز » . (قال ابن الأعرابي : الهماز : العيابون فى الغيب . واللماز : المغتابون بالحضرة . ومنه قوله عز وجل : « ويل لكل همزة لمزة » قال أبو إسحاق (الزجاج) الهمزة اللمزة : الذى يغتاب الناس ويغضهم وأنشد :

إذَا لَقِيتُكَ عَنْ شَحْطٍ تُكاشِرُنِي ... وإنْ تغيَّبْتُ كنتَ الهامِزَ اللُّمَزَهْ

وفى (اللسان : لمز) : اللمز : كالغمز فى الوجه ، تلمزه بفيك بكلام خفى . ورجل لمزة : يعيبك فى وجهك ، ورجل همزة : يعيبك بالغيب . وقال الزجاج : الهمزة اللمزة الذى يغتاب الناس ويغضهم . وكذلك قال ابن السكيت ولم يفرق بينهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا مسروق بن أبان، قال : ثنا وكيع ، عن رجل لم يسمه ، عن أبي الجوزاء ، قال : قلت لابن عباس : مَنْ هؤلاء هم الذين بدأهم الله بالويل؟ قال : هم المشّاءون بالنميمة ، المفرّقون بين الأحبة ، الباغون أكبر العيب.

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن رجل من أهل البصرة ، عن أبي الجوزاء ، قال : قلت : لابن عباس : من هؤلاء الذين ندبهم الله إلى الويل ؟ ثم ذكر نحو حديث مسروق بن أبان .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال : الهمزة يأكل لحوم الناس . واللمزة : الطعان .

وقد رُوِى عن مجاهد خلاف هذا القول ، وهو ما حدثنا به أبو كُرَيب . قال : ثنا وكيع . عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ) قال : الهمزة : الطّعّان . واللمزة : الذى يأكل لحوم الناس .

حدثنا مسروق بن أبان الحطاب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا سفيان . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

ورُوِى عنه أيضا خلاف هذين القولين ، وهو ما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال : أحدهما الذى يأكل لحوم الناس ، والآخر الطعان . وهذا يدلّ على أن الذى حدّث بهذا الحديث قد كان أشكل عليه تأويل الكلمتين ، فلذلك اختلف نقل الرواة عنه ما رووا على ما ذكرت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) أما الهمزة : فآكل لحوم الناس ، وأما اللمزة : فالطعان عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، قال : الهمزة : آكل لحوم الناس : واللّمَزة : الطعان عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن خثيم ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس : (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال : ويل لكلّ طعان مغتاب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : الهُمزة : يهمزه في وجهه . واللمزة : من خلفه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه ، ويأكل لحوم الناس ، ويطعن عليهم .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الهُمَزة باليد ، واللُّمَزة باللسان .

وقال آخرون في ذلك ما حدثني به يونُس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله

(وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال : الهمزة : الذى يهمز الناس بيده ، ويضربهم بلسانه ، واللمزة : الذى يلمزهم بلسانه ويعيبهم .

واختُلِف فى المعنىّ بقوله (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ) فقال بعضهم : عُنِىَ بذلك : رجل من أهل الشرك بعينه ، فقال بعض من قال هذا القول : هو جميل بن عامر الجُمَحىّ .

وقال آخرون منهم : هو الأخنس بن شريق .

ذكر من قال : عُنِى به مشرك بعينه

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال : مشرك كان يَلْمِزُ الناس وَيَهْمِزُهُمْ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن رجل من أهل الرَّقَّة قال : نزلتْ فى جميل بن عامر الجُمَحىّ .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، فى قوله (هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال : ليست بخاصة لأحد ، نزلتْ فى جميل بن عامر ، قال ورقاء : زعم الرقاشىّ .

وقال بعض أهل العربية : هذا من نوع ما تذكر العرب اسم الشىء العام ، وهى تقصد به الواحد ، كما يقال فى الكلام : إذا قال رجل لأحد : لأزورك أبدا : كل من لم يزرنى ، فلست بزائره ، وقائل ذلك يقصد جواب صاحبه القائل له : لأأزورك أبدا .

وقال آخرون : بل معنىّ به ، كلّ من كانت هذه الصفة صفته ، ولم يقصد به قصد آخر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال : ليست بخاصة لأحد .

❀ والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله عمّ بالقول كلّ همزة لمزة ، كلّ من كان بالصفة التى وصف هذا الموصوف بها ، سبيله سبيله كائنا من كان من الناس .

وقوله (الَّذِى جَمَعَ مالاً وَعَدَّدَهُ) يقول : الذى جمع مالا وأحصى عدده ، ولم ينفقه فى سبيل الله ، ولم يؤدّ حقّ الله فيه ، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه من قرّاء أهل المدينة أبو جعفر ، وعامة قرّاء الكوفة سوى عاصم : جَمَّع بالتشديد ، وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والحجاز ، سوى أبى جعفر وعامة قرّاء البصرة ، ومن الكوفة عاصم ، جَمع بالتخفيف ، وكلهم مجمعون على تشديد الدال من (عَدَّدَهُ) ، على الوجه الذى ذكرت من تأويله . وقد ذُكر عن بعض المتقدّمين بإسناد غير ثابت ، أنه قرأه (جَمَعَ مالاً وَعَدَدَهُ) بتخفيف الدال ،

بمعنى: جمع مالا، وجمع عشيرته وعَدَّدَه . وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها، بخلافها قراءة الأمصار، وخروجها عما عليه الحجة مجمعة فى ذلك .

وأما قوله (جَمَعَ مالاً) فإن التشديد والتخفيف فيهما صوابان، لأنهما قراءتان معروفتان فى قَرَأَة الأمصار، متقاربتا المعنى ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ) يقول : يحسب أن ماله الذى جمعه وأحصاه ، وبخل بإنفاقه، مُخلده فى الدنيا ، فمزيلٌ عنه الموت . وقيل : أخلده ، والمعنى: يخلده ؛ كما يقال للرجل الذى يأتى الأمر الذى يكون سببا لهلاكه: عَطِب والله فلان ، وهلك والله فلان ، بمعنى :أنه يَعْطَب من فعله ذلك ، ولما يهلك بعد ولم يعطب ؛ وكالرجل يأتى المُوبِقة من الذنوب : دخل والله فلان النار .

وقوله (كَلَّا) يقول تعالى ذكره : ماذاك كما ظنّ، ليس مالُه مخلدَه . ثم أخبر جلّ ثناؤه أنه هالك ومعذَّب على أفعاله ومعاصيه ، التى كان يأتيها فى الدنيا ، فقال جلّ ثناؤه : (لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ): يقول: ليُقذفنّ يوم القيامة فى الحُطَمة ، والحطمة : اسم من أسماء النار ، كما قيل لها: جهنم وسَقَر ولَظَى ، وأحسبها سميت بذلك لحطْمها كلّ ما أُلقى فيها ، كما يقال للرجل الأكول : الحُطَمَة .

وذُكر عن الحسن البصرىّ أنه كان يقرأ ذلك (لَيُنْبَذَانِّ فِي الْحُطَمَةِ) يعنى : هذا الهمزة اللمزة وماله ، فثنّاه لذلك .

وقوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ) يقول : وأىّ شىء أشعرك يامحمد ما الحطمة ، ثم أخبره عنها ماهى، فقال جلّ ثناؤه : هى (نارُ اللهِ المُوقَدَةُ ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ) يقول : التى يطلع ألمها ووَهَجُها القلوب ، والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى . حُكى عن العرب سماعا : متى طَلَعْتَ أرضنا ، وطلعتُ أرضى : بلغت .

وقوله (إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) يقول تعالى ذكره : إن الحُطَمة التى وصفت صفتها عليهم ، يعنى : على هؤلاء الهمّازين اللمّازين (مُؤْصَدةٌ): يعنى : مطبقة ، وهى تُهمز ولا تُهمز ، وقد قُرئتا جميعا . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال: ثنا طَلْق ، عن ابن ظهير ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس فى مؤصدة : قال : مُطْبَقَة .

حدثنى عبيد بن أسباط ، قال : ثنى أبى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، فى قوله (إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) قال : مُطْبَقَة .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد ، قال : فى النار رجل فى شِعْب من شعابها ينادى مقدار ألف عام : ياحنّان يا منّان ، فيقول ربّ العزّة لجبريل : أخرج عبدى من النار ، فيأتيها فيجدها مُطْبَقَة ، فيرجع فيقول: يا ربّ (إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) فيقول: يا جبريل فُكّها، وأخرج

عبدى من النار ، فيفكها ، ويخرج مثل الخيال ، فيُطرح على ساحل الجنة حتى يُنبت الله له شعرا ولحما ودما .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) قال : مطْبَقة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن مضرس بن عبد الله ، قال : سمعت الضحاك (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) قال : مطبقة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) قال : عليهم مغلقة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) : أى مطبقة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) قال : مطبقة ؛ والعرب تقول : أوصد الباب : أغلق .

وقوله (فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك . فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (فِى عَمَدٍ) بفتح العين والميم . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (فِى عُمُدٍ) بضم العين والميم . والقول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، ولغتان صحيحتان . والعرب تجمع العمود : عُمُدا وعَمَدا ، بضم الحرفين وفتحهما . وكذلك تفعل فى جمع إهاب ، تجمعه : أُهُبا ، بضم الألف والهاء ، وأَهَبا بفتحهما ، وكذلك القضم ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : إنها عليهم مُؤصدة بعمد ممدّدة : أى مغلقة مطبقة عليهم ، وكذلك هو فى قراءة عبد الله فيما بلغنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قتادة ، فى قراءة عبد الله (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ بِعَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنما دخلوا فى عمد ، ثم مدّت عليهم تلك العمد بعماد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) قال : أدخلهم فى عمد ، فمدّت عليهم بعماد ، وفى أعناقهم السلاسل ، فسُدّت بها الأبواب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (فِى عَمَدٍ) من حديد مغلولين فيها ، وتلك العمد من نار قد احترقت من النار ، فهى من نار (مُمَدَّدَةٍ) لهم .

وقال آخرون : هى عَمَد يعذّبون بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) كنا نحدّث أنها عمد يعذّبون بها فى النار ، قال بشر ، قال يزيد فى قراءة قتادة (عَمَدٍ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) قال : عمود يعذبون به في النار .

وأولى الأقوال بالصواب : في ذلك قول من قال : معناه : أنهم يعذبون بعمد في النار ، والله أعلم كيف تعذيبه إياهم بها . ولم يأتنا خبر تقوم به الحجة بصفة تعذيبهم بها ، ولا وُضع لنا عليها دليل ، فندرك به صفة ذلك . فلا قول فيه ، غير الذي قلنا يصح عندنا ، والله أعلم .

آخر تفسير سورة الهمزة

(١٠٥) سورة الفيل مكية وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر يامحمد بعين قلبك ، فترى بها (كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأصحاب الْفِيلِ) الذين قدموا من اليمن يريدون تخريب الكعبة من الحبشة ، ورئيسهم أبرهة الحبشي الأشرم (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) يقول : ألم يجعل سعي الحبشة أصحاب الفيل في تخريب الكعبة (في تَضْلِيلٍ) يعني : في تضليلهم عما أرادوا وحاولوا من تخريبها .

وقوله (وأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرا أبابِيلَ) يقول تعالى ذكره : وأرسل عليهم ربك طيرا متفرقة ، يتبع بعضها بعضا من نواح شتى ، وهي جماع لاواحد لها ، مثل الشماطيط والعبابيد ونحو ذلك . وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى ، أنه لم ير أحدا يجعل لها واحدا . وقال الفراء : لم أسمع من العرب في توحيدها شيئا . قال : وزعم أبو جعفر الرؤاسي ، وكان ثقة ، أنه سمع أن واحدها : إبالة . وكان الكسائي يقول : سمعت النحويين يقولون : إبول ، مثل العجول . قال : وقد سمعت بعض النحويين يقول : واحدها : أبيل .

وبنحو الذي قلنا في الأبابيل : قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر ، عن عبد الله ، في قوله (طَيْرًا أبابِيلَ) قال : فرق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، قال : الفِرَق .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (طَيْرًا أبابِيلَ) قال : يتبع بعضُها بعضا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أبابِيلَ) قال : هى التى يتبع بعضُها بعضا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل : أنه قال فى (طَيْرًا أبابِيلَ) قال : هى الأقاطيع ، كالإبل المؤبَّلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمّىّ ، عن جعفر ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى (طَيْرًا أبابِيلَ) قال : متفرّقة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الفضل ، عن الحسن (طَيْرًا أبابِيلَ) قال : الكثيرة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن ابن سابط ، عن أبى سلمة ، قالا : الأبابيل : الزُّمَر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (أبابِيلَ) قال : هى شتّى متتابعة مجتمعة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : الأبابيل : الكثيرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : الأبابيل : الكثيرة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (طَيْرًا أبابِيلَ) يقول : متتابعة ، بعضُها على أثر بعض .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (طَيْرًا أبابِيلَ) قال : الأبابيل : المختلفة ، تأتى من هاهنا ، وتأتى من هاهنا ، أتتهم من كلّ مكان .

وذُكر أنها كانت طيرا أُخرجت من البحر ، وقال بعضهم : جاءت من قِبَل البحر .

ثم اختلفوا فى صفتها ، فقال بعضهم : كانت بيضاء .

وقال آخرون : كانت سوداء .

وقال آخرون : كانت خضراء ، لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكفّ كأكفّ الكلاب .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، فى قوله (طَيْرًا أبابِيلَ) قال : قال ابن عباس : هى طير ، وكانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكفّ كأكفّ الكلاب .

حدثنى الحسن بن خلَف الواسطىّ ، قال : ثنا وكيع ورَوْح بن عبادة ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن ابن عون ، عن ابن عباس ، نحوه .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حسين ، عن عكرمة ، فى قوله (طَيْرًا أَبَابِيلَ) قال : كانت طيرا خُضْرا ، خرجت من البحر ، لها رءوس كرءوس السباع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن عبيد بن عُمير (طَيْرًا أَبَابِيلَ) قال : هى طير سُود بَحْرية ، فى مناقرها وأظفارها الحجارة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن عبيد بن عمير : (طَيْرًا أَبَابِيلَ) قال : سُود بَحْرية ، فى أظافيرها ومناقيرها الحجارة .

قال : ثنا مهران ، عن خارجة ، عن عبد الله بن عون ، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس قال : لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكفّ كأكفّ الكلاب .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جُبير ، فى قوله (طَيْرًا أَبَابِيلَ) قال : طير خُضْر ، لها مناقير صُفْر ، تختلف عليهم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن عبيد بن عمير ، قال : طير سودا تحمل الحجارة فى أظافيرها ومناقيرها .

وقوله (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) يقول تعالى ذكره : ترمى هذه الطير الأبابيل التى أرسلها الله على أصحابِ الفيل ، أصحابَ الفيل ، بحجارة من سجيل .

وقد بيَّنا معنى سجيل فى موضع غير هذا ، غير أنا نذكر بعض ما قيل من ذلك فى هذا الموضع ، من أقوال مَنْ لم نذكره فى ذلك الموضع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (حِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : طين فى حجارة .

حدثنى الحسين بن محمد الذارع ، قال : ثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : من طين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السُّدّى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (حِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : سنك وكل .

حدثنى الحسين بن محمد الذارع ، قال : ثنا يزيد بن زُرَيع ، عن عُمارة بن أبى حفصة ، عن عكرمة ، فى قوله (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : من طين .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن شَرْقِى ، قال : سمعت عكرمة يقول (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : سنك وكل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، قال : كانت ترميهم بحجارة

معها ، قال : فإذا أصاب أحدهم خرج به الجُدَرِىّ ، قال : كان أوّل يوم رُؤى فيه الجدرىّ ؛ قال: لم يُر قبل ذلك اليوم ، ولا بعده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، قال : ذكر أبو الكُنود ، قال : دون الحِمَّصة وفوق العدسة .

حدثنا ابن بشار ، قال: ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، قال : كانت الحجارة التى رُمُوا بها أكبرَ من العدَسة ، وأصغر من الحِمَّصة .

قال : ثنا أبو أحمد الزُّبيرىّ ، قال : ثنا إسرائيل ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن عمران ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : سجّيل بالفارسية : سنك وكل ، حَجَر وطين .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر بن سابط ، قال : هى بالأعجمية : سنك وكل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كانت مع كلّ طير ثلاثة أحجار : حجران فى رجليه ، وحجر فى منقاره ، فجعلت ترميهم بها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : هى من طين .

حدثنا ابن عبد الأعلى : قال: ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال: هى طير بيض ، خرجت من قِبَل البحر ، مع كلّ طير ثلاثة أحجار : حَجَران فى رجليه ، وحجر فى منقاره ، ولا يصيب شيئا إلا هشَمه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث بن يعقوب أن أباه أخبره أنه بلغه أن الطير التى رمت بالحجارة ، كانت تحملها بأفواهها ، ثم إذا ألقتها نَفِط لها الجلد .

وقال آخرون : معنى ذلك : ترميهم بحجارة من سماء الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : السماء الدنيا ، قال: والسماء الدنيا اسمها سجّيل ، وهى التى أنزل الله جلّ وعزّ على قوم لوط .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، أنه بلغه أن الطير التى رمت بالحجارة ، أنها طير تخرج من البحر ، وأن سجيل : السماء الدنيا . وهذا القول الذى قاله ابن زيد لانعرف لصحته وجها فى خبر ولا عقل ، ولا لغة ، وأسماء الأشياء لاتُدرك إلا من لغة سائرة ، أو خبر من الله تعالى ذكره .

وكان السبب الذى من أجله حلّت عقوبة الله تعالى بأصحاب الفيل ، مسير أبرهة الحبشىّ بجنده معه الفيل ، إلى بيت الله الحرام لتخريبه .

وكان الذى دعاه إلى ذلك فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنا ابن إسحاق ،

« أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء، وكان نصرانيا، فسماها القُلَّيْس ؛ لم يُر مثلها فى زمانها بشىء من الأرض ؛ وكتب إلى النجاشى ملك الحبشة : إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة، لم يُبن مثلها لملك كان قبلك ، ولستُ بمُنته حتى أصرف إليها حاجّ[1] العرب . فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشىّ . غضب رجل من النَّسَأة أحد بنى فُقَيم، ثم أحد بنى مالك ، فخرج حتى أتى القُلَّيس ، فقعد فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه، فأُخبر أبرهة بذلك ، فقال : من صنع هذا ؟ فقيل : صنعه رجل من أهل هذا البيت، الذى تحجّ العرب إليه بمكة . لما سمع من قولك : أصرف إليه حاجّ العرب . فغضب ، فجاء فقعد فيها ، أى أنها ليست لذلك بأهل . فغضب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرنّ إلى البيت فيهدمه ؛ وعند أبرهة رجال من العرب قد قدموا عليه يلتمسون فضله، منهم محمد بن خُزَاعى بن حِزَابة الذَّكوانى، ثم السُّلَمى، فى نفر من قومه، معه أخ له يقال له قيس بن خزاعى ؛ فبينما هم عنده ، غَشِيهم عبد لأبرهة ، فبعث إليهم فيه بغدائه . وكان يأكل الخُصَى ؛ فلما أتى القوم بغدائه ، قالوا : والله لئن أكلنا هذا لاتزال تسبُّنا به العرب ما بقينا . فقام محمد ابن خزاعى ، فجاء أبرهة فقال : أيها الملك . إن هذا يوم عيد لنا ، لانأكل فيه إلا الجُنوب والأيدى ، فقال له أبرهة : فسنبعث إليكم ما أحببتم ، فإنما أكرمتكم بغدائى ، لمنزلتكم عندى .

ثم إن أبرهة توّج محمد بن خُزَاعى ، وأمّره على مضر، وأمره أن يسير فى الناس ، يدعوهم إلى حجّ القُلَّيس، كنيسته التى بناها ، فسار محمد بن خزاعى، حتى إذا نزل ببعض أرض بنى كنانة، وقد بلغ أهل تهامة أمره ، وما جاء له ، بعثوا إليه رجلا من هُذَيل يقال له عُرْوة بن حياض الملاصى ، فرماه بسهم فقتله ؛ وكان مع محمد بن خزاعى أخوه قيس بن خزاعى ، فهرب حين قُتل أخوه ، فلحق بأبرهة . فأخبره بقتله ، فزاد ذلك أبرهة غضبا وحنقا ، وحلف ليغزونّ بنى كنانة ، وليهدمنّ البيت .

ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت، أمر الحُبْشان فتهيأتْ وتجهزتْ ، وخرج معه بالفيل ، وسمعت العرب بذلك ، فأعظموه ، وفَظِعوا به ، ورأوا جهاده حقًّا عليهم ، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة ، بيت الله الحرام، فخرج رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم، يقال له ذو نَفْر ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب ، إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه من أجابه إلى ذلك ، وعَرَض له ، وقاتله ، فهُزم وتفرّق أصحابه ، وأُخذ له ذو نفر أسيرا ؛ فلما أراد قتله ، قال ذو نفر : أيها الملك لاتقتلنى ، فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيرا لك من قتلى ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده فى وثاق . وكان أبرهة رجلا حليما .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ماخرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم، عرض له نُفَيل بن حبيب الخثعمىّ فى قبيلَى خثعم : شَهران ، وناهس ، ومن معه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأُخذله أسيرا ، فأُتى به ؛ فلما همّ بقتله ، قال له نفيل : أيها الملك لاتقتلنى ، فإنى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداى لك على قبيلى خثعم : شهران ، وناهس ، بالسمع والطاعة ؛ فأعفاه وخلّى سبيله ، وخرج به معه ، يدله على الطريق ؛ حتى إذا مرّ بالطائف ، خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب فى رجال ثقيف ،

(١) فى سيرة ابن هشام طبعة الحلبى الأولى (١ : ٤٥) : حج العرب .

فقال أيها الملك : إنما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ، ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذى تريد ، يعنون اللات ، إنما تريد البيت الذى بمكة ، يعنون الكعبة ، ونحن نبعث معك من يدلك ، فتجاوز عنهم ، وبعثوا معهم أبا رِغال ؛ فخرج أبرهة ومعه أبو رِغال حتى أنزله المغمّس ، فلما أنزله به مات أبو رِغال هناك ، فرَجمت العرب قبره ، فهو القبر الذى ترجم الناس بالمغمّس .

ولما نزل أبرهة المغمس ، بعث رجلا من الحبشة ، يقال له الأسود بن مقصود ، على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم ، وأصاب فيها مئتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيّدها ، وهمّت قريش وكنانة وهُذَيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لاطاقة لهم به ، فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حُناطة الحميرىّ إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له : إن الملك يقول لكم : إنى لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم ، فإن لم يُرِد حربى فأتنى به .

فلما دخل حناطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل : عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قُصَىّ ، فجاءه ، فقال له ما أمره به أبرهة ، قال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، أو كما قال ، فإن يمنعه فهو بيته وحرَمه ، وإن يُخْلِ بينه وبينه ، فوالله ما عندنا له من دافع عنه ، أو كما قال ؛ فقال له حناطة : فانطلق إلى الملك ، فإنه قد أمرنى أن آتيه بك ، فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذى نفر ، وكان له صديقا ، فدُلّ عليه ، فجاءه وهو فى محبسه ، فقال : يا ذا نفر ، هل عندك غَناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر ، وكان له صديقا : وما غَناء رجل أسير فى يدى ملك ، ينتظر أن يقتله غدوّا أو عشيا ؟ ما عندى غناء فى شىء مما نزل بك إلاّ أن أنيسا سائق الفيل لى صديق ، فسأرسل إليه ، فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك ، فتكلمه بما تريد ، ويشفع لك عنده بخير ، إن قدر على ذلك . قال حسبى . فبعث ذو نفر إلى أُنيس ، فجاء به ، فقال : يا أُنيس إن عبد المطلب سيّد قريش ، وصاحب عير مكة ، يُطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، وقد أصاب الملكُ له مئتى بعير ، فاستأذنْ له عليه ، وانفعْه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل .

فكلّم أُنيس أبرهة ، فقال : أيها الملك ، هذا سيّد قريش ببابك ، يستأذن عليك ، وهو صاحب عير مكة ، يُطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، فأْذَنْ له عليك ، فليكلمك بحاجته ، وأحسن إليه . قال : فأذن له أبرهة ، وكان عبد المطلب رجلا عظيما وسيما جسيما ؛ فلما رآه أبرهة أجلّه وأكرمه أن يجلس تحته ، وكره أن تراه الحبشة يُجلسُه معه على سرير مُلكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، فأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له ما حاجتك إلى الملك ؟ فقال له ذلك الترجمان ، فقال له عبد المطلب : حاجتى إلى الملك أن يردّ علىّ مئتى بعير أصابها لى ، فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين كلّمتنى . أتكلمنى فى مئتى بعير أصبتها لك ،

وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك ، قد جئت لهدمه فلا تكلمنى فيه ؟ قال له عبد المطلب : إنى أنا ربّ الإبل ، وإن للبيت ربا سيمنعه ، قال : ماكان ليمتنع منى ، قال : فأنت وذاك ، اردد إلىّ إبلى .

وكان فيما زعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة بعمرو بن نُفاثة ابن عدىّ بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وهو يومئذ سيّد بنى كنانة ، وخويلد بن واثلة الهُذَلىّ وهو يومئذ سيد هُذَيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تِهامة ، على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم ، والله أعلم .

وكان أبرهة ، قد ردّ على عبد المطلب الإبل التى أصاب له ، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرّز فى شَعَف الجبال والشعاب ، تخوّفا عليهم من مَعَرّة الجيش ؛ ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلْقة الباب ، باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب ، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

يا رَبِّ لا أرْجُو لَهُمْ سِوَاكا
يا رَبِّ فامْنَعْ مِنْهُمُ حِماكا
إنَّ عَدُوَّ البَيْتِ مَنْ عادَاكا
امْنَعْهُمُ أنْ يُخَرِّبُوا قُرَاكا[1]

وقال أيضا :

لا هُمَّ إنَّ العَبْدَ يَمْـنَعُ رَحْلَهُ فامْنَعْ حِلالَكْ
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ومِحَالُهُمْ غَدْوًا مِحَالَكْ
فَلَئِنْ فَعَلْتَ فَرُبَّما أوْلى فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ
وَلَئِنْ فَعَلْتَ فإنَّهُ أمْرٌ تُتِمُّ بِهِ فَعالَكْ[2]

وقال أيضا :

(١) هذان البيتان ينسبان إلى عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم ، زعموا أنه قالهما فى حرب الفيل . وقد ذكرهما الثعلبى المفسر فى العرائس المعروف بقصص الأنبياء (طبعة الحلبى ٤٤٢) .

(٢) بعض هذه الأبيات ينسب إلى عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان رئيس مكة وهو القائم بأمر البيت ، قالها عند قصد الحبشة لغزو مكة ، وهدم الكعبة . وقد أورد ابن إسحاق منها ثلاثة أبيات ، وهى :

لا هُمَّ إنَّ العَبْـدَ يَمْـنَعُ رَحْلَهُ فامْنَعْ حِلالَكْ
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ومِحَالُهُمْ غَدْوًا مِحَالَكْ
إنْ كُنْتَ تارِكَهُمْ وقِبْـلَتَنا فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها . وقال السهيلى فى الروض الأنف تعليقا على قول عبد المطلب هذا : وفى الرجز بيت ثالث لم يقع فى الأصل ، وهو قوله :

وانْصُرْ على آلِ الصَّلِيـبِ وعابِدِيهِ اليَوْمَ آلَكْ

وقوله : حلالك : هم القوم الحالون فى المكان . اه . وقيل إن البيت الثالث مما رواه الواقدى ، ولم يروه ابن إسحاق . اه .

وكُنْتُ إذَا أتَى باغٍ بِسَلْمٍ نُرَجِّى أن تَكُونَ لَنَا كَذَلكْ
فَوَلَّوْا لَمْ يَنَالُوا غَيْرَ خِزْيٍ وكانَ الحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنَالكْ
ولَمْ أسْمَعْ بأرْجَسَ مِنْ رِجالٍ أرَادُوا العِزَّ فانْتَهَكُوا حَرَامَكْ
جَرُّوا جُمُوعَ بِلادِهِمْ والفِيلَ كَىْ يَسْبُوا عِيَالَكْ[1]

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال ، فتحرّزوا فيها، ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها ، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله ، وعبّأ جيشه : وكان اسم الفيل محمودا ، وأبرهة مُجْمِعٌ لهدم البيت ، ثم الانصراف إلى اليمن ، فلما وجّهوا الفيل ، أقبل نُفَيل ابن حبيب الخثعمىّ ، حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بأذنه فقال : ابرك محمود ، وارجع راشدا من حيث جئت ، فإنك فى بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه ، فبَرَك الفيل ، وخرج نُفَيل بن حبيب يشتدّ حتى أصعد فى الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، وضربوا فى رأسه بالطبرزين ليقوم ، فأبى ، فأدخلوا محاجن لهم فى مراقه ، فبزغوه بها ليقوم، فأبى، فوجّهوه راجعا إلى اليمن ، فقام يُهَرْوِل ، ووجّهوه إلى الشام ، ففعل مثل ذلك ، ووجّهوه إلى المشرق ، ففعل مثل ذلك ، ووجّهوه إلى مكة فبرك ، وأرسل الله عليهم طيرا من البحر ، أمثالَ الخطاطيف ، مع كلّ طير ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه مثل الحِمَّص والعَدَس ، لايصيب منهم أحدا إلا هلك ، وليس كلّهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا ، ويسألون عن نُفَيل بن حبيب ، ليدلهم على الطريق إلى اليمن ؛ فقال نُفَيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أيْنَ المَفَرُّ والإلَهُ الطَّالِبْ والأشْرَمُ المَغْلُوبُ غَيْرُ الغالِبْ[2]

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق ، ويهلكون على كلّ مَنْهل ، فأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم ، فسقطت أنامله أنملة أنملة ، كلما سقطت أنملة أتبعتها مِدّة تَمُثُّ قيحا ودما ، حتى قَدِموا به صنعاء . وهو مثل فرخ الطير ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المُغيرة بن الأخنس ، أنه حدّث : أن أوّل ما رُؤيت الحَصْبة والجُدَرىّ بأرض العرب ذلك العام : وأنه أوّل ما رؤى بها مُرار الشجر : الحرملُ والحنظلُ والعُشَرُ ذلك العام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ألَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأصْحابِ الفِيلِ) أقبل أبرهة الأشرم من الحبشة يوما ومن معه من عداد أهل اليمن ، إلى بيت الله ليهدمه من

(١) الأبيات الثلاثة الأولى من بحر الوافر . أما البيت الرابع فليس منها ، لأنه من مجزوء الرجز ، كالأبيات السابقة ، فهو أحرى أن يلحق بها . ولكنها هكذا جاءت مختلطة فى الأصل ، وهذا من إفساد الناسخين ، والله أعلم . وينبغى أن تكون قافية هذه الأبيات الكاف ، لا اللام ، لأن الشاعر لم يلتزم اللام فى البيت الثالث ، ولو لزمها لجاز أن تكون هى القافية .

(٢) البيت نسبه الثعلبى المفسر فى (العرائس) إلى نفيل بن حبيب الخثعمى ٤٤٣ وقال السهيلى فى الروض الأنف : (١ : ٤٥) ونفيل الذى ذكر : هو نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك . . . بن خثعم ، كذلك نسبه البرقى . وفى الكتاب : نفيل ابن حبيب . يريد بالكتاب كتاب السيرة لمحمد بن إسحاق ، وقد ورد اسم نفيل فى قصة الفيل .

أجل بيعة لهم أصابها العرب بأرض اليمن، فأقبلوا بفيلهم، حتى إذا كانوا بالصِّفَاح برك، فكانوا إذا وجّهوه إلى بيت الله ألقى بجرانه الأرض، وإذا وجّهوه إلى بلدهم انطلق وله هَرْوَلة، حتى إذا كان بنخلة اليمانية بعث الله عليهم طيرا بيضا أبابيل. والأبابيل: الكثيرة، مع كلّ طير ثلاثة أحجار: حجران فى رجليه، وحجر فى منقاره، فجعلت ترميهم بها حتى جعلهم الله عزّ وجلّ كعصف مأكول؛ قال: فنجا أبو يكسوم وهو أبرهة، فجعل كلما قدم أرضا تساقط بعض لحمه، حتى أتى قومه، فأخبرهم الخبر ثم هلك.

وقوله (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأكولٍ) يعنى تعالى ذكره، فجعل الله أصحاب الفيل كزرع أكلته الدوابّ فراثته، فيبس وتفرّقت أجزاؤه، شبّه تقطّع أوصالهم بالعقوبة التى نزلت بهم، وتفرّق آراب أبدانهم بها، بتفرّق أجزاء الروث، الذى حدث عن أكل الزرع.

وقد كان بعضهم يقول: العَصْف: هو القشر الخارج الذى يكون على حبّ الحنطة من خارج، كهيئة الغلاف لها.

ذكر من قال: عُنِى بذلك ورق الزرع

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (كَعَصْفٍ مأْكُولٍ) قال: ورق الحنطة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (كَعَصْفٍ مأْكُولٍ) قال: هو التّبن.

وحُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (كَعَصْفٍ مأْكُولٍ): كزرع مأكول.

حدثنى محمد بن عُمارة الأسدىّ، قال: ثنا زريق بن مرزوق، قال: ثنا هبيرة، عن سَلَمة بن نُبَيط، عن الضحاك، فى قوله (كَعَصْفٍ مأْكُولٍ) قال: هو الهَبُور بالنبطية، وفى رواية: المقهور.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأْكُولٍ) قال: ورق الزرع وورق البقل، إذا أكلته البهائم فراثته، فصار رَوْثا.

ذكر من قال: عنى به قشر الحبّ

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس (كَعَصْفٍ مأْكُولٍ) قال: البُرّ يؤكل ويُلْقى عَصْفُه الريح. والعَصْف: الذى يكون فوق البرّ: هو لحاء البرّ.

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبى سنان، عن حبيب بن أبى ثابت: (كَعَصْفٍ مأْكُولٍ) قال: كطعام مطعوم.

آخر تفسير سورة الفيل

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝

اختلفت القراء فى قراءة (لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار بياء بعد همز لإيلاف وإيلافهم، سوى أبي جعفر ، فإنه وافق غيره فى قوله (لإيلافِ) فقرأه بياء بعد همزة . واختلف عنه فى قوله (إيلافِهِمْ) فروى عنه أنه كان يقرؤه (إلْفِهِمْ[1]) على أنه مصدر من ألف يألف إلفا، بغير ياء . وحكى بعضهم عنه أنه كان يقرؤه (إلافِهِمْ) بغير ياء مقصورة الألف .

والصواب من القراءة فى ذلك عندى: من قرأه (لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ) بإثبات الياء فيهما بعد الهمزة، من آلفت الشيء أُولفه إيلافا ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . وللعرب فى ذلك لغتان : آلفت ، وألفت ؛ فمن قال : آلفت بمدّ الألف قال : فأنا أؤالف إيلافا ؛ ومن قال : ألفت بقصر الألف قال : فأنا آلَفُ إلْفا ، وهو رجل آلِفٌ إلْفا . وحُكى عن عكرمة أنه كان يقرأ ذلك (لتألَفِ قُرَيْشٍ إلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ والصَّيْفِ) .

حدثنى بذلك أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى مكين ، عن عكرمة .

وقد رُوى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد ، قالت : سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقرأ (إلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ والصَّيْفِ) .

واختلف أهل العربية فى المعنى الجالب هذه اللام فى قوله (لإيلافِ قُرَيْشٍ) ، فكان بعض نحويى البصرة يقول : الجالب لها قوله (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأْكُولٍ) فهى فى قول هذا القائل صلة لقوله جعلهم ، فالواجب على هذا القول، أن يكون معنى الكلام: ففعلنا بأصحاب الفيل هذا الفعل ، نعمة منا على أهل هذا البيت، وإحسانا منا إليهم، إلى نعمتنا عليهم فى رحلة الشتاء والصيف ، فتكون اللام فى قوله (لإيلافِ) بمعنى إلى ، كأنه قيل : نعمة لنعمة وإلى نعمة ، لأن إلى موضع اللام ، واللام موضع إلى . وقد قال : معنى هذا القول بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) لم يرد أبي جعفر إسكان اللام ولم نعلم أحدا قرأ به وإنما الورد عنه حذف الياء فقط .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ) قال : إيلافهم ذلك فلا يشقّ عليهم رحلة شتاء ولا صيف .

حدثني إسماعيل بن موسى السديّ ، قال : أخبرنا شريك، عن إبراهيم بن المهاجر ، عن مجاهد (لِإِيلافِ قُرَيْشٍ) قال : نعمتي على قريش .

حدثني محمد بن عبد الله الهلاليّ ، قال : ثنا فَرْوة بن أبي المَغْراء الكِنديّ ، قال : ثنا شريك ، عن إبراهيم بن المهاجر ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا عامر بن إبراهيم الأصبهانيّ ، قال : ثنا خطاب بن جعفر بن أبي المغيرة قال : ثني أبي، عن سعيد بن جُبير ،عن ابن عباس ، في قوله (لِإِيلافِ قُرَيْشٍ) قال : نعمتي على قريش .

وكان بعض نحويي الكوفة يقول : قد قيل هذا القول ، ويقال : إنه تبارك وتعالى عجّب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : اعجب يامحمد لنِعَم الله على قريش ، في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . ثم قال : فلا يتشاغلوا بذلك عن الإيمان واتباعك ، يستدل بقوله (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) .

وكان بعض أهل التأويل يوجّه تأويل قوله (لِإِيلافِ قُرَيْشٍ) إلى أُلفة بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (لِإِيلافِ قُرَيْشٍ) فقرأ (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ) إلى آخر السورة ، قال : هذا لإيلاف قريش ، صنعت هذا بهم لألفة قريش، لئلا أفرّق أُلفتهم وجماعتهم ، إنما جاء صاحب الفيل ليستبيد حريمهم، فصنع الله ذلك.

⁂ والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن هذه اللام بمعنى التعجب . وأن معنى الكلام : اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، وتركهم عبادة ربّ هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف ، فليعبدوا ربّ هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف . والعرب إذا جاءت بهذه اللام ، فأدخلوها في الكلام للتعجب اكتفوا بها دليلا على التعجب من إظهار الفعل الذي يجلبها ، كما قال الشاعر :

أَغَرَّكَ أنْ قالُوا لِقُرَّةَ شاعِرًا فَيالأَباهُ مِنْ عَرِيفٍ وَشاعِرِ[1]

فاكتفى باللام دليلا على التعجب من إظهار الفعل وإنما الكلام : أغرّك أن قالوا : اعجبوا لقرّة شاعرا ، فكذلك قوله (لِإِيلافِ) .

وأما القول الذي قاله من حكينا قوله ، أنه من صلة قوله (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) فإن ذلك لو كان كذلك ، لوجب أن يكون لإيلاف بعض ألم تر ، وأن لاتكون سورة منفصلة من ألم تر ،وفي إجماع جميع المسلمين على أنهما سورتان تامّتان كلّ واحدة منهما منفصلة عن الأخرى ، ما يبين عن فساد القول

(١) هذا بيت لا أعرفه ولا أعرف قائله . استشهد به المؤلف على أن اللام في قوله « لأباه » هي لام التعجب ، وهي بدل النطق بالفعل : « اعجبوا لأباه » . وهو نظاير ما في قوله تعالى : « لإيلاف قريش » ؛ أي اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف . وهي حرف جر . وأباه مجرور بكسرة مقدرة على الألف ، في بعض لغات العرب ، والعريف : القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس .

الذى قاله من قال ذلك . ولو كان قوله (لإيلافِ قُرَيْشٍ) من صلة قوله(فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأكُولٍ) لم تكن ألم تر تامّة حتى توصل بقوله (لإيلافِ قُرَيْشٍ) لأن الكلام لايتمّ إلا بانقضاء الخبر الذى ذُكر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِلْفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ) يقول : لزومهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (لإيلافِ قُرَيْشٍ) قال : نهاهم عن الرحلة ، وأمرهم أن يعبدوا ربّ هذا البيت ، وكفاهم المؤنة ، وكانت رحلتهم فى الشتاء والصيف ، فلم يكن لهم راحة فى شتاء ولا صيف ، فأطعمهم بعد ذلك من جوع ، وآمنهم من خوف ، وألفوا الرحلة ، فكانوا إذا شاءوا ارتحلوا ، وإذا شاءوا أقاموا ، فكان ذلك من نعمة الله عليهم .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة قال : كانت قريش قد ألفوا بُصْرَى واليمن ، يختلفون إلى هذه فى الشتاء ، وإلى هذه فى الصيف (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذا البَيْتِ) فأمرهم أن يقيموا بمكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ) قال : كانوا تجارا ، فعلم الله حبهم للشام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لإيلافِ قُرَيْشٍ) قال : عادة قريش عادتهم رحلة الشتاء والصيف .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لإيلافِ قُرَيْشٍ) كانوا ألفوا الارتحال فى القيظ والشتاء .

وقوله (إيلافِهِمْ) مخفوضة على الإبدال ، كأنه قال : لإيلاف قريش لإيلافهم ، رحلة الشتاء والصيف وأما الرحلة فنُصبت بقوله (إيلافِهِمْ) ، ووقوعه عليها .

وقوله (رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ) يقول : رحلة قريش الرحلتين ، إحداهما إلى الشام فى الصيف ، والأخرى إلى اليمن فى الشتاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ) قال : كانت لهم رحلتان : الصيف إلى الشام ، والشتاء إلى اليمن فى التجارة ، إذا كان الشتاء امتنع الشأم منهم لمكان البرد ، وكانت رحلتهم فى الشتاء إلى اليمن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ) قال : كانوا تُجّارا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبىّ (رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ) قال : كانت لهم رحلتان : رحلة فى الشتاء إلى اليمن ، ورحلة فى الصيف إلى الشأم .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا عامر بن إبراهيم الأصبهانى ، قال : ثنا خطاب بن جعفر بن أبى المغيرة قال : ثنى أبى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ) قال : كانوا يَشْتُون بمكة ، ويَصيفون بالطائف .

وقوله (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) يقول : فليقيموا بموضعهم ووطنهم من مكة ، وليعبدوا ربّ هذا البيت ، يعنى بالبيت : الكعبة .

كما حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مُغيرة ، عن إبراهيم ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، صلى المغرب بمكة ، فقرأ (لِإِيلافِ قُرَيْشٍ) فلما انتهى إلى قوله (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) أشار بيده إلى البيت .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا عامر بن إبراهيم الأصبهانىّ ، قال : ثنا خطاب بن جعفر بن أبى المغيرة ، قال : ثنى أبى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) قال الكعبة .

وقال بعضهم : أُمِروا أن يألفوا عبادة ربّ مكة كإلفهم الرحلتين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلىّ ، قال : ثنا مروان ، عن عاصم الأحول ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قول الله (لِإِيلافِ قُرَيْشٍ) قال : أُمروا أن يألفوا عبادة ربّ هذا البيت ، كإلفهم رحلة الشتاء والصيف .

وقوله (الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ) يقول : الذى أطعم قريشا من جوع .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ) يعنى : قريشا أهل مكة ، بدعوة إبراهيم صلى الله عليه وسلم حيث قال (وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ) .

(وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) فقال بعضهم : معنى ذلك : أنه آمنهم مما يَخاف منه مَنْ لم يكن من أهل الحرم ، من الغارات والحروب والقتال ، والأمور التى كانت العرب يخاف بعضها من بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) حيث قال إبراهيم عليه السلام : (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنا) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قال : آمنهم من كلّ عدوّ فى حرمهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِلْفِهِمْ) قال :

كان أهل مكة تجارا ، يتعاورون ذلك شتاء وصيفا ، آمنين فى العرب ،وكانت العرب يغير بعضها على بعض ، لايقدرون على ذلك ، ولا يستطيعونه من الخوف ، حتى إن كان الرجل منهم ليُصاب فى حىّ من أحياء العرب ، وإذا قيل حِرْمِىٌّ خُلِّىَ عنه وعن ماله ، تعظيما لذلك فيما أعطاهم الله من الأمن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قال : كانوا يقولون : نحن من حرم الله ، فلا يعرض لهم أحد فى الجاهلية ، يأمنون بذلك ؛ وكان غيرهم من قبائل العرب إذا خرج أُغير عليه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قال : كانت العرب يغير بعضها على بعض ، ويَسْبِى بعضها بعضا ، فأمنوا من ذلك لمكان الحرم ، وقرأ (أَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ) .

وقال آخرون : عُنِى بذلك : وآمنهم من الجُذام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، قال قال الضحاك (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قال : من خوفهم من الجُذام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قال : من الجذام وغيره .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : قال وكيع : سمعت أطعمهم من جوع ، قال : الجوع (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) الخوف : الجذام .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عامر بن إبراهيم الأصبهانىّ ، قال : ثنا خطاب بن جعفر بن أبى المُغيرة ، قال : ثنى أبى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قال : الخوف : الجذام .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنه (آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) والعدوّ مخوف منه ، والجذام مخوف منه ، ولم يخصص الله الخبر عن أنه آمنهم من العدوّ دون الجذام ، ولا من الجذام دون العدوّ ، بل عمّ الخبر بذلك ؛ فالصواب أن يُعَمّ كما عمّ جلّ ثناؤه ، فيقال : آمنهم من المعنيين كليهما .

آخر تفسير سورة قريش

(١٠٧) سورة الماعون مكية
وآياتها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝

☆ يعنى تعالى ذكره بقوله (أرأيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) أرأيت يامحمد الذى يكذّب بثواب الله وعقابه ، فلا يطيعه فى أمره ونهيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (أرأيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) قال : الذى يكذّب بحكم الله عزّ وجلّ .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن جُرَيج (يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) قال : بالحساب . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله : (أرأيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ الدِّينَ) فالباء فى قراءته صلة ، دخولها فى الكلام وخروجها واحد .

وقوله (فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ) يقول : فهذا الذى يكذّب بالدين ، هو الذى يدفع اليتيم عن حقه ، ويظلمه ، يقال منه : دَعَعْتُ فلانا عن حقه ، فأنا أدعُّه دعًّا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ) قال : يدفع حقّ اليتيم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (يَدُعُّ الْيَتِيمَ) قال : يدفع اليتيم فلا يُطعمه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ) : أى يقهَره ويظلمه .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَدُعُّ الْيَتِيمَ) قال : يقهره ويظلمه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَدُعُّ الْيَتِيمَ) قال : يقهره .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان فى قوله (يَدُعُّ الْيَتِيمَ) قال : يدفعه .

وقوله (وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) يقول تعالى ذكره : ولا يحثّ غيره على إطعام المحتاج من الطعام .

وقوله (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) يقول تعالى ذكره : فالوادى الذى يسيل من صديد أهل جهنم للمنافقين الذين يصلون ، لايريدون الله عزّ وجلّ بصلاتهم ، وهم فى صلاتهم ساهون إذا صلوها .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) فقال بعضهم : عُنِى بذلك أنهم يؤخّرونها عن وقتها ، فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سكن بن نافع الباهلى ، قال : ثنا شعبة ، عن خلف بن حَوْشَب ، عن طلحة بن مُصَرّف ، عن مصعب بن سعد ، قال : قلت لأبى ، أرأيت قول الله عزّ وجلّ : (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) : أهى تركها ؟ قال : لا ، ولكن تأخيرها عن وقتها .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن هشام الدَّسْتُوائى ، قال : ثنا عاصم بن بهدلة ، عن مصعب بن سعد ، قال : قلت لسعد : (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) : أهو ما يحدّث به أحدنا نفسه فى صلاته ؟ قال : لا ، ولكن السهو أن يؤخرها عن وقتها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن مصعب بن سعد (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : السهو : الترك عن الوقت .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عمران بن تمام البُنَانىّ ، قال : ثنا أبو جمرة الضُّبَعِىّ نصر بن عمران ، عن ابن عباس ، فى قوله (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : الذين يؤخّرونها عن وقتها .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى : فويل للمصلين (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : الذين يؤخّرون الصلاة المكتوبة ، حتى تخرج من الوقت أو عن وقتها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : الترك لوقتها .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنى أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، فى قوله (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : تضييع ميقاتها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى (عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : ترك المكتوبة لوقتها .

حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا يحيى بن أيوب ، قال : أخبرنى ابن زَحْر ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صبيح (عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) الذين يضيعونها عن وقتها .

وقال آخرون : بل عُنى بذلك أنهم يتركونها فلا يصلونها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) فهم المنافقون كانوا يراءون الناس بصلاتهم إذا حضروا ، ويتركونها إذا غابوا ، ويمنعونهم العارية بغضا لهم ، وهو الماعون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : هم المنافقون يتركون الصلاة فى السرّ ، ويصلون فى العلانية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : الترك لها .

وقال آخرون : بل عُنى بذلك أنهم يتهاونون بها ، ويتغافلون عنها ويلهون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : لاهون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) : غافلون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ قال : ساهٍ عنها ، لايبالى صلى أم لم يصلّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) يصلون ، وليست الصلاة من شأنهم .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : يتهاونون .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب بقوله (سَاهُونَ) : لاهون يتغافلون عنها ، وفى اللهو عنها والتشاغل بغيرها ، تضييعها أحيانا ، وتضييع وقتها أخرى وإذا كان ذلك كذلك صحّ بذلك قول من قال : عُنى بذلك ترك وقتها ، وقول من قال : عُنى به تركها ، لما ذكرت من أن فى السهو عنها المعانى التى ذكرت .

وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خبران يؤيدان صحة ما قلنا فى ذلك :

أحدهما ما حدثني به زكريا بن أبان المصريّ ، قال : ثنا عمرو بن طارق ، قال : ثنا عكرمة بن إبراهيم ، قال : ثنا عبد الملك بن عُمَير ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : « سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، عن (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : هم الذين يؤخِّرون الصلاة عن وقتها » .

والآخر منهما : ما حدثني به أبو كُرَيب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن شيبان النحويّ ، عن جابر الجُعْفِيّ ، قال : ثني رجل ، عن أبي بَرْزة الأسلميّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما نزلت هذه الآية : (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ) الله أكبر هذه خير لكم من أن لو أعطى كلّ رجل منكم مثلَ جميع الدنيا ، هو الذى إن صلى لم يرجُ خير صلاته ، وإن تركها لم يخف ربه » .

حدثني أبو عبد الرحيم البرقى ، قال : ثني عمرو بن أبي سلمة ، قال : سمعت عمر بن سليمان يحدّث عن عطاء بن دينار أنه قال : الحمد لله الذى قال : (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ) وكلا المعنيين اللذين ذكرت فى الخبرين اللذين روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محتمل عن معنى السهو عن الصلاة .

وقوله (الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ) يقول : الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صلَّوْا ، لأنهم لا يصلون رغبةً فى ثواب ، ولا رهبةً من عقاب ، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم ؛ فيكفون عن سفك دمائهم ، وسَبْي ذراريهم ، وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستبطنون الكفر ، ويُظهرون الإسلامَ ؛ كذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ومؤمل ، قالا : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : هم المنافقون .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني يونس ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فى قوله : (يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) قال : يراءون بصلاتهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ) يعنى المنافقين .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : هم المنافقون ، كانوا يراءون الناس بصلاتهم إذا حضروا ، ويتركونها إذا غابوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني ابن زيد : ويصلون ، وليس الصلاة من شأنهم رياء .

وقوله (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) يقول : ويمنعون الناس منافع ما عندهم ، وأصل الماعون من كلّ شىء منفعته ، يقال للماء الذى ينزل من السحاب : ماعون ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

بأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَاعُونِهِ إذَا مَا سَمَاؤُهُمُ لَمْ تَغِمْ[١]

وقال آخر يصف سحابا :

يَمُجُّ صَبِيرُهُ المَاعُونَ صَبًّا[٢]

وقال عُبَيد الراعى :

قَوْمٌ على الإسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعوا مَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلا[٣]

يعنى بالماعون : الطاعة والزكاة .

واختلف أهل التأويل فى الذى عُنِىَ به من معانى الماعون فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عُنِىَ به الزكاة المفروضة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال علىّ رضى الله عنه ، فى قوله : (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : الزكاة .

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال علىّ رضى الله عنه : (المَاعُونَ) : الزكاة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا سفيان ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى صالح ، عن علىّ رضى الله عنه قال : (المَاعُونَ) : الزكاة .

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب (ديوانه ٣٩) يقول : ليس الفرات إذا أزبد وتلاطمت أمواجه ، بأجود منه فى وقت الجدب ، حين تصحو السماء ، وينقطع المطر . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن عند قوله تعالى « ويمنعون الماعون » : هو فى الجاهلية كل منفعة وعطية ، قال الأعشى : « بأجود منه بماعونه . . . البيت » . والماعون فى الإسلام : الطاعة والزكاة . قال الراعى :

قَوْمٌ على الإسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّنْزِيلا

وفى (اللسان : معن) الماعون : المعروف كله . وقال ابن سيده : والماعون : الطاعة والزكاة ، وعليه العمل ، وهو من السهولة والقلة ، لأنها جزء من كل ، قال الراعى : « قوم على التنزيل « البيت » . والماعون : أسقاط البيت : كالدلو ، والفأس ، والقدر ، والقصعة وهو منه أيضا ، لأنه لايكرث معطيه ، ولايعنى كاسبه . قال ثعلب : الماعون : ما يستعار من قدوم وشفرة . وفى الحديث : « وحسن مواساتهم بالماعون » ؛ قال : هو اسم جامع لمنافع البيت ، كالقدر والفأس وغيرها ، مما جرت العادة بعاريته . قال الأعشى « بأجود منه . . . البيت » . والماعون : المطر ، لأنه يأتى من رحمة الله عفوا بغير علاج ، كما تعالج الآبار ونحوها . اهـ .

(٢) هذا شطر بيت استشهد به صاحب (اللسان : معن) على أن الماعون المطر ، لأنه يأتى من غير علاج ، كما تعالج الآبار ونحوها من فرض المشارب وأنشد :

أَقُولُ لِصَاحِبِي بِبِرَاقِ نَجْدٍ تَبَصَّرْ هَلْ تَرَى بَرْقًا أَرَاهُ
يَمُجُّ صَبِيرُهُ المَاعُونَ مَجًّا إذَا نَسَمٌ مِنَ الهَيْفِ اعْتَرَاهُ

والصبير – كما فى (اللسان : صبر) : السحاب الأبيض ، الذى يصبر بعضه فوق بعض درجا . والهيف والهوف (بالضم) : ريح حارة تأتى من قبل اليمن ، وهى النكباء ، يهيف منها ورق الشجر ، أى يسقط .

(٣) هذا بيت للشاعر الإسلامى عبيد بن حصين الراعى ، والماعون : تقدم شرحه فى الشاهدين قبله . والتهليل هو النطق بكلمة التوحيد : « لا إله إلا الله » . وقد سبق الكلام على البيت فى الشاهد الذى قبل الشاهد السابق على هذا . وذكرنا فيه كلام أبى عبيدة فى الماعون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن عليّ رضي الله عنه (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : يمنعون زكاة أموالهم .

حدثني محمد بن عمارة وأحمد بن هشام قالا : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل : عن السديّ عن أبي صالح ، عن عليّ رضي الله عنه (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : الزكاة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان : عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : (المَاعُونَ) قال: الزكاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن عليّ ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، أن عليا رضي الله عنه كان يقول (المَاعُون) : الصدقة المفروضة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) أن عليا رضي الله عنه قال: هي الزكاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : (المَاعُونَ) : الزكاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي المُغيرة ، قال : سأل رجل ابن عمر عن الماعون ، قال : هو المال الذى لايؤدّى حقه ؛ قال : قلت : إن ابن أمّ عبد يقول : هو المتاع الذى يتعاطاه الناس بينهم ، قال : هو ما أقول لك .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن سلمة ، قال : سمعت أبا المُغيرة قال : سألت ابن عمر ، عن الماعون ، فقال : هو منع الحقّ .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، عن سلمة بن كهيل ، قال : سُئل ابن عمر عن الماعون ، فقال : هو الذى يسئل حقّ ماله ويمنعه ، فقال : إن ابن مسعود يقول : هو القدر والدلو والفأس ، قال : هو ما أقول لكم .

حدثني هارون بن إدريس الأصمّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سلمة بن كهيل ، أن ابن عمر سُئل عن قول الله (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : الذى يُسئل مال الله فيمنعه ، فقال الذى سأله ، فان ابن مسعود يقول : هو الفأس والقدر ، قال ابن عمر : هو ما أقول لك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سلمة بن كهيل ، قال : سأل رجل ابن عمر عن الماعون ، فذكر مثله .

حدثني سليمان بن محمد بن معدى كرب الرُّعَيني ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثني سلمة بن كهيل ، قال : سمعت أبا المغيرة : رجلا من بني أسد ، قال : سألت عبد الله بن عمر عن الماعون .

قال : هو منع الحق ، قلت : إن ابن مسعود قال : هو منع الفأس والدلو قال : هو منع الحق .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي المغيرة ، عن ابن عمر قال : هي الزكاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي صالح ، عن علي ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا جابر بن زيد بن رفاعة ، عن حسان بن مخارق ، عن سعيد بن جبير ، قال : (الماعون) : الزكاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة والحسن : الماعون : الزكاة المفروضة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن أبي عمر ، عن ابن الحنفية رضي الله عنه قال : هي الزكاة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (ويمنعون الماعون) قال : الزكاة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ويمنعون الماعون) قال : هم المنافقون يمنعون زكاة أموالهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (الماعون) : الزكاة المفروضة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن عقبة ، قال : سمعت الحسن يقول : (ويمنعون الماعون) قال : منعوا صدقات أموالهم ، فعاب الله عليهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن مبارك ، عن الحسن (الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) قال : هو المنافق الذي يمنع زكاة ماله ، فإن صلى رأى ، وإن فاتته لم يأس عليها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سلمة ، عن الضحاك ، قال : هي الزكاة .

وقال آخرون : هو ما يتعاوره الناس بينهم من مثل الدلو والقدر ونحو ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن أبي إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم بن يحيى ابن الجزار ، عن أبي العبيدين ، أنه قال لعبد الله : أخبرني عن الماعون ؟ قال : هو ما يتعاوره الناس بينهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت يحيى بن الجزار يحدث ، عن أبي العبيدين : رجل من بني تميم ضرير البصر ، وكان يسأل عبد الله بن مسعود ، وكان ابن مسعود يعرف له ، فسأل عبد الله عن الماعون ، فقال عبد الله : إن من الماعون منع الفأس والقدر والدلو ، خصلتان من هؤلاء الثلاث ؛ قال شعبة : الفأس ليس فيه شك .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا الوليد ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين ، عن عبد الله ، مثله .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن يحيى بن الجزار ، أن أبا العبيدين : رجلا من بنى تميم ، كان ضرير البصر ، سأل ابن مسعود عن الماعون ، فقال : هو منع الفأس والدلو ، أو قال : منع الفأس والقدر .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، أن أبا العبيدين سأل ابن مسعود ، عن الماعون ، قال : هو ما يتعاوره الناس بينهم : الفأس والقدر والدلو .

حدثنا أحمد بن منصور الرمادى ، قال : ثنا أبو الجوّاب ، عن عمار بن رزيق ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن أبي العبيدين ، عن عبدالله ، قال : كنا أصحاب محمد نحدّث أن الماعون : القدر والفأس والدلو .

قال أبو بكر : قال أبو الجوّاب ، وخالفه زهير بن معاوية فيما حدثنا به الحسن الأشيب ، قال : ثنا زُهَير ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن أبي العبيدين ، حدثني محمد بن عبيد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة ، عن أبي العبيدين وسعيد بن عياض ، عن عبد الله ، قال : «كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدّث أن الماعون : الدلو والفأس والقدر ، لايستغنى عنهنّ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن ابن أبي إسحاق ، عن سعد بن عياض قال أبو موسى : هكذا قال غُنْدَر عن أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قالوا : إن من الماعون : الفأس والدلو والقدر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن عياض ، يحدّث عن أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم بمثله .

قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت سعد بن عياض ، يحدّث عن أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا خلاد ، قال : أخبرنا النضر ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن أبي العبيدين ، قال : قال عبد الله : الماعون : القدر والفأس والدلو .

حدثنا خلاد ، قال : أخبرنا النضر ، قال : أخبرنا المسعوديّ ، قال : أخبرنا سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيدين ، وكانت به زمانة ، وكان عبد الله يعرف له ذلك ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ما الماعون ؟ قال : ما يتعاطى الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم ، عن أبي العبيدين ، أنه سأل ابن مسعود ، عن الماعون ، فقال : ما يتعاطاه الناس بينهم

قال : ثنا مهران ، عن الحسن وسلمة بن كهيل ، عن أبي العبيدين ، عن ابن مسعود ، قال : الفأس والدلو والقدر وأشباهه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ ، عن المسعوديّ ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيدين ، أنه سأل ابن مسعود ، عن قوله (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) فذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمى ، عن الحارث بن سويد ، عن ابن مسعود ، قال : الفأس والقدر والدلو .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيميّ ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله قال (الْمَاعُونَ) منع الفأس والقدر والدلو .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله ، أنه سُئل عن الماعون ، قال : ما يتعاوره الناس بينهم : الفأس والدلو وشبهه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن ابن مسعود ، قال : الدلو والفأس والقدر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن عياض ، عن أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : الماعون : الفأسَ والقدر والدلو .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : سُئل عبد الله عن الماعون ، قال : ما يتعاوره الناس بينهم ، الفأس والقدر والدلو وشبهه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه قال : هو عارية الناس : الفأس والقدر والدلو ونحو ذلك ، يعني الماعون .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، بمثله .

قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس مثله ، قال : الفأس والدلو .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت الأسديّ ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال (الْمَاعُونَ) : العارية .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : هو العارية .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (الْمَاعُونَ) قال : متاع البيت .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا إسماعيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، أراه عن ابن عباس « شكّ أبو كُرَيب » (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) قال : المتاع .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس هو متاع البيت .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : يمنعونهم العارية ، وهو الماعون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : اختلف الناس فى ذلك ، فمنهم من قال : يمنعون الزكاة ، ومنهم من قال : يمنعون الطاعة ، ومنهم من قال : يمنعون العارية .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس . فى قوله (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : لم يجئ أهلها بعد .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس :(المَاعُونَ) ما يتعاطى الناس بينهم .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا ليث ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، قال : قال عليّ رضى الله عنه : الماعون : منع الزكاة والفأس والدلو والقدر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم النبيل ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد ابن جُبير قال : الماعون : العارية .

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن أبي مالك ، فى قول الله (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : الدلو والقدر والفأس .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قال : «كنا مع نبينا صلى الله عليه وسلم ونحن نقول : الماعون : منع الدلو وأشباه ذلك» .

وقال آخرون : الماعون : المعروف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن إبراهيم السلمى ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا محمد بن رفاعة ، قال : سمعت محمد ابن كعب يقول : الماعون : المعروف .

وقال آخرون : الماعون : هو المال .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن حرب ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، قال : الماعون : بلسان قريش : المال .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهريّ ، قال : الماعون : بلسان قريش : المال .

وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب ، إذ كان الماعون هو ما وصفنا قبل ، وكان الله قد أخبر عن

هؤلاء القوم ، وأنهم يمنعونه الناس ، خبرا عاما ، من غير أن يخصّ من ذلك شيئا ، أن يقال : إن الله وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاورونه بينهم ، ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ماأوجب الله لهم فى أموالهم من الحقوق ، لأن كلّ ذلك من المنافع التى ينتفع بها الناس بعضهم من بعض .

آخر تفسير سورة أرأيت

(١٠٨) سُورَةُ الكَوْثَرِ مَكِّيَّة وآياتها ثلاث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾

يقول تعالى ذكره (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ) يا محمد (الْكَوْثَرَ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى الكوثر ، فقال بعضهم : هو نهر فى الجنة أعطاه الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن محارب بن دثار ، عن ابن عمر : أنه قال : « الكوثر : نهر فى الجنة ، حافتاه من ذهب وفضة ، يجرى على الدرّ والياقوت ، ماؤه أشدّ بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن محارب بن دثار الباهلىّ ، عن ابن عمر ، فى قوله (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : « نهر فى الجنة حافتاه الذهب ، ومجراه على الدرّ والياقوت ، وماؤه أشدّ بياضا من الثلج ، وأشدّ حلاوة من العسل ، وتربته أطيب من ريح المسك » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : الكوثر : نهر فى الجنة حافتاه من ذهب وفضة يجرى على الياقوت والدرّ ، ماؤه أبيض من الثلج ، وأحلى من العسل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، عن شقيق أو مسروق ، قال : « قلت لعائشة : يا أمّ المؤمنين ، وما بُطْنان الجنة ؟ قالت : وسط الجنة : حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ، ترابه المسك ، وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت » .

حدثنا أحمد بن أبى سرَيج الرازىّ ، قال : ثنا أبو النضر وشبابة ، قالا : ثنا أبو جعفر الرازىّ ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن رجل ، عن عائشة قالت : « الكوثر : نهر فى الجنة ليس أحد يدخل أصبعيه فى أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر » .

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن أبى جعفر؛ وحدثنا ابن أبى سُرَيج، قال: ثنا أبو نعيم، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازىّ، عن ابن أبى نجيح، عن أنس، قال: الكوثر: نهر فى الجنة.

قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبى إسحاق، عن أبى عبيدة، عن عائشة قالت: «الكوثر نهر فى الجنة، درّ مجوّف».

حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن أبى عبيدة، عن عائشة: «الكوثر: نهر فى الجنة، عليه من الآنية عدد نجوم السماء».

قال: ثنا وكيع، عن أبى جعفر الرازىّ، عن ابن أبى نجيح، عن عائشة قالت: «من أحبّ أن يسمع خرير الكوثر، فليجعل أصبعيه فى أُذنيه».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهْران، عن سفيان، عن أبى إسحاق، عن أبى عبيدة، عن عائشة، قالت: «نهر فى الجنة، شاطئاه الدرّ المجوّف».

قال: ثنا مهران، عن أبى معاذ عيسى بن يزيد، عن أبى إسحاق، عن أبى عبيدة، عن عائشة قالت: «الكوثر: نهر فى بُطْنان الجنة: وسط الجنة، فيه نهر شاطئاه درّ مجوّف، فيه من الآنية لأهل الجنة، مثلُ عدد نجوم السماء».

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال: نهر أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم فى الجنة.

حدثنا أحمد بن أبى سريج، قال: ثنا مسعدة، عن عبد الوهاب، عن مجاهد، قال: «الكَوْثَر: نهر فى الجنة، ترابه مسك أذفر، وماؤه الخمر».

حدثنا ابن أبى سريج، قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبى العالية، فى قوله: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال: نهر فى الجنة.

حدثنا الربيع، قال: أخبرنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبى نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدّثنا، قال: «لما أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم، مضى به جبريل فى السماء الدنيا، فإذا هو بنهر، عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فذهب يشمّ ترابه، فإذا هو مسك، فقال: يا جبريل، ما هذا النهر؟ قال: هو الكوثر الذى خبأ لك ربُّك».

وقال آخرون: عُنِى بالكوثر: الخير الكثير.

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب، قال: ثنى هُشَيم، قال: أخبرنا أبو بشر وعطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس أنه قال فى الكوثر: «هو الخير الكثير الذى أعطاه الله إياه».

قال أبو بشر: فقلت لسعيد بن جُبير: فإن ناسا يزعمون أنه نهر فى الجنة، قال: فقال سعيد: النهر الذى فى الجنة، من الخير الذى أعطاه الله إياه.

حدثنا أبو كُريب ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن عطاء بن السائب ، قال : قال محارب بن دثار : ما قال سعيد بن جُبير فى الكوثر؟ قال : قلت : قال : قال ابن عباس : هو الخير الكثير ، فقال : صدق والله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس : قال : الكوثر : الخير الكثير .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، قال : سألت سعيد بن جُبير ، عن الكوثر ، فقال : هو الخير الكثير الذى آتاه الله ، فقلت لسعيد : إنا كنا نسمع أنه نهر فى الجنة ، فقال : هو الخير الذى أعطاه الله إياه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : الخير الكثير .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن عُمارة بن أبى حفصة ، عن عكرمة ، قال : هو النبوّة ، والخير الذى أعطاه الله إياه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا حرمى بن عمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى عمارة ، عن عكرمة فى قول الله : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : الخير الكثير ، والقرآن والحكمة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا عُمارة بن أبى حفصة ، عن عكرمة أنه قال : الكوثر : الخير الكثير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : الخير الكثير .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن هلال ، قال : سألت سعيد بن جُبير (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : أكثر الله له من الخير ، قلت : نهر فى الجنة ؟ قال : نهر وغيره .

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الكوثر : الخير الكثير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الكوثر : الخير الكثير .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن مجاهد : الكوثر : قال : الخير كله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : خير الدنيا والآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة فى الكوثر ، قال : هو الخير الكثير .

حدثنا أبو كُريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، قال : الكوثر : الخير الكثير .

قال : ثنا وكيع ، عن بدر بن عثمان ، سمع عكرمة يقول فى الكوثر : قال : ما أُعطى النبيّ صلى الله عليه وسلم من الخير والنبوّة والقرآن .

حدثنا أحمد بن أبى سريج الرازىّ ، قال : ثنا أبوداود ، عن بدر ، عن عكرمة ، قوله : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : الخير الذى أعطاه الله : النبوّة والإسلام .

وقال آخرون : هو حوض أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن مطر ، عن عطاء (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : حوض فى الجنة أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أحمد بن أبى سريج ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا مطر ، قال : سألت عطاء ونحن نطوف بالبيت عن قوله : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : حوض أعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

❊ وأولى هذه الأقوال بالصواب عندى ، قول من قال : هو اسم النهر الذى أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة ، وصفه الله بالكثرة ، لعظَم قدره .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فى ذلك ، لتتابع الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك كذلك .

ذكر الأخبار الواردة بذلك

حدثنا أحمد بن المِقدام العجلىّ ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبى يحدّث عن قتادة ، عن أنس قال : لما عُرج بنبيّ الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة ، أو كما قال : عَرَض له نهر حافتاه الياقوت المجوّف ، أو قال : المجوّب ، فضرب المَلَك الذى معه بيده فيه ، فاستخرج مسكا ، فقال محمد للملك الذى معه : ما هَذَا ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك الله ؛ قال : ورُفعت له سِدْرة المنتَهَى ، فأبصر عندها أثرا عظيما ، أو كما قال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « بَيْنَما أنا أسيرُ فى الجَنَّةِ ، إذْ عَرَضَ لى نَهْرٌ ، حافتاهُ قِبابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ ، فقالَ المَلَكُ الَّذِى مَعَهُ : أتَدْرِى ما هَذَا ؟ هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِى أعْطاكَ اللهُ إيَّاهُ ، وَضَرَبَ بِيَدِهِ إلى أرْضِهِ ، فأخْرَجَ مِنْ طِينِهِ المِسْكَ »

حدثنى ابن عوف ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شيبان ، عن قتادة ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا عُرِجَ بِى إلى السَّماءِ ، أتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حافتاهُ قِبابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ ، قُلْتُ : ما هَذَا يا جِبْرِيلُ ؟ قال : هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِى أعْطاكَ رَبُّكَ ، فأَهْوَى المَلَكُ بِيَدِهِ ، فاسْتَخْرَجَ طِينَهُ مِسْكاً أذْفَرَ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَخَلْتُ الجَنَّةَ ، فإذَا أنا بِنَهْرٍ حافتاهُ خِيامُ اللُّؤْلُؤِ ، فَضَرَبْتُ بِيَدِى إلى ما يَجْرِى

فيه . فإذا مسك أذفر ؛ قال : قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاكه الله » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا همام ، قال : ثنا قتادة ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحو حديث يزيد ، عن سعيد .

حدثنا بشر . قال : ثنا أحمد بن أبي سريج ، قال : ثنا أبو أيوب العباس ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، قال : ثنا محمد بن عبد الله بن مسلم ابن أخي ابن شهاب ، عن أبيه ، عن أنس ، قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر . فقال : هو نهر أعطانيه الله في الجنة ، ترابه مسك أبيض من اللبن . وأحلى من العسل ، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر ؛ قال أبو بكر : يا رسول الله . إنها لناعمة ؟ قال : آكلها أنعم منها » .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة بن أبي وقاص الليثي ، عن كثير ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة حين عرج بي ، فأعطيت الكوثر ، فإذا هو نهر في الجنة ، عضادتاه بيوت مجوفة من لؤلؤ » .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن عبد الله بن مسلم بن شهاب ، عن أنس : « أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ما الكوثر ؟ قال : نهر أعطانيه الله في الجنة ، لهو أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر ، قال عمر : يا رسول الله إنها لناعمة ، قال : آكلها أنعم منها » .

حدثنا يونس ، قال : ثنا يحيى بن عبد الله ، قال : ثني الليث ، عن ابن الهاد ، عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم بن شهاب ، عن أنس ، أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله .

حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن الزهري أن أخاه عبد الله ، أخبره أن أنس بن مالك صاحب النبي صلى الله عليه وسلم أخبره : « أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما الكوثر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو نهر أعطانيه الله في الجنة ، ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر ، فقال عمر : إنها لناعمة يا رسول الله ، فقال : آكلها أنعم منها »

فقال عمر بن عثمان ، قال ابن أبي أويس ؛ وحدثني أبي ، عن ابن أخي الزهري ، عن أبيه ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكوثر ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا عطاء ، عن محارب بن دثار ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجراه على الياقوت والدر ، تربته أطيب من المسك ، ماؤه أحلى من العسل ، وأشد بياضا من الثلج » .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة . قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، قال : قال لى محارب بن دثار ما قال سعيد بن جُبير فى الكوثر ؟ قلت : حدّثنا عن ابن عباس . أنه قال : هو الخير الكثير ، فقال : صدق والله ، إنه للخير الكثير ، ولكن حدّثنا ابن عمر ، قال : لما نزلت : (إنّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الكَوْثَرُ نَهْرٌ فى الجَنَّةِ ، حافتاهُ من ذَهَبٍ ، يَجْرِى على الدُّرِّ والياقُوت » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « الكَوْثَرُ نَهْرٌ فى الجَنَّةِ . قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : رأيْتُ نَهْرًا حافتاهُ اللؤْلُؤُ ، فقُلْتُ : يا جبْريلُ ما هذَا ؟ قال : هذا الكَوْثَرُ الَّذِى أعْطاكَهُ اللهُ » .

حدثنا ابن البرقى . قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : ثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير . قال : أخبرنا حزام بن عثمان ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أسامة بن زيد : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى حمزة ابن عبد المطلب يوما ، فلم يجده ، فسأل امرأته عنه . وكانت من بنى النجار . فقالت : خرج بأبى أنت آنفا عامدا نحوك ، فأظنه أخطأك فى بعض أزقة بنى النجار ، أوَلاَ تدخل يا رسول الله ؟ فدخل . فقدّمت إليه حيسا . فأكل منه ، فقالت : يا رسول الله . هنيئا لك ومريئا لقد جئت وإنى لأريد أن آتيك فأهنيك وأمريك[1] . أخبرنى أبو عمارة أنك أُعطيت نهرا فى الجنة يدعى الكوثر . فقال : أجَلْ . وعَرْضُهُ » يعنى أرضه « ياقُوتٌ ومَرْجانٌ وزَبَرْجَدٌ ولُؤْلُؤٌ » .

وقوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ) اختلف أهل التأويل فى الصلاة التى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصليها بهذا الخطاب ، ومعنى قوله (وانْحَرْ) فقال بعضهم : حضّه على المواظبة على الصلاة المكتوبة . وعلى الحفظ عليها فى أوقاتها بقوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطُّفاوىّ ، قال : ثنا محمد بن ربيعة . قال : ثنى يزيد بن أبى زياد بن أبى الجعد ، عن عاصم الجحدرىّ ، عن عقبة بن ظهير ، عن علىّ رضى الله عنه ، فى قوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : وضع اليمين على الشمال فى الصلاة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم الجحدرىّ ، عن عقبة بن ظبيان ، عن أبيه ، عن علىّ رضى الله عنه (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : وضع اليد على اليد فى الصلاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم الجحدرىّ ، عن عُقْبة بن ظَهير ، عن أبيه ، عن علىّ رضى الله عنه (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : وضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى ، ثم وضعهما على صدره .

قال : ثنا مهران ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم الأحول ، عن الشعبىّ ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عاصم الجحدرىّ ، عن عقبة بن ظهير ، عن علىّ رضى الله عنه : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : وضع اليمين على الشمال فى الصلاة .

(١) تريد : أقول لك : هنأك الله وأمرأك ، بما أعطاك من الكوثر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عوف ، عن أبي القَمُوص ، في قوله : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : وضع اليد على اليد في الصلاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو صالح الخُراسانيّ ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم الجَحْدريّ ، عن أبيه ، عن عقبة بن ظبيان ، أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال في قول الله : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : وضع يده اليمنى على وسط ساعده الأيسر ، ثم وضعهما على صدره .

وقال آخرون : بل عُنِي بقوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) : الصلاة المكتوبة ، وبقوله (وَانْحَرْ) أن يرفع يديه إلى النحر . عند افتتاح الصلاة والدخول فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) الصلاة ، وانحر برفع يديه أوّل ما يُكَبِّر في الافتتاح .

وقال آخرون : عُنِي بقوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) المكتوبة ، وبقوله (وَانْحَرْ) : نحر البُدْن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم وهارون بن المُغيرة ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : الصلاة المكتوبة ، ونحر البُدْن .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير وحجّاج ، أنهما قالا في قوله : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : صلاة الغداة بجَمْع ، ونحر البُدن بمِنَى .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن قطر ، عن عطاء : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : صلاة الفجر ، وانحر البُدْن .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : الصلاة المكتوبة ، والنحر : النُّسُك والذبح يوم الأضحى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، في قوله : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : صلاة الفجر .

وقال آخرون : بل عُنِي بذلك : صلّ يوم النحر صلاة العيد ، وانحر نُسُكَك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المُغيرة ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن أنس بن مالك ، قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم ينحَر قبل أن يصلي ، فأُمر أن يصلّي ثم ينحر .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرمة : فصلّ الصلاة ، وانحر النُّسُك .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن ثابت بن أبي صفية ، عن أبي جعفر (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) قال : الصلاة ؛ وقال عكرمة : الصلاة ونحر النُّسك .

حدثنا ابن حميد ، قال ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : إذا صليت يوم الأضحى فانحر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا قطر ، قال : سألت عطاء ، عن قوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : تصلي وتنحر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : اذبح .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبان بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : الذبح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : نحر البُدن والصلاة يوم النحر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : صلاة الأضحى ، والنحر : نحر البُدن .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : مناحر البُدن بمِنًى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرمة (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : نحر النسك .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) يقول : اذبح يوم النحر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : نحر البُدْن .

وقال آخرون : قيل ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، لأن قوما كانوا يصلون لغير الله ، وينحرون لغيره فقيل له : اجعل صلاتك ونحرك لله ، إذ كان من يكفر بالله يجعله لغيره .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظي ، أنه كان يقول في هذه الآية : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) يقول : إن ناسا كانوا يصلون لغير الله ، وينحرون لغير الله ، فإذا أعطيناك الكوثر يا محمد ، فلا تكن صلاتك ونحرك إلا لي .

وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية يوم الحُدَيْبية ، حين حُصِرَ النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وصُدّوا عن البيت ، فأمره الله أن يصلي ، وينحر البُدْن ، وينصرف ، ففعل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، قال : ثني أبو معاوية البَجَليّ ،

عن سعيد بن جُبير أنه قال : كانت هذه الآية ، يعني قوله : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) يوم الحديبية ، أتاه جبريل عليه السلام ، فقال : انحر وارجع ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطب خطبة الفطر والنحر [١] ، ثم ركع ركعتين ، ثم انصرف إلى البُدن فنحرها ، فذلك حين يقول : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ).

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فصلّ وادع ربَّك وَسَلْه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : صلّ لربك وسَلْ .

وكان بعض أهل العربية يتأوّل قوله : (وَانْحَرْ) واستقبل القبلة بنحرك . وذُكر أنه سمع بعض العرب يقول : منازلهم تتناحَر : أي هذا بنحر هذا : أي قبالته . وذُكر أن بعض بني أسد أنشده :

أبا حَكَمٍ هَلْ أنْتَ عَمّ مُجالِدٍ وَسَيِّدُ أهْلِ الأبْطَحِ المُتَناحِرِ ؟ [٢]

أي ينحر بعضه بعضا .

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : فاجعل صلاتَك كلَّها لربك خالصا دون ما سواه من الأنداد والآلهة ، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان ، شكرا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كُفْءَ له ، وخصك به ، من إعطائه إياك الكوثر .

وإنما قلت : ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك : لأن الله جلّ ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بما أكرمه به من عطيته وكرامته ، وإنعامه عليه بالكوثر ، ثم أتبع ذلك قوله : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) ، فكان معلوما بذلك أنه خصه بالصلاة له ، والنحر على الشكر له ، على ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه ، بإعطائه إياه الكوثرَ ، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض ، وبعض النحر دون بعض ، وجه ، إذ كان حثا على الشكر على النِّعم .

فتأويل الكلام إذن : إنا أعطيناك يا محمد الكوثر ، إنعاما منا عليك به ، وتكرمة منا لك ، فأخلص لربك العبادة ، وأفرد له صلاتك ونُسُكَك ، خلافا لما يفعله من كفر به ، وعبد غيره ، ونحر للأوثان .

وقوله (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) يعني بقوله جلّ ثناؤه : (إنَّ شانِئَكَ) إن مُبغضَك يا محمد وعدوّك (هُوَ الأبْتَرُ) يعني بالأبتر : الأقلّ الأذلّ المنقطع دابره ، الذي لا عَقِبَ له .

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بذلك ، فقال بعضهم : عُنِي به العاص بن وائل السهميّ .

---

(١) لعله خطبة الفطر أو النحر ، وإذ اختلف في الخروج إلى عمرة الحديبية هل كان في رمضان أو في ذي القعدة فيكون شكا من الراوي

(٢) البيت لبعض بني أسد ، وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٧٧) قال : وقوله : « فصل لربك وانحر » فصل لربك يوم القيامة : انحر ، وبإسناده إلى علي قال فيها : النحر : أخذك شمالك بيمينك في الصلاة ، ويقال فصل لربك وانحر : استقبل القبلة بنحرك . وسمعت بعض العرب يقول : منازلنا تتناحر هذا : أي قبالته . وأنشدني بعض بني أسد : « أباحكم . . . البيت » ، فهذا من ذلك : ينحر بعضه بعضا . اهـ . وفي (اللسان : نحر) والداران تتناحران : أي تتقابلان . وإذا استقبلت دار دارا ، قيل : هذه تنحر تلك . ثم نقل كلام الفراء والبيت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) يقول : عدوّك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال : هو العاص بن وائل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن هلال بن خباب ، قال : سمعت سعيد ابن جُبير يقول : (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال : هو العاص بن وائل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن هلال ، قال : سألت سعيد بن جُبير ، عن قوله : (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال : عدوّك العاص بن وائل انبتر من قومه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال العاص بن وائل ، قال : أنا شانئُ محمد ، ومن شنأه الناس فهو الأبتر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال : هو العاص بن وائل ، قال : أنا شانئٌ محمدا ، وهو أبتر ، ليس له عَقِبٌ ، قال الله : (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال قتادة : الأبتر : الحقير الدقيق الذليل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) هذا العاص بن وائل ، بلغنا أنه قال : أنا شانئُ محمد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال : الرجل يقول : إنما محمد أبتر ، ليس له كما ترون عَقِبٌ ، قال الله (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : عُقْبة بن أبى مُعَيط .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمِّىّ ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : كان عقبة ابن أبى معيط يقول : إنه لا يبقى للنبىّ صلى الله عليه وسلم ولد ، وهو أبتر ، فأنزل الله فيه هؤلاء الآيات : (إنَّ شانِئَكَ) عُقبة بن أبى مُعَيط (هُوَ الأبْتَرُ) .

وقال آخرون : بل عُنى بذلك جماعة من قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، فى هذه الآية : (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً) قال : نزلت فى كعب بن الأشرف ، أتى مكة فقال له أهلُها :

نحن خير أم هذا الصُّنبور[1] المنبتر من قومه، ونحن أهل الحجيج، وعندنا مَنْحَر البُدْن. قال: أنتم خير. فأنزل الله فيه هذه الآية. وأنزل فى الذين قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم ماقالوا: (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَر).

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن بدر بن عثمان، عن عكرمة (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ). قال: لمَّا أوحى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم قالت قريش: بَتِرَ محمد منا، فنزلت (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال: الذى رماك بالبَتَر هو الأبتر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبى عدىّ، قال: أنبأنا داود بن أبى هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما قَدِم كعب بن الأشرف مكة أتوْه، فقالوا له: نحن أهل السِّقاية والسِّدانة، وأنت سيد أهل المدينة. فنحن خير أم هذا الصُّنْبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا. قال: بل أنتم خير منه، فنزلت عليه: (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال: وأُنزلت عليه: (ألَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبا مِنَ الْكِتابِ) . . . إلى قوله (نَصِيرًا).

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن مُبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأقلّ الأذلّ. المنقطع عقبه. فذلك صفة كلّ من أبغضه من الناس. وإن كانت الآية نزلت فى شخص بعينه.

آخر تفسير سورة الكوثر

(١٠٩) سُورَةُ الكافِرُونَ مَكيّة وآياتها سِتّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى:

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وكان المشركون من قومه فيما ذُكر عرضوا عليه أن يعبدوا الله سنة، على أن يعبد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم آلهتهم سنة، فأنزل الله مُعَرِّفه جوابهم فى ذلك: (قُلْ) يامحمد لهؤلاء المشركين الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة، على أن يعبدوا إلهك سنة (يا أيُّها الكافِرُونَ) بالله (لاأعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ) من الآلهة والأوثان الآن (وَلا أنْتُمْ عابِدُونَ ما أعْبُدُ) الآن (وَلا أنا عابِدٌ)

(١) فى (اللسان: صنبر): أصل الصنبور: سعفة تنبت فى جذع النخلة، لا فى الأرض. أو النخلة تبقى منفردة. ومراد كفار قريش بقولهم صنبور، أى أن إذا قلع انقطع ذكره، كما يذهب أصل الصنبور، لأن لا عقب له.

فيما أستقبل (ما عَبَدْتُمْ) فيما مضى (وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ) فيما تستقبلون أبدا (ما أَعْبُدُ) أنا الآن ، وفيما أستقبل . وإنما قيل ذلك كذلك ، لأن الخطاب من الله كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أشخاص بأعيانهم من المشركين ، قد علم أنهم لايؤمنون أبدا ، وسبق لهم ذلك فى السابق من علمه ، فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُؤَيِّسَهم من الذى طمعوا فيه ، وحدّثوا به أنفسهم ، وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم ، فى وقت من الأوقات ، وآيس نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم من الطمع فى إيمانهم ، ومن أن يفلحوا أبدا ، فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا ، إلى أن قُتِل بعضُهم يوم بدر بالسيف ، وهلك بعض قبل ذلك كافرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وجاءت به الآثار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن موسى الحَرَشيّ ، قال : ثنا أبو خلف ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس « إن قريشا وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالا ، فيكون أغنى رجل بمكة ، ويزوّجوه ما أراد من النساء ، ويَطئوا عَقِبه . فقالوا له : هذا لك عندنا يامحمد ، وكُفَّ عن شتم آلهتنا ، فلا تذكرها بسوء ، فإن لم تفعل ، فإنا نعرض عليك خَصْلة واحدة ، فهى لك ولنا فيها صلاح ، قال : ما هى ؟ قالوا : تعبد آلهتنا سنة : اللات والعزّى ، ونعبد إلهك سنة ، قال : حتى أَنْظُرَ ما يأْتى مِنْ عِنْدَ رَبِّى ، فجاء الوحى من اللوح المحفوظ (قُلْ يا أَيُّها الْكافِرُونَ) السورة ، وأنزل الله (قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّها الجاهِلُونَ) . . إلى قوله (فاعْبُدْ وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) . »

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى سعيد بن مينا مولى البَخْتَرِيّ[1] ، قال : « لَقِى الوليد بن المُغيرة والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، وأميَّة بن خلف ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد ، هلمّ فلنعبدْ ما تعبد ، وتعبدْ ما نعبد ، ونُشرِكَك فى أمرنا كله ، فإن كان الذى جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد شَرِكناك فيه ، وأخذنا بحظنا منه ؛ وإن كان الذى بأيدينا خيرا مما فى يديك ، كنت قد شَرِكتنا فى أمرنا ، وأخذت منه بحظك ، فأنزل الله (قُلْ يا أَيُّها الْكافِرُونَ) حتى انقضت السورة » .

وقوله : (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ) يقول تعالى ذكره : لكم دينكم فلا تتركونه أبدا ، لأنه قد خُتِمَ عليكم ، وقُضِيَ أن لاتنفكوا عنه ، وأنكم تموتون عليه ، ولى دينِ الذى أنا عليه ، لاأتركه أبدا ، لأنه قد مَضَى فى سابق علم الله ، أنى لاأنتقل عنه إلى غيره .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله : (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ) قال للمشركين . قال : واليهود لايعبدون إلا الله ولا يشركون ، إلا أنهم يكفرون ببعض الأنبياء ، وبما جاءوا به من عند الله ، ويكفرون برسول الله ، وبما جاء به من عند الله ، وقتلوا طوائف الأنبياء ظلما وعُدْوانا ؛ قال : إلا العصابة التى بَقُوا ، حتى خرج بختنصر . فقالوا : عُزَيْرٌ ابن الله ، دعا الله ولم يعبدوه ولم يفعلوا كما فعلت النصارى ، قالوا : المسيح ابن الله وعبدوه .

---

(١) فى خلاصة الخزرجى : سعيد بن مينا ، بكسر الميم ، ومد النون : مولى أبى ذباب . . وثقه ابن معين وأبو حاتم .

وكان بعض أهل العربية يقول: كرّر قوله (لاأعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ) وما بعده على وجه التوكيد، كما قال (فإنَّ معَ العُسْرِ يُسْرًا ، إنَّ معَ الْعُسْرِ يُسْرًا)، وكقوله (لَتَرَوُنَّ الجَحيمَ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ) .

آخر تفسير سورة الكافرون

(١١٠) سورة النصر مدنية
وآياتها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إذا جاءك نصر الله يامحمد على قومك من قريش ، والفتح : فتح مكة (ورأيْتَ النَّاسَ) من صنوف العرب وقبائلها أهل اليمن منهم، وقبائل نزار (يَدْخُلُونَ في دينِ اللهِ أفْواجا) يقول : فى دين الله الذى ابتعثك به . وطاعتك التى دعاهم إليها (أفواجا)، يعنى : زُمَرا ، فوجا فوجا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ما قلنا فى قوله : (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ)

حدثنى الحارث ، قال: ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله: (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) : فتح مكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) النصر حين فتح الله عليه ونصره .

حدثنى إسماعيل بن موسى ، قال : أخبرنا الحسين بن عيسى الحنفىّ ، عن مَعْمَر ، عن الزهرىّ ، عن أبى حازم ، عن ابن عباس ، قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، إذ قال : اللهُ أكْبَرُ اللهُ أكْبَرُ ، جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ، جاءَ أهْلُ الْيَمَنِ . قيل : يا رسول الله ، وما أهل اليمن ؟ قال : قَوْمٌ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ ، لَيِّنَةٌ طِباعُهُمْ ، الإيمانُ يَمانٍ ، والْفِقْهُ يَمانٍ ، والْحِكْمَةُ يَمانِيَةٌ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكْثر من قول : سبحان الله وبحمده ، وأستغفر الله وأتوب

إليه؛ قالت : فقلت : يا رسول الله أراك تُكثر قول : سبحان الله و بحمده . وأستغفر الله وأتوب إليه . فقال : خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سأرى علامةً فِي أُمَّتِي . فإذا رأيتُها أكثرتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ . وأسْتَغْفِرُهُ وأتُوبُ إليْهِ ، فَقَدْ رأيْتُها (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) فتحُ مكةَ (ورأيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أفْوَاجا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كانَ تَوَّابا) » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن الشعبيّ ، عن مسروق ، عن عائشة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة ، قالت : « كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يُكثر قبل موته من قول سبحان الله وبحمده » ثم ذكر نحوه .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عكرمة قال : لما نزلت (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ، وَجاءَ أهْلُ اليَمَنِ . قالوا يا نبيّ الله ، وما أهل اليمن ؟ قال : رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ ، لَيِّنَةٌ طِباعُهُمْ ، الإيمَانُ يمانٍ ، والحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ » .

وأمَّا قوله (أفْوَاجا) فقد تقدّم ذكره فى معنى أقوال أهل التأويل .

وقد حدثنى الحارث ، قال : ثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فِي دِينِ اللهِ أفْوَاجا) قال : زُمرا زُمرا .

وقوله (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يقول : فسبح ربَّك وعظمه بحمده وشكره ، على ما أنجز لك من وعده ، فإنك حينئذ لاحق به ، وذائق ما ذاق مَنْ قَبْلَك من رُسله من الموت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، سألهم عن قول الله تعالى : (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) قالوا : فتحُ المدائن والقصور ، قال : فأنت يا بن عباس ما تقول : قلت : مَثَلٌ ضرب لمحمد صلى الله عليه وسلم نُعِيَتْ إليه نفسه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يُدنيه ، فقال له عبد الرحمن : إن لنا أبناءً مثله ، فقال عمر : إنه من حيث تعلم ، قال : فسأله عمر عن قول الله : (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) السورة ، فقال ابن عباس : أجله ، أعلمه الله إياه ، فقال عمر : ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران : عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ، قال : قال عمر رضي الله عنه : ما هي ؟ يعني (إذا جاء نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ) قال ابن عباس : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ حتى بلغ (وَاسْتَغْفِرْهُ) إنك ميت (إِنَّهُ كَانَ تَوَّابا) فقال عمر : ما نعلم منها إلا ما قلت .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس قال : لما نزلت (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) علم النبيّ أنه نُعيتْ إليه نفسه . فقيل له : إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخر السورة .

حدثنا أبو كُرَيب وابن وكيع . قالا : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس . قال : « لما نزلت (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي . كَأَنِّي مَقْبُوضٌ فِي تِلْكَ السَّنَةِ » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) قال : ذاك حين نَعَى له نفسه يقول : إذا (رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجا) يعني إسلام الناس ، يقول : فذاك حين حضر أجلُك (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابا) .

حدثني أبو السائب وسعيد بن يحيى الأموى ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول قبل أن يموت : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك ؛ قالت : فقلت : يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك قد أحدثتها تقولها ؟ قال : قَدْ جُعِلَتْ لِي عَلامَةٌ فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتُها قُلْتُها (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) إلى آخر السورة » .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق . قال : قالت عائشة : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أُنزلت عليه هذه السورة (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) لايقول قبلها : سبحانك ربنا وبحمدك ، اللهمّ اغفر لي » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن الأعمش . عن مسلم ، عن مسروق ، عن عائشة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، اللهمّ اغفر لي ، يتأوّل القرآن » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن داود ، عن الشعبيّ ، قال داود : لاأعلمه إلا عن مسروق ، وربما قال عن مسروق ، عن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول : سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه ، فقلت : إنك تُكثر من هذا ، فقال : إِنَّ رَبِّي قَدْ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأَرَى عَلامَةً فِي أُمَّتِي ، وأَمَرَنِي إِذَا رَأَيْتُ تِلْكَ الْعَلامَةَ أَنْ أُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ ، وأَسْتَغْفِرَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابا ، فَقَدْ رَأَيْتُها (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) .

حدثنا أبوالسائب ، قال : ثنا حفص ، قال : ثنا عاصم ، عن الشعبيّ ، عن أمّ سلمة ، قالت : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر أمره لايقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال : سبحان الله وبحمده ، فقلت : يا رسول الله ، إنك تُكثر من سبحان الله وبحمده ، لاتذهب ولا تجيء ، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت : سبحان الله وبحمده ، قال : إنّى أُمِرْتُ بِها ، فقال : (إِذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) إلى آخر السورة » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : نزلت سورة (إِذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) كلها بالمدينة بعد فتح مكة ، ودخول الناس فى الدين ينْعى إليه نفسه .

قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن زياد بن الحصين ، عن أبى العالية ، قال : « لما نزلت (إِذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) ونُعيتْ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم نفسُه ، كان لايقوم من مجلس يجلس فيه حتى يقولَ : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، أشهد أن لاإله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » .

قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، قال : « لما نزلت (إِذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) كان النبيّ صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، ربّ اغفر لى وتب علىّ ، إنك أنت التوّاب الرحيم » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) قرأها كلها. قال ابن عباس : هذه السورة علَم وحدّ حدّه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ونَعَى له نفسه ، أى إنك لن تعيشَ بعدها إلا قليلا . قال قتادة : والله ما عاش بعد ذلك إلا قليلا ، سنتين ، ثم توفى صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى معاذ عيسى بن أبى يزيد ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن ابن مسعود ، قال : لما نزلت (إِذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) كان يُكثر أن يقولَ « سبحانك اللهمّ وبحمدك ، اللهمّ اغفر لى ، سبحانك ربنا وبحمدك ، اللهمّ اغفر لى ، إنك أنت التوّاب الغفور » .

حُدثتُ عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قول الله (إِذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) كانت هذه السورة آية لموت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّابا) قال : اعلم أنك ستموت عند ذلك . وقوله (وَاسْتَغْفِرْهُ) يقول : وسَلْه أن يغفر ذنوبك . (إِنَّهُ كانَ تَوَّابا) : يقول : إنه كان ذا رجوع لعبده ، المطيع إلى ما يحبّ . والهاء من قوله « إنه » من ذكر الله عزّ وجلّ .

آخر تفسير سورة النصر

---

(١١١) سورة المسد مكية وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره: خَسِرت يدا أبى لهب، وخَسِر هو. وإنما عُنِى بقوله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) تبّ عمله. وكان بعض أهل العربية يقول: قوله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ): دعاء عليه من الله.

وأما قوله (وَتَبَّ) فإنه خبر. ويُذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ) وفى دخول « قد » فيه دلالة على أنه خبر، ويمثّل ذلك بقول القائل لآخر: أهلكك الله، وقد أهلكك، وجعلك صالحا وقد جعلك.

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ): أى خسرت وتب.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قول الله: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) قال: التبّ: الخسران، قال: قال أبو لهب للنبىّ صلى الله عليه وسلم: ماذا أُعْطَى يا محمد إن آمنت بك؟ قال: « كَمَا يُعْطَى الْمُسْلِمُونَ »، فقال: مالى عليهم فضل؟ قال: وأىّ شَىْءٍ تَبْتَغِى؟ قال: تبا لهذا من دين تبا، أن أكون أنا وهؤلاء سواء. فأنزل الله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) يقول: بما عملت أيديهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) قال: خَسِرت يدا أبى لهب وخَسِر.

وقيل: إن هذه السورة نزلت فى أبى لهب، لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم لما خصّ بالدعوة عشيرته، إذ نزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وجمعهم للدعاء، قال له أبو لهب: تبا لك سائرَ اليوم، ألهذا دعوتنا؟

ذكر الأخبار الواردة بذلك

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: « صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا، فقال: يا صَبَاحَاهْ! فاجتمعت إليه

قريش ، فقالوا : مالك ؟ قال : أرأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ، أما كنتم تصدقوني ؟ قالوا : بلى ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبًّا لك ، ألهذا دعوتنا وجمعتنا ، فأنزل الله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) إلى آخرها » .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن نمير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ثم نادى : يا صباحاه ، فاجتمع الناس إليه ، فبين رجل يجيء ، وبين آخر يبعث رسوله ، فقال : يا بني هاشم ، يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني... يا بني أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل « يريد تغير عليكم » صدقتموني ؟ قالوا : نعم ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم ، ألهذا دعوتنا ؟ فنزلت (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ورهطك منهم المخلصين ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى صعد الصفا ، فهتف : يا صباحاه . فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟ فقالوا : محمد ، فاجتمعوا إليه ، فقال : يا بني فلان ، يا بني فلان ، يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبًّا لك ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام فنزلت هذه السورة (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ) كذا قرأ الأعمش إلى آخر السورة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، في قوله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) قال : حين أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليه وإلى غيره ، وكان أبو لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان اسمه عبد العزى فذكرهم ، فقال أبو لهب : تبا لك ، في هذا أرسلت إلينا ؟ فأنزل الله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) .

وقوله (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) يقول تعالى ذكره : أي شيء أغنى عنه ماله ، ودفع من سخط الله عليه (وَمَا كَسَبَ) وهم ولده .

وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن داود بن محمد المنكدر ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن خثيم ، عن أبي الطفيل ، قال : جاء بنو أبي لهب إلى ابن عباس ، فقاموا يختصمون في البيت ، فقام ابن عباس ، فحجز

بينهم ، وقد كفّ بصره ، فدفعه بعضهم حتى وقع على الفراش ، فغضب وقال : أخرجوا عنى الكسب الخبيث.

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى بكر الهُذَلىّ ، عن محمد بن سفيان ، عن رجل من بنى مخزوم ، عن ابن عباس أنه رأى يوما ولد أبى لهب يقتتلون ، فجعل يحجُز بينهم ويقول : هؤلاء مما كسب.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (ما أغْنَى عَنْهُ مالُهُ ، وَما كَسَبَ) قال : ما كسب ولده .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله : (وَما كَسَبَ) قال : ولده هم من كسبه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَما كَسَبَ) قال : ولده .

وقوله : (سَيَصْلَى نارًا ذَاتَ لَهَبٍ) يقول : سيصلى أبو لهب نارا ذات لهب .

وقوله : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) يقول : سيصلى أبو لهب وامرأته حمالة الحطب ، نارا ذات لهب .

واختلفت القرّاء فى قراءة (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة (حَمَّالَةُ الْحَطَبِ) بالرفع ، غير عبد الله بن أبى إسحاق ، فإنه قرأ ذلك نصبا فيما ذُكر لنا عنه .

واختُلف فيه عن عاصم ، فحكى عنه الرفع فيها والنصب ، وكأنّ من رفع ذلك جعله من نعت المرأة ، وجعل الرفع للمرأة ما تقدّم من الخبر ، وهو « سيصلى » . وقد يجوز أن يكون رافعها الصفة . وذلك قوله (فِى جِيدِها) وتكون (حَمَّالَةَ) نعتا للمرأة . وأما النصب فيه فعلى الذمّ . وقد يُحتمل أن يكون نصبها على القطع من المرأة . لأن المرأة معرفة ، وحمالة الحطب نكرة[1] .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : الرفع ، لأنه أفصح الكلامين فيه . ولإجماع الحجة من القرّاء عيه .

واختلف أهل التأويل ، فى معنى قوله : (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) فقال بعضهم : كانت تجىء بالشوك فتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليدخل فى قدمه إذا خرج إلى الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى . قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) قال : كانت تحمل الشوك ، فتطرحه على طريق النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ليعقره وأصحابه . ويقال : (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) : نقالة للحديث .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن رجل من هَمْدان يقال له يزيد ابن زيد ، أن امرأة أبى لهب كانت تلقى فى طريق النبىّ صلى الله عليه وسلم الشَّوْك ، فنزلت (تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ — وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) .

حدثنى أبو هريرة الضُّبَعى : محمد بن فراس ، قال : ثنا أبو عامر ، عن قُرّة بن خالد ، عن عطية الجدلى ،

(١) لعله يقصد بقوله « وحمالة الحطب نكرة » : أنها إضافة لفظية لا معنوية ، فهى فى حكم النكرة .

فى قوله: (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) قال : كانت تضع العضاه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكأنما يطأ به كثيبا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) كانت تحمل الشوك ، فتلقيه على طريق نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ليعقره .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) قال : كانت تأتى بأغصان الشوك ، فتطرحها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : قيل لها ذلك : حمالة الحطب ، لأنها كانت تحطب الكلام ، وتمشى بالنميمة ، وتعيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : قال أبو المعتمر : زعم محمد أن عكرمة قال : (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) : كانت تمشى بالنميمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) قال : كانت تمشى بالنميمة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) قال : النميمة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) : أى كانت تنقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) قال : كانت تحطب الكلام ، وتمشى بالنميمة . وقال بعضهم : كانت تُعَيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر ، وكانت تَحْطِبُ فعُيِّرت بأنها كانت تحطب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) قال : كانت تمشى بالنميمة

✿ وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى : قول من قال : كانت تحمل الشوك ، فتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن عيسى بن يزيد ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زيد ، وكان ألزم شىء لمسروق ، قال : لما نزلت : (تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ) بلغ امرأة أبى لهب أن النبىّ صلى الله عليه وسلم يهجوك ، قالت : علام يهجونى ؟ هل رأيتمونى كما قال محمد أحمل حطبا « فى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » ؟ فمكثت ، ثم أتته ، فقالت : إن ربك قلاك وودّعك ، فأنزل الله : (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) .

وقوله (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) يقول : فى عنقها ، والعرب تسمى العنق جيدا ؛ ومنه قول ذى الرُّمَّة :

فعَيْناكِ عَيْناها وَلَوْنُكِ لَوْنُها وَجِيدُكِ إلاَّ أنَّها غَيْرُ عاطِلِ[1]

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله : (فِي جِيدِها حَبْلٌ) قال : فى رقبتها .

وقوله : (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) اختلف أهل التأويل فى ذلك . فقال بعضهم : هى حبال تكون بمكة .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : حبل من شجر ، وهو الحبل الذى كانت تحتطب به .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : هى حبال تكون بمكة ؛ ويقال : المَسَد : العصا التى تكون فى البكرة ، ويقال المَسَد : قلادة من وَدَع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله : (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : حبال من شجر تنبت فى اليمن لها مسد ، وكانت تفتل ؛ وقال (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) : حبل من نار فى رقبتها .

وقال آخرون : المَسَد : الليف :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن يزيد ، عن عروة (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : سلسلة من حديد ، ذرعها سبعون ذراعا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن رجل يقال له يزيد ، عن عروة بن الزُّبير (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : سلسلة ذرعها سبعون ذراعا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن يزيد ، عن عُرْوة بن الزبير (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : سلسلة ذرعها سبعون ذراعا .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن مجاهد (مِنْ مَسَدٍ) قال : من حديد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : حبل فى عنقها فى النار مثل طوق ، طوله سبعون ذراعا .

(١) البيت لذى الرمة غيلان (ديوانه ٤٩٥) وقد استشهد به المؤلف على أن العرب تسمى العنق جيدا ، كما فى بيت ذى الرمة . والعاطل : التى لا حلى عليها .

وقال آخرون : المَسَد : الحديد الذى يكون فى البَكْرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان، عن منصور ، عن مجاهد (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : الحديدة تكون فى البَكْرة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : عود البكرة من حديد .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : الحديدة للبكرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : قال أبو المعتمر : زعم محمد أن عكرمة قال : (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) إنه الحديدة التى فى وسط البكرة .

وقال آخرون : هو قِلادة من وَدَع فى عنقها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال قلادة من وَدَع .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : قلادة من وَدَع .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : هو حبل جُمع من أنواع مختلفة ، ولذلك اختلف أهل التأويل فى تأويله على النحو الذى ذكرنا ، ومما يدلّ على صحة ما قلنا فى ذلك قول الراجز :

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أيانِقِ
صُهْبٍ عِتاقٍ ذاتِ مُخٍّ زاهِقِ[1]

---

(١) البيتان : لعمارة بن طارق وهما من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة ٣٩٠ ٢٦ عن مخطوطة مراد منلا بالأستانة) قال : « حبل من مسد » : من النار ، والمسد عند العرب حبال تكون من ضروب . قال : « ومسد أمر . . . البيتين . » وفى (اللسان : مسد) قال : المسد ، بالتحريك : الليف . وقال ابن سيده : المسد : حبل من ليف ، أو خوص ، أوشعر ، أو وبر ، أو صوف ، أوجلود الإبل ، أوجلود ، أو من أى شىء كان . قال : وقد يكون من جلود الإبل ، أومن أوبارها . وأنشد الأصمعى لعمارة بن طارق ، وقال أبو عبيدة : هو لعقبة الهجيمى :

فأَعْجَلْ بِغَرْبٍ مِثْلِ غَرْبِ طارِقِ
وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أيانِقِ
لَيْسَ بِأَنْيابٍ وَلا حَقائِقِ

قال : يقول : ولو عجل بدلو مثل طارق ، ومسد فتل من أيانق . وأيانق : جمع أينق ، وأينق جمع ناقة . والأنياب جمع ناب ، وهى =

فجعل إمراره من شيّ ، وكذلك المسد الذي في جيد امرأة أبي لهب ، أمر من أشياء شتّى ، من ليف وحديد ولحاء ، وجعل في عنقها طوقا كالقلادة من ودع ؛ ومنه قول الأعشى :

تُمْسِي فيَصْرِفُ بابُها مِنْ دُونِنا غَلْقًا صَرِيفَ مَحالَةِ الأَمْسادِ[1]

يعني بالأمساد : جمع مَسَد ، وهي الحبال

آخر تفسير سورة تَبَّتْ

(١١٢) سُورَةُ الإِخْلَاصِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

ذُكر أن المشركين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسب ربّ العزّة ؛ فأنزل الله هذه السورة جوابا لهم . وقال بعضهم : بل نزلت من أجل أن اليهود سألوه ؛ فقالوا له : هذا الله خلق الخلق ؛ فمن خلق الله ؟ فأُنزلت جوابا لهم .

ذكر من قال : أُنزلت جوابا للمشركين الذين سألوه أن ينسُب لهم الربّ تبارك وتعالى .

حدثنا أحمد بن منيع المَرْوزيّ ومحمود بن خِداش الطالَقانى ، قالا : ثنا أبو سعيد الصنعانى ؛ قال : ثنا أبو جعفر الرازيّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أُبيّ بن كعب ، قال : قال المشركون للنبيّ صلى الله عليه وسلم : انسُبْ لنا ربك ؛ فأنزل الله (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرِمة ، قال : إن

= المرمة ، والحقائق : جمع حقة (بالكسر) وهي التي دخلت في السنة « الرابعة » ، وليس جلدها بالقوى . يريد ليس جلدها من الصغير ولا الكبير ، بل هو من جلد ثنية ، أو رباعية ، أو سديس ، أو بازل ؛ وخص به أبو عبيدة الحبل من الليف . وقيل : هو الحبل المضفور ، المحكم الفتل ، من جميع ذلك . وقال الزجاج في قوله عز وجل « في جيدها حبل من مسد » : جاء في التفسير : أنها سلسلة طولها سبعون ذراعا ، يسلك بها في النار . والجمع : أمساد ، ومساد . (وانظر اللسان : مسد ، ففيه أقوال كثيرة أخرى في الآية) .

(١) البيت من قصيدة لأعشى بني قيس بن ثعلبة في الفخر (ديوانه ١٢٩) . وقبله مباشرة :

فانْهَيْ خيالَكِ أنْ يَزُورَ فإنَّهُ في كلّ مَنْزِلَةٍ يَعُودُ وِسادِي

قال الدكتور محمد حسين شارح الديوان : المنزل والمنزلة : مكان الإقامة . والصريف : صوت الباب والأسنان والبكرة حين تدور . المحالة : البكرة . الأمساد : الحبال ، جمع مسد (بفتحتين . يشبه صوت الباب حين تغلقه من خلفها في المساء بصوت البكرة حين تدور على البئر) . اهـ .

المشركين قالوا : يا رسول الله أخبرنا عن ربك ، صف لنا ربك ما هو ، ومن أىّ شىء هو ؟ فأنزل الله : (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ) إلى آخر السورة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ) قال : قال ذلك قادة الأحزاب ، انسُب لنا ربك ، فأتاه جبريل بهذه .

حدثنى محمد بن عوف ، قال : ثنا شريح ، قال : ثنا إسماعيل بن مجالد ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، عن جابر قال : قال المشركون : انسُب لنا ربك ، فأنزل الله (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ) .

ذكر من قال : نزل ذلك من أجل مسألة اليهود

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن محمد ، عن سعيد ، قال : أتى رهط من اليهود النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد هذا الله خلق الخلق ، فمن خلقه ؟ فغضب النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى انتُقِعَ لونه ، ثم ساوَرَهم غضبا لربه ، فجاءه جبريل عليه السلام فسكّنه . وقال : اخفض عليك جناحك يا محمد . وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه . قال : يقول الله : (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ) فلما تلا عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم . قالوا : صف لنا ربك كيف خَلْقُه ، وكيف عضُدُه ، وكيف ذراعُه . فغضب النبىّ صلى الله عليه وسلم أشدّ من غضبه الأوّل ، وساوَرَهم غضبا ، فأتاه جبريل فقال له مثل مقالته . وأتاه بجواب ما سألوه عنه : (وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، والأرْضُ جَمِيعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحانَهُ وَتَعالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مِهران ، عن سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ، قال : جاء ناس من اليهود إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أنسب لنا ربك ، فنزلت (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ) حتى ختم السورة .

فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا : قل يا محمد لهؤلاء السائليك عن نسب ربك وصفته ، ومن خلقه : الربّ الذى سألتمونى عنه ، هو الله الذى له عبادة كل شىء ، لاتنبغى العبادة إلا له ، ولا تصلح لشىء سواه .

واختلف أهل العربية فى الرافع (أحَدٌ) فقال بعضهم : الرافع له « الله » ، و «هو» عماد[1] ، بمنزلة الهاء فى قوله : (إنَّهُ أنا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ) . وقال آخر منهم : بل «هو» مرفوع ، وإن كان نكرة بالاستئناف ، كقوله : هذا بعلى شيخ ، وقال : هو الله جواب لكلام قوم قالوا له : ما الذى تعبد ؟ فقال : هو الله ، ثم قيل له : فما هو ؟ قال : هو أحد .

وقال آخرون (أحَدٌ) بمعنى : واحد ، وأنكر أن يكون العماد مستأنفا به ، حتى يكون قبله حرف من حروف الشكّ ، كظنّ وأخواتها ، وكان وذواتها ، أو إنّ وما أشبهها ، وهذا القول الثانى هو أشبه بمذاهب العربية .

(١) « العماد » فى اصطلاح نحاة الكوفة : أهو ما يسميه البصريون : « ضمير الفصل » . وفى إعرابه خلاف بينهم .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (أَحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ) بتنوين «أحدٌ» ، سوى نصر بن عاصم ، وعبد الله بن أبي إسحاق ، فإنه رُوى عنهما ترك التنوين (أَحَدُ اللهُ) ، وكأن من قرأ ذلك كذلك ، قال : نون الأعراب إذا استقبلتها الألف واللام أو ساكن من الحروف حُذفت أحيانا ، كما قال الشاعر :

كَيْفَ نَوْمى على الفِرَاشِ ولَمّا تَشْمَلِ الشَّامَ غارَةٌ شَعْوَاءُ
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وتُبْدِى عَنْ خِدامِ العَقِيلَةُ العَذْراءُ[1]

يريد : عن خِدامٍ العقيلةُ .

والصواب في ذلك عندنا : التنوين ، لمعنيين : أحدهما أفصح اللغتين ، وأشهر الكلامين ، وأجودهما عند العرب . والثاني : إجماع الحجة من قرّاء الأمصار على اختيار التنوين فيه ، ففي ذلك مُكْتَفًى عن الاستشهاد على صحته بغيره . وقد بيّنّا معنى قوله « أحد » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (اللهُ الصَّمَدُ) يقول تعالى ذكره : المعبود الذي لاتصلح العبادة إلا له الصمدُ .

واختلف أهل التأويل في معنى الصمد ، فقال بعضهم : هو الذي ليس بأجوف ، ولا يأكل ولا يشرب.

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، عن سلمة بن سابور ، عن عطية ، عن ابن عباس ، قال : الصمد : الذي ليس بأجوف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الصمد : المُصْمَت الذي لاجوف له .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله سواءً .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الصمد : المُصْمَت الذي ليس له جوف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ووكيع ، قالا : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الصمد : الذي لاجوف له .

---

(١) البيتان لعبيد الله بن قيس الرقيات الشاعر الإسلامي القرشي . وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩) قال : قد قرأت القراء : « وقالت اليهود عزير ابن الله » و« عزير ابن الله » والتنوين أجود . أنشدني بعضهم :

لَتَجِدَنّى بالأميرِ بَرّا
وبالقَنَاة مِدْعَسًا مِكَرّا
إذَا غُطَيْفُ السُّلَمِىُّ فَرّا

وأنشدني آخر : « كيف نومى . . . البيتين » : والشاهد : أن حذف التنوين من قوله « غطيف السلمى » ، ومن قول ابن قيس « عن خدام العقيلة » ، كما حذف التنوين من قراءة من قرأ « أحد الله الصمد » فلم ينون « أحد » . والبيت في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات طبعة وينا سنة ١٩٠٢ ص ١٨٣ وفيه « عن براها العقيلة العذراء » ولاشاهد فيه إذن .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران جميعا ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثلَه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا الربيع بن مسلم ، عن الحسن ، قال : الصَّمَدُ : الذى لاجوف له .

قال : ثنا الربيع بن مسلم ، عن إبراهيم بن ميسرة ، قال : أرسلنى مجاهد إلى سعيد بن جُبير أسأله عن الصمد ، فقال : الذى لاجوف له .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبيّ ، قال : الصمدُ الذى لايَطْعَم الطعام .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبيّ أنه قال : الصَّمَدُ : الذى لايأكل الطعام ، ولا يشرب الشراب .

حدثنا أبو كُرَيب وابن بشار ، قالا : ثنا وكيع ، عن سلمة بن نُبَيط ، عن الضحاك ، قال : الصمدُ : الذى لاجوف له .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن إسماعيل ، عن عامر ، قال : الصمدُ : الذى لايأكل الطعام .

حدثنا ابن بشار وزيد بن أخزم ، قالا : ثنا ابن داود ، عن المستقيم بن عبد الملك ، عن سعيد بن المسيب قال : الصمدُ : الذى لاحِشوة له .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله الصمدُ : الذى لاجوف له .

حدثنى العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا محمد بن عمر بن رومى ، عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش ، قال : ثنى صالح بن حيان ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، قال : لاأعلمه إلا قد رفعه ، قال : الصَّمَد الذى لاجوف له

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن الربيع بن مسلم ، قال : سمعت الحسن يقول : الصَّمَدُ : الذى لاجوف له .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عكرمة ، قال : الصمدُ : الذى لاجوف له .

وقال آخرون : هو الذى لايخرج منه شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت عِكْرِمة ، قال فى قوله : الصَّمَدُ : الذى لم يخرج منه شيء ، ولم يَلِد ، ولم يُولَد .

حدثنا ابن بشار . قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء محمد بن يوسف ، عن عكرمة قال : الصمدُ : الذى لايخرج منه شيء .

وقال آخرون : هو الذى لم يَلِدْ ولم يُولَدْ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : الصَّمَدُ : الذى لم يلد ولم يولد ، لأنه ليس شيء يلد إلاّ سيورث ، ولا شيء يولد إلاّ سيموت ، فأخبرهم تعالى ذكره أنه لايُورث ولا يموت .

حدثنا أحمد بن منيع ومحمود ابن خِداش قالا : ثنا أبو سعيد الصَّنْعانىّ ، قال : قال المشركون للنبيّ صلى الله عليه وسلم : انسُب لنا ربك ، فأنزل الله : (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ) لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ، وليس شيء يموت إلا سيُورث ، وإن الله جلّ ثناؤه لايموت ولا يورث (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ) : ولم يكن له شبيه ولا عدل ، وليس كمثله شيء .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب : الصَّمَد : الذى لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد .

وقال آخرون : هو السيد الذى قد انتهى سُودَدُه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب . قال : ثنى أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن شقيق ، قال : الصَّمَدُ : هو السيد الذى قد انتهى سُودَدُه .

حدثنا أبو كريب وابن بشار وابن عبد الأعلى ، قالوا : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : الصَّمد : السيد الذى قد انتهى سُودَدُه . ولم يقل أبو كُرَيب وابن عبد الأعلى سُودَدُه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل مثله .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (الصَّمَدُ) يقول : السيد الذى قد كمل فى سُودَده ، والشريف الذى قد كمُل فى شرفه ، والعظيم الذى قد عظُم فى عظمته ، والحليم الذى قد كمل فى حلمه ، والغنىّ الذى قد كمل فى غناه ، والجبّار الذى قد كمل فى جبروته ، والعالم الذى قد كمل فى علمه . والحكيم الذى قد كمل فى حكمته ، وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والسُّودَد ، وهو الله سبحانه هذه صفته ، لاتنبغى إلا له .

وقال آخرون : بل هو الباقى الذى لايفنَى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) قال : كان الحسن وقتادة يقولان : الباقى بعد خلقه ؛ قال : هذه سورة خالصة ، ليس فيها ذكر شىء من أمر الدنيا والآخرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : الصَّمَدُ : الدائم .

قال أبو جعفر : الصَّمَدُ : عند العرب : هو السيد الذى يُصْمَدُ إليه ، الذى لا أحد فوقه ؛ وكذلك تسمى أشرافَها ؛ ومنه قول الشاعر :

أَلا بَكَرَ النَّاعِى بِخَيْرَىْ بَنِى أَسَدْ بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ[1]

وقال الزبرقان :

وَلا رَهِينَةَ إلاَّ سَيِّدٌ صَمَدُ[2]

فإذا كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بتأويل الكلمة ، المعنى المعروف من كلام من نزل القرآن بلسانه ولو كان حديث ابن بُريدة ، عن أبيه صحيحا ، كان أولى الأقوال بالصحة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما عَنَى الله جلّ ثناؤه ، وبما أنْزل عليه .

وقوله : (لَمْ يَلِدْ) يقول : ليس بفان ، لأنه لا شىء يلد إلا وهو فان بائد (وَلَمْ يُولَدْ) يقول : وليس بمحدث لم يكن فكان ، لأن كلّ مولود فإنما وُجد بعد أن لم يكن ، وحدث بعد أن كان غير موجود ، ولكنه تعالى ذكره قديم لم يزل ، ودائم لم يبيد ، ولا يزول ولا يفنى .

وقوله : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك . فقال بعضهم : معنى ذلك : ولم يكن له شبيه ولا مِثْل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية قوله : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) : لم يكن له شبيه ، ولا عِدْل ، وليس كمثله شىء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عمرو بن غَيْلانَ الثقفىّ ، وكان أميرَ البصرة[3] ، عن كعب ، قال : إن الله تعالى ذكره أسَّس السموات السبع ، والأرضين السبع ، على هذه السورة (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه .

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة ٢٦٣٩٠ عن مخطوطة مراد منلا بالآستانة ١٩٢) قال : الصمد : هو السيد الذى يصمد (يقصد) ليس فوقه أحد . والعرب تسمى أشرافها . قال الأسدى : لقد بكر الناعى . . . البيت » .

(٢) هذا عجز بيت ، نسبه أبو عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة جامعة القاهرة ٢٦٣٩٠ عن مخطوطة مراد منلا بالآستانة ص ١٩٢) إلى الزبرقان بن بدر التميمى ، وأورده بعد الشاهد الذى قبله ، فى تفسير الصمد من قوله تعالى . « الله الصمد » .

(٣) عمرو بن غيلان بن سلمة الثقفى ، مختلف فى صحبته ، نزل الشام . وأخوه عبد الله من أمراء معاوية ، قال المزى : لا تبعد صحبته .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) قال : ليس كمثله شيء ، فسبحان الله الواحد القهّار .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن : قال : ثنا ورقاء ، عن ابن جُرَيج (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا): مثل .

وقال آخرون : معنى ذلك ، أنه لم يكن له صاحبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الملك بن أبجر ، عن طلحة ، عن مجاهد ، قوله : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) قال : صاحبة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن ابن أبجر ، عن طلحة ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن عبد الملك ، عن طلحة ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبجر ، عن رجل عن مجاهد (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) قال : صاحبة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن أبجر ، عن طلحة بن مصرّف ، عن مجاهد (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) قال : صاحبة .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن عبد الملك ، عن طلحة ، عن مجاهد ، مثله ، والكُفُؤ والكفء والكِفاء في كلام العرب : واحد ، وهو المِثْل والشِّبْه ؛ ومنه قول نابغة بني ذُبيان :

لا تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لا كِفاءَ لَهُ وَلَوْ تَأَثَّفَكَ الأَعْداءُ بالرِّفَدِ [1]

يعني : لا كفاء له : لا مثل له .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (كُفُوًا) . فقرأ ذلك عامة قرّاء البصرة (كُفُوًا) بضم الكاف والفاء . وقرأه بعض قرّاء الكوفة بتسكين الفاء وهمزها (كُفْئًا) .

❁ والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان مشهورتان ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

آخر تفسير سورة الإخلاص

---

(١) البيت للنابغة الذبياني (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٥٤) قال شارحه : الكفاء : النظير والمثل . وتأثفك الأعداء : صاروا حولك كالأثافي . والرفد : العصب من الناس . يريد : لا ترمني بما لا أطيق ، ولا يقوم له أحد ، ولا يكافئك فيه أعداؤك ، ولو أحاطوا بك متعاونين . وفي (اللسان : كفأ) : وقال الزجاج في قوله تعالى : « ولم يكن له كفوا أحد » : أربعة أوجه ، القراءة منها ثلاثة : « كفؤا » بضم الكاف والفاء . و « كفأ » بضم الكاف ، وإسكان الفاء ، و « كفأ » بكسر الكاف ، وسكون الفاء ، وقد قرئ بهن . و « كفاء » بكسر الكاف والمد ، ولم يقرأ بها . ومعناه : لم يكن أحد مثلا لله تعالى ذكره . اهـ .

(١١٣) سورة الفلق مكية
وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۞ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد أستجير بربّ الفلق من شرّ ما خلق من الخلق .

واختلف أهل التأويل فى معنى الفلق ، فقال بعضهم : هو سجن فى جهنم يسمى هذا الاسم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسحاق بن عبد الله ، عمن حدثه عن ابن عباس قال : الفلق : سجن فى جهنم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد الزبيرىّ ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبى فروة ، عن رجل ، عن ابن عباس ، فى قوله (الفَلَقِ) : سجن فى جهنم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام بن عبد الجبار الجَوْلانىّ ، قال : « قدِم رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الشأم ، قال : فنظر إلى دُور أهل الذمة ، وما هم فيه من العيش والنضارة ، وما وُسِّعَ عليهم فى دنياهم ، قال : فقال : لاأبالك ، أليس من ورائهم الفلق ؟ قال : قيل : وما الفلق ؟ قال : بيت فى جهنم ، إذا فُتح هَرّ أهل النار » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت السُّدّىّ يقول : الفَلَق : جُبّ فى جهنم .

حدثنى علىّ بن حسن الأزدى ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن سفيان ، عن السدىّ ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ ، مثله .

حدثنى إسحاق بن وهب الواسطىّ ، قال : ثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطىّ ، قال : ثنا نصر ابن خُزَيمة الخراسانىّ ، عن شعيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، عن أبى هُريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « الفَلَق : جبّ فى جهنم مغطًّى » .

حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : ثنا نافع بن يزيد ، قال : ثنا يحيى بن أبى أسيد ،

عن ابن عجلان ، عن أبي عبيد ، عن كعب ، أنه دخل كنيسة فأعجبه حسنها ، فقال : أحسن عمل وأضل قوم ، رضيت لكم الفلق ، قيل: وما الفلق ؟ قال: بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره.

وقال آخرون : هو اسم من أسماء جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت خيثم بن عبد الله يقول : سألت أبا عبد الرحمن الحبلي ، عن الفلق . قال : هي جهنم .

وقال آخرون : الفلق : الصبح .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) قال : الفلق : الصُّبْح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، قال : أنبأنا عوف ، عن الحسن ، في هذه الآية (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) قال : الفلق : الصبح .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبير ، قال : الفلق الصبح .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران جميعا ، عن سفيان ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبير ، مثله .

حدثني عليّ بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا الأشجعيّ ، عن سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جُبير ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن الحسن بن صالح ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر ، قال : الفَلَق : الصبح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا الحسن بن صالح ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا أبو صخر ، عن القُرَظِيّ ، أنه كان يقول في هذه الآية (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) يقول : فالق الحبّ والنوى ، قال : فالق الإصباح .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) قال : الصبح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) قال : الفَلَق : فَلَق النهار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : الفلق : فلق الصبح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) قيل له : فَلَق الصبح ، قال : نعم ، وقرأ (فالِقُ الإِصْباحِ ، وَجاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا) .

وقال آخرون : الفَلَق : الخلق ، ومعنى الكلام : قل أعوذ برب ّ الخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (الفلق : يعني الخلق .

❊ والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول : (أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) والفلق في كلام العرب : فَلَق الصبح ، تقول العرب : هو أبينُ من فَلَق الصُّبح ، ومن فَرَق الصُّبح . وجائز أن يكون في جهنم سجن اسمه فَلَق . وإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن جلّ ثناؤه وضعَ دلالة على أنه عُنِي بقوله (بِرَبِّ الْفَلَقِ) بعض مايُدْعَى الفلق دون بعض ، وكان الله تعالى ذكره ربّ كل ما خلق من شيء ، وجب أن يكون معنيا به كل ما اسمه الفَلَق ، إذ كان ربّ جميع ذلك .

وقال جلّ ثناؤه : (مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ) لأنه أمر نبيه أن يستعيذ من شرّ كل شيء ، إذ كان كلّ ما سواه ، فهو ما خلق .

وقوله (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) يقول : ومن شرّ مظلم إذا دخل ، وهجم علينا بظلامه .

❊ ثم اختلف أهل التأويل في المظلم الذي عُنِي في هذه الآية ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة منه ، فقال بعضهم : هو الليل إذا أظلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) قال : الليل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، قال : أنبأنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) قال : أوّل الليل إذا أظلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا أبو صخر ، عن القرظي أنه كان يقول في (غاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) يقول : النهار إذا دخل في الليل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل من أهل المدينة ، عن محمد بن كعب (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) قال : هو غروب الشمس إذا جاء الليل ، إذا وقب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (غاسِقٍ) قال : الليل (إِذَا وَقَبَ) قال : إذا دخل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) قال : الليل إذا أقبل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) قال : إذا جاء .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِذَا وَقَبَ) يقول : إذا أقبل . وقال بعضهم : هو النهار إذا دخل فى الليل ، وقد ذكرناه قبلُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران، عن سفيان ، عن رجل من أهل المدينة ، عن محمد بن كعب القُرَظِيّ (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) قال : هو غروب الشمس إذا جاء الليل ، إذا وجب .

وقال آخرون : هو كوكب . وكان بعضهم يقول : ذلك الكوكب هو الثُّريا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا سليمان بن حيّان ، عن أبي المُهَزِّم ، عن أبي هريرة فى قوله (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) قال : كوكب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) قال : كانت العرب تقول : الغاسق : سقوط الثريا ؛ وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها .

ولقائلى هذا القول علّة من أثر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو ما حدثنا به نصر بن عليّ ، قال : ثنا بكار بن عبد الله بن أخى همّام ، قال : ثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) قال : النجم الغاسق .

وقال آخرون : بل الغاسق إذا وقب القمر ، ورووا بذلك عن النبيّ صلى الله عليه وسلم خبرا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن سفيان ، قال : ثنا أبي ويزيد بن هارون به .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب ، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : « أخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم بيدى ، ثم نظر إلى القمر ، ثم قال : يا عائِشَةُ تَعَوَّذِي بالله مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ، وَهَذَا غاسِقٌ إِذَا وَقَبَ » ، وهذا لفظ حديث أبي كُرَيب وابن وكيع ، وأما ابن حُمَيد ، فإنه قال فى حديثه : قالت : « أخَذَ النبيّ صلى الله عليه وسلم بيدى ، فقال : أتَدْرِينَ أيَّ شَيْءٍ هَذَا ؟ تَعَوَّذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا ، فإنَّ هَذَا الْغاسِقُ إِذَا وَقَبَ » .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا ابن أبي ذئب ، عن الحارث بن عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر ، فقال : ياعائِشَةُ اسْتَعِيذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا ، فإنَّ هَذَا الْغاسِقُ إِذَا وَقَبَ » .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : أن يقال : إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ (مِنْ

شَرِّ غاسِقٍ) وهوالذى يُظْلم، يقال : قد غَسَق الليل يَغْسُق غسوقا : إذا أظلم . (إذَا وَقَبَ) يعنى : إذا دخل فى ظلامه ، والليل إذا دخل فى ظلامه غاسق. والنجم إذا أفل غاسق، والقمر غاسق إذا وقب، ولم يخصص بعض ذلك بل عمّ الأمر بذلك، فكلّ غاسق. فإنه صلى الله عليه وسلم كان يُؤمر بالاستعاذة من شرّه إذا وقب . وكان قتادة يقول فى معنى وقب : ذهب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) قال : إذا ذهب ، ولست أعرف ما قال قتادة فى ذلك فى كلام العرب ، بل المعروف من كلامها من معنى وقب : دخل.

وقوله (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِى الْعُقَدِ) يقول : ومن شرّ السواحر اللاتى ينفُثن فى عُقَد الخيط ، حين يَرْقين عليها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس [١] : (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِى الْعُقَدِ) قال : ما خالط السِّحر من الرُّقَى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِى الْعُقَدِ) قال : السواحر والسَّحَرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِى الْعُقَدِ) قال : إياكم وما خالط السِّحر من هذه الرُّقَى .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : ما من شىء أقرب إلى الشرك من رُقْية المجانين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول إذا جاز (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فى الْعُقَدِ) قال : إياكم وما خالط السحر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة (النَّفَّاثاتِ فِى الْعُقَدِ) قال : قال مجاهد : الرُّقَى فى عُقَد الخيط ؛ وقال عكرمة : الأخذ فى عقد الخيط .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِى الْعُقَدِ) قال : النفاثات : السواحر فى العقد .

وقوله (وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إذَا حَسَدَ) : اختلف أهل التأويل فى الحاسد الذى أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شرّ حسده به ، فقال بعضهم : ذلك كلّ حاسد أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شرّ عينه ونفسه .

---

(١) إلى هنا ينتهى الموجود من الجزء الأخير من النسخة رقم ١٠٠ تفسير ، المحفوظة بدار الكتب المصرية . ومقدار الساقط منها نحو أربع صفحات من صفحات الأصل ، ولعلها سقطت أخيرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى . قال : ثنا ابن ثور . عن معمر . عن قتادة (وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إذَا حَسَدَ) قال : من شرّ عينه ونفسه . وعن عطاء الخُراساني مثل ذلك . قال مَعْمر : وسمعت ابن طاوُس يحدّث عن أبيه . قال : « العَيْنُ حقّ . وَلَو كانَ شَيْءٌ سابق القَدَرِ . سَبَقَتْه العَيْنُ . وإذا اسْتُغْسِل[1] أحدُكم فَلْيَغْتَسل » .

وقال آخرون : بل أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بهذه الآية أن يستعيذ من شرّ اليهود الذين حسدوه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إذَا حَسَدَ) قال : يهود . لم يمنعهم أن يؤمنوا به إلا حسدهم .

❁ وأولى القولين بالصواب في ذلك: قول من قال : أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شرّ كل حاسد إذا حسد ، فعابه أو سحره ، أو بغاه سوءا .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ؛ لأن الله عزّ وجلّ لم يخصص من قوله (وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إذَا حَسَدَ) حاسدا دون حاسد ، بل عمّ أمرُه إياه بالاستعاذة من شرّ كلّ حاسد ، فذلك على عمومه .

آخر تفسير سورة الفلق

---

(١١٤) سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّة وآياتها سِتّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد أستجير (بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ) وهو ملك جميع الخلق : إنسهم وجنهم ، وغير ذلك ، إعلاما منه بذلك مَنْ كان يعظّم الناس تعظيم المؤمنين ربّهم . أنه مَلِكُ من يعظمه ، وأن ذلك في مُلكه وسلطانه ، تجري عليه قُدرته ، وأنه أولى بالتعظيم ، وأحقّ بالتعبد له ممن يعظمه ، ويتعبّد له ، من غيره من الناس .

وقوله (إِلَٰهِ النَّاسِ) يقول : معبود الناس ، الذي له العبادة دون كلّ شيء سواه .

(١) في (النهاية لابن الأثير : غسل) : أي إذا طلب من أصابته العين أن يغتسل من أصابه بعينه ، فليجبه .

وقوله (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ) يعنى : من شرّ الشيطان (الْخَنَّاسِ) الذى يخنس مرّة ، ويوسوس أخرى ، وإنما يخنس فيما ذُكر عند ذكر العبد ربه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن سفيان ، عن حكيم بن جُبير ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : « ما من مولود إلا على قلبه الوَسواس ، فإذا عقل فذكر الله خنَس ، وإذا غفل وسوس ، قال : فذلك قوله (الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سفيان ، عن ابن عباس ، فى قوله (الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ) قال : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، وإذا ذكر الله خنس .

قال : ثنا مهران ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ) قال : ينبسط ، فإذا ذكر الله خنَس وانقبض ، فإذا غفل انبسط .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ) قال : الشيطان يكون على قلب الإنسان ، فإذا ذكر الله خنَس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الْوَسْوَاسِ) قال : قال هو الشيطان ، وهو الخنَّاس أيضا ، إذا ذكر العبد ربه خنس ، وهو يوسوس ويَخْنس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ) يعنى : الشيطان ، يوسوس فى صدر ابن آدم ، ويخنس إذا ذُكر الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن أبيه ، قال : ذُكر لى أن الشيطان ، أو قال الوسواس ينفث فى قلب الإنسان عند الحزن وعند الفرح ، وإذا ذُكر الله خنس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الْخَنَّاسِ) قال : الخناس الذى يوسوس مرّة ، ويخنس مرّة من الجنّ والإنس ، وكان يقال : شيطان الإنس أشدّ على الناس من شيطان الجنّ ، شيطان الجنّ يوسوس ولا تراه ، وهذا يُعاينك معاينة .

ورُوِى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان يقول فى ذلك (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ) الذى يوسوس بالدعاء إلى طاعته فى صدور الناس ، حتى يُستجاب له إلى ما دعا إليه من طاعته ، فإذا استجيب له إلى ذلك خنَس .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (الْوَسْوَاس) قال : هو الشيطان يأمره ، فإذا أطيع خنس .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ به من

شرّ شيطان يوسوس مرّة ويخنس أخرى ، ولم يخصّ وسوسته على نوع من أنواعها ، ولا خنوسه على وجه دون وجه ، وقد يوسوس بالدعاء إلى معصية الله ، فإذا أطيع فيها خنَس ، وقد يوسوس بالنَّهْى عن طاعة الله فإذا ذكر العبدُ أمر ربه ، فأطاعه فيه ، وعصى الشيطان خنس ، فهو فى كلّ حالتيه وَسْواس خنّاس ، وهذه الصفة صفته .

وقوله (الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ) يعنى بذلك : الشيطان الوسواس ، الذى يوسوس فى صدور الناس : جنهم وإنسهم .

فإن قال قائل : فالجنّ ناس ، فيقال : الذى يوسوس فى صدور الناس : من الجنة والناس . قيل : قد سماهم الله فى هذا الموضع ناسا ، كما سماهم فى موضع آخر رجالا ، فقال : «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ» ، فجعل الجنّ رجالا ، وكذلك جعل منهم ناسا .

وقد ذُكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدّث ، إذ جاء قوم من الجنّ فوقفوا ، فقيل : من أنتم ؟ فقالوا : ناس من الجنّ ، فجعل منهم ناسا ، فكذلك ما فى التنزيل من ذلك .

آخر كتاب التفسير ، والحمد لله العلىّ الكبير

فهرس جامع للأحاديث النبوية
الواردة في تفسير الطبري

فهرس جامع للأحاديث النبوية الواردة في تفسير الطبري

حرف الهمزة

الجزء الأول

الجزء الثاني

مطلع الحديث	الصفحة

الجزء الثالث

الجزء الرابع

الجزء الخامس

الجزء السادس

الجزء السابع

الجزء الحادي عشر

الجزء الثاني عشر

الجزء الثالث عشر

الجزء الرابع عشر

الجزء الخامس عشر

الجزء السادس عشر

الجزء السابع عشر

الجزء الثامن عشر

الجزء التاسع عشر

الجزء العشرون

الجزء الحادي والعشرون

الجزء الثاني والعشرون

الجزء الثالث والعشرون

الجزء الرابع والعشرون

الجزء الخامس والعشرون

الجزء السادس والعشرون

الجزء السابع والعشرون

الجزء الثامن والعشرون

الجزء التاسع والعشرون

الجزء الثلاثون

حرف ب

حرف ت

حرف ث

حرف ج

حرف ح

حرف خ

حرف الدال

حرف الذال ذ

حرف الراء

مطلع الحديث	الصفحة

الجزء الثاني عشر

الجزء الثالث عشر

الجزء الرابع عشر

الجزء الخامس عشر

الجزء السادس عشر

الجزء السابع عشر

الجزء الثاني والعشرون

الجزء السابع والعشرون

حرف الزاي

الجزء السادس

الجزء السادس عشر

حرف السين

الجزء الأول

الجزء الثاني

الجزء الثالث

الجزء الرابع

الجزء الخامس

الجزء السادس

الجزء السابع

الجزء الثامن

الجزء التاسع

الجزء العاشر

الجزء الحادي عشر

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الصاد

حرف الشين

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

مطلع الحديث — الصفحة — مطلع الحديث — الصفحة

الجزء الثالث عشر

الجزء الخامس عشر

الجزء السابع عشر

الجزء الثامن عشر

الجزء التاسع عشر

الجزء العشرون

الجزء الحادي والعشرون

الجزء الثاني والعشرون

مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة

حرف الكاف

حرف اللام

الجزء الثامن

الجزء التاسع

الجزء العاشر

الجزء الحادي عشر

الجزء الثاني عشر

الجزء الثالث عشر

الجزء الرابع عشر

الجزء السابع والعشرون

الجزء الثامن والعشرون

الجزء التاسع والعشرون

الجزء الثلاثون

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

مطلع الحديث — الصفحة

حرف الواو

مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة

حرف الياء

الجزء التاسع عشر

الجزء العشرون

الجزء الحادي والعشرون

الجزء الثاني والعشرون

الجزء الثالث والعشرون

الجزء الرابع والعشرون

الجزء الخامس والعشرون

فهرس جامع للقوافي

الباء

الدال

دْ

دُ

دِ

الراء

رْ

لِ

القافية	الجزء	الصفحة
إبْقَالَهَا	١	١٩٣
إبْقَالَهَا	٨	٢٠٨
إبْقَالَهَا	١٨	١٥٣
اسْتَقَالَهَا	١٦	٢١٦
ضَلاَلَهَا	٢	٣٦٠
أعْلَى لَهَا	٧	٢٧٧
وبَنَى لها	٢	٣١٦

الميم

مْ

القافية	الجزء	الصفحة
الرَّحِيمْ	١٠	٨٥
صُرِمْ	٨	٨٠
العَرِمْ	٢٢	٧٨
يَرِمْ	٢٢	٧٨
يَرِمْ	٢٣	٦٢
يَرِمْ	٢٤	١٠٩
الأصَمّ	٣	٢٦٧
عُصُمْ	٤	٢٦
تَغِمْ	٣٠	٣١٤
بالأكَمْ	٢٩	٦٤
عَلَمْ	٢٧	١٣٣
الحَلَمْ	٨	٩٠
العَلَمْ	٨	٩٠
حُطَمْ	٦	٥٨
غَنَمْ	٦	٥٨
الوَضَمْ	٦	٥٨
يَنَمْ	٦	٥٨
كالزَّلَمْ	٦	٥٨
القَدَمْ	٦	٥٨
وَارْتَسَمْ	١	١٠٤
المزْدحِمْ	٢	١٠٠
اللجُمْ	٢	١٠٠
المُزْدَحَمْ	١٣	٩٢
مُنْقَصِمْ	٣	٢٠
حَمِيمْ	٧	٢٣٤
حَمِيمْ	١١	٨٥

مُ

القافية	الجزء	الصفحة
عُجْمُ	١٩	١١٣
عَظْمُ	٦	٣٤
حُلْمُ	١	٤٧
الحِلْمُ	٤	٢٧
ظُلْمُ	١	٥١
السَّمُّ	٩	٤٢
الرُّومُ	٩	٤٢
كُومُ	٩	٧
وَحَمُّوا	١٠	٢٠
دَمُ	٨	٧٠
هُمُ هُمُ	٧	٢٥٠
والحَرَمُ	٢٥	٧٤
إذْ تَكَمُّوا	١١	١٤٣
غُمُّوا	١١	١٤٣
السَّقَمُ	١٣	٤٢
يَمَّمُوا	٢٤	٢٠
دُونَهُمُ	٢٤	٤١
يَتَوَسَّمُ	١٦	٩٠
فَيَظَّلِمُ	٣	٢٨١
ومأتَمُ	١٢	٦٠
المَطْعَمُ	٢٣	١٢٣
الأدْهَمُ	٧	٢٤٨
رَوَاغِمُ	٥	١٩٨
نائِمُ	١٧	٨٦
لازِمُ	١٢	٢٣١
عاصِمُ	٦	٣٠٩
طاعِمُ	١٩	٦١
رَاغِمُ	١١	١٥٩
رَاغِمُ	٢٧	٦٠
أثامُ	١٩	٤٠
الإعْدَامُ	١٥	١٧٠
الحَرَامُ	٢٥	٣٥
سَنامُ	٢٥	٣٥
السَّلامُ	١	٢٦٥
سِنامُ	١	٢٦٥
الطَّعامُ	١	٢٦٥
قِيامُ	١٥	٤٥
وكُلُومُ	٣٠	١٠
نَعِيمُ	٣٠	١٧٨
البَرَاعِيمُ	٣٠	١٥٣
مُقِيمُ	٣٠	٣٦
الخَوَاتِيمُ	١٥	٢٤٢
الخَوَاتِيمُ	١٧	١٢٩
السَّلالِيمُ	٢٧	٣٤
السَّلالِيمُ	٧	١٨٤

تم الفهرس الجامع للقوافى بحمد الله وعونه



